

الجزء السابع

تأليف الفيلد مارشال

مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر





A HISTORY OF WARFARE

الجزء السابع

تأليف

الفيلد مارشال فيكونت مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر

رئيس مادة التاريخ العسكرى بالكليات العسكرية
وحاصل على جائزة الموضوعات العسكرية
فى عيد العلم العاشر والحادى عشر

التصديق بالنشر

خطاب رقم ن / م ث / ٦ / ١ / ٢٠٢١

الفهرس

تابــع الفهرس

الفصل الحادي والعشرون

بعد عشرين عاما : الحرب العالمية الثانية

الفوهرر ادولف هتلر

عندما سمع « فوش » بتوقيع معاهدة فرساى للسلام عقب قائلا : « إن هذا ليس سلاما، بل هدنة لمدة عشرين عاما » . وكان على حق، فبعد عشرين عاما من الحرب العظمى والتى جرى وصفها فى الجزء السادس ، تورطت الدول فى صراع ثان والذى إستمر ست سنوات . وإذا كان من المبالغ فيه وصف حرب ١٤ — ١٩١٨ بأنها صراع عالمى ، فلم يكن هناك أى مبالغة فى إطلاق هذه الصفة على الحرب التى أشعلها هتلر عام ١٩٣٩ . ولقد كاد أن يندلع صدام ثان فى الفترة بين ١٨ — ١٩١٩ بسبب حماقة قادة الحلفاء السياسيين المنتصرين . وقد أوضح هتلر فى كتابه « كفاحى » «أن السلام ليس إلا فترة إستعداد لحرب شاملة » وأصبح النظام النازى جهازاً للحرب ينادى بالحرب» .

وتولى العريف السابق[1] بنفسه زعامة الدولة والقيادة العليا ، وتعامل بدون رحمة مع هؤلاء الألمان الذين كانوا لا يقبلون نظرية المدافع إلى جانب الزبد .

وكانت الحرب الأهلية الأسبانية ٣٦ — ١٩٣٩ بمثابة التمهيد لحرب ٣٩ — ١٩٤٥ « جرب خلالها الشيوعيون والفاشستيون أسلحة وأسلوب مستحدث للحرب . ولم يكن الرعب والهلع الذى تميزت به الحرب الأهلية الأسبانية إلا إشارة لما سوف يأتى بعد ذلك . وكانت المبادىء التى إعتنقها زعماء الألمان الجدد ، هى الحرب الشاملة وأسلوب الحرب الخاطفة ، يعكس تماماً الإتجاهات الدفاعية التى كانت سائدة عند الغرب وإعتقادهم بإمكانية تجنب الحرب .

وبدأت بريطانيا فجأة بإعادة تسليح نفسها كرد فعل للسياسة النازية ، ولكنها بدأت

(١) كان هتلر عريف فى الحرب العالمية الأولى . « المعرب »

فى نفس الوقت على العمل على تهدئة الدكتاتوريين ، وهذه السياسة لم تكن تجدى ضد هتلر وحكومته العسكرية .

وبدأت الحرب العالمية الثانية عندما هاجم هتلر بولندا فى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ،منهياً بذلك سلسلة الإعتداءات التى وقعت فى وقت السلم ، والتى بدأت باحتلال أراضى الراين عام ١٩٣٦ .

ولقد كانت الحرب الهتلرية مثار مناقشات عديدة بينى وبين سير ونستون تشرشل بعد إنتهائها .

وحيث كان تشرشل يعتبر أنه لا مفر من حرب ١٤ — ١٩١٨ فور تأزم الأحداث فى البلقان ثم تورط ألمانيا فيها ، إلا أنه كان شديد الاقتناع بأنه فى الإمكان تجنب مأساة الصراع الثانى .

وقد كتب فى كتاب « الحرب العالمية الثانية » : — « لقد أدى ضعف الصالحين إلى دعم حقد الأشرار » . وكتب أحدهم ذات مرة : — « عندما نصبح ثلاثة أضعاف قوة العدو ، أبدأ بالهجوم فوراً »، ولكن هتلر كان يعرف جيداً أن : — « من يكيل ضربته بسرعة خاطفة تصبح قوته أربعة أضعاف القوة الأصلية » وهذا هو ما فعله تماماً فى الشرق والغرب ، فقد إندلعت الحرب الخاطفة فى بولندا فى سبتمبر ١٩٣٩ وبعد ذلك على الغرب فى مايو ١٩٤٠ .

ولكن الحرب التى شملت العالم بعد ذلك كانت تختلف تماماً عن الصراع فى حرب ١٤ — ١٩١٨ ، فقد إختفى نظام الخنادق والأسلاك الشائكة وحرب الحصار . واستطيع أن أقول بصدق بعد أن خضت كلا الحربين ، أنه من المستحيل أن نجد حربين ضد نفس العدو وبهذا الاختلاف الكبير .

٤٠ مليون قتيل فى الحرب

وخلال هذه الحرب إرتكب الألمان واليابانيون من جرائم الحرب التى لا أعتقد أن هناك ما يوازيها فى الوزن والفظاعة عبر التاريخ. وأكثر من ذلك فالسلاح الرهيب للقوات الجوية قد جلب الدمار والتعاسة للمدنيين فى الجبهة الداخلية نتيجة للطريقة البشعة الخاصة

بقصف المدن المفتوحة والمراكز الصناعية من الجو،والتى بدأها الألمـان ، ولـكن كان هناك رد مماثل ومحقق من الحلفاء مع تزايد الحرب .

لقد كانت حرب غاية فى التعقيد ، ولم يقتصر إندلاعها فى أجزاء محددة بوضوح كما حدث فى حرب ١٤ — ١٩١٨ .



تشرشل مع رئيس وزراء بريطانيا الجديد تشمبرلين

لقد كانت الرؤية فيها دائمة التغيير وقد غطت الحرب الكوكب الأرضى بالكامل فيما عدا الأراضى الشاسعة للقارة الأمريكية . وإنى أعتقد أنها كانت أكبر مأساة فى تاريخ البشرية .وطبقاً لأقوال رئيس التحرير العسكرى لجريدة « النيويورك تايمز » والذى ناقشت معه ذلك ذات مرة ، فإن الرقم الإجمالى للقتلى من البشر من جميع الأسباب كان حوالى ٤٠ مليون ، وكان منهم على الأقل ١٧ إلى ١٨ مليون مدنى . وإن مقدار ماعانته البشرية ليفوق كل تصور . ويكفى ذلك الآن ، ولنتعرف أولا على أسباب المأساة بادئين باتفاقية فرساى الموقعة عام ١٩١٩ .

إن السلام الذى يوضع بفرض الإذلال والإنتقام لايمكن أن يستقر مدةطويلة ولا يرضى ولا يقنع الصرف المغلوب وقد ظهرت هذه الحقيقة بسرعة فى عام ١٩٢٠ أى بعد توقيع إتفاقية فرساى بوقت قصير .

ولقد كان يجب إيجاد علاقات وحسن جوار معقول مع الدولة التى لديها أكبر تعداد سكانى وأكبر إمكانية صناعية فى أوروبا ، نعنى ألمانيا وليس روسيا ، فقد تركت ألمانيا كما هى فى عام ١٩١٩ ، فيما عدا إنتزاع قطع صغيرة من أراضيها على الحدود .

ولكن فى النهاية أدت المناورات السياسية ، لإيجاد وتنظيم جديد لأوروبا ، وهى التى أدت إلى أخطاء دفعت العالم إلى الحرب فى عام ١٩٣٩ .

وقد أهملت كل من روسيا وأمريكا مشكلة ألمانيا ، بينما مالت فرنسا نحو إتخاذ موقف سلبى ، وبذلك ترك الأمر إلى حد بعيد لكل من بريطانيا وألمانيا للعمل على إيجاد حل جديد .

وإتجهت السياسة البريطانية إتجاه ألمانيا، منذ تولى «رامزىمكدونالد» رئاسة الوزارة ، وكانت تتحرك بدرجة كبيرة نحوالاسترضاء، وكانت هناك إلحاحات مختلفة نحو « الترضية» كما أصبحت تسمى هذه السياسة . وكانت تجربة ١٤ — ١٩١٨ قد ولدت الذعر من الحرب ، وجادل الكثيرون فى أن لدى ألمانيا سبباً قويا لاستعادة ما فقدته من أرض ، وأن البديل للقوة الفاشستية فى وسط أوروبا هو تقدم الشيوعية ، وإذا تم وأتخذ موقف خشن بالنسبة للألمان كما كان يعتقد، فإنه سوف لا يعادى الألمان فحسب بل سيؤدى إلى متاعب جمة،

فى حين لو عومل الألمان بطريقة مرضية فسوف يكون سلوكهم بالتأكيد لطيف .

ولكن سياسة « الترضية » الحمقاء وصلت آخر الأمر إلى أن :— «حاكم ألمانيا لم يكن ذلك الرجل النبيل الذى كان يحسبه رؤساء الدول الأجنبية » .

ولقد لعب أدولف هتلر[1] المباراة الدبلوماسية بطريقة أقل لطفاً من الساسة الآخرين حيث كان ينشد إعادة ألمانيا كقوة عظمى .

وأصبح هتلر « فوهرراً[2] » فى عام ١٩٣٤ وبالتالى أصبح فى الواقع دكتاتوراً . وقد إستغل الحرب الأهلية الأسبانية التى بدأت فى عام ١٩٣٦ فى تجربة أسلحته وتكتيكاته الجديدة .

وفى عام ١٩٣٦ دفع قواته إلى داخل أراضى الراين ، وفى عام ١٩٣٨ قام بضم النمسا وإقليم «السوديت التشيكوسلوفاكية» . وأعتقد كل من «تشمبرلين» رئيس وزراء بريطانيا و « دلادييه » رئيس وزراء فرنسا وجوب الموافقة على هذه المكاسب الألمانية كثمن للسلام الآمن والدائم ، وفى إجتماعهم مع هتلر فى ميونيخ تغاضوا عما قام به . كيف يمكن حرمان ألمانيا من عودتها قانونا إلى وضعها الطبيعى ؟ . كيف يمكن للسياسيين إشعال حرب رئيسية ثانية من أجل قطعة تافهة من الأرض ؟ وقامت ألمانيا بحساب كل فرصها ، وأخذت توجه الضربة تلو الضربة بدون عقاب .

ولم يكن هتلر أحمقاً فى تلك الأيام الأولى مهما أصبح فيما بعد .

وفى أوائل ١٩٣٩ أعلن الحماية على « بوهيميا » و « موادافيا » كما حصل على إقليم « ممل » . ولقد قيل أن هتلر لم يكن ينشد الحرب حتى بدأت فى عام ١٩٣٩ ، وربما كان ذلك صحيحاً ، ولكننى أجد أن من المستحيل التصديق بأنه أعتقد أن فى مقدوره جر المتاعب على الدول الأوروبية بالطريقة التى كان يتبعها دون أن يؤدى ذلك إلى الحرب .

الحرب الخاطفة

وعندما تنبهت بريطانيا وفرنسا للخطر وضمنتا سلامة بولندا فى مارس ١٩٣٩ ، ولم يعتقد هتلر أنهما سوف يحترمان كلمتهما ، بالرغم من إتفاق ميونخ . ومع ذلك فبعد ستة

---

(١) لقد أصبح مستشاراً لألمانيا عام ١٩٣٣ .

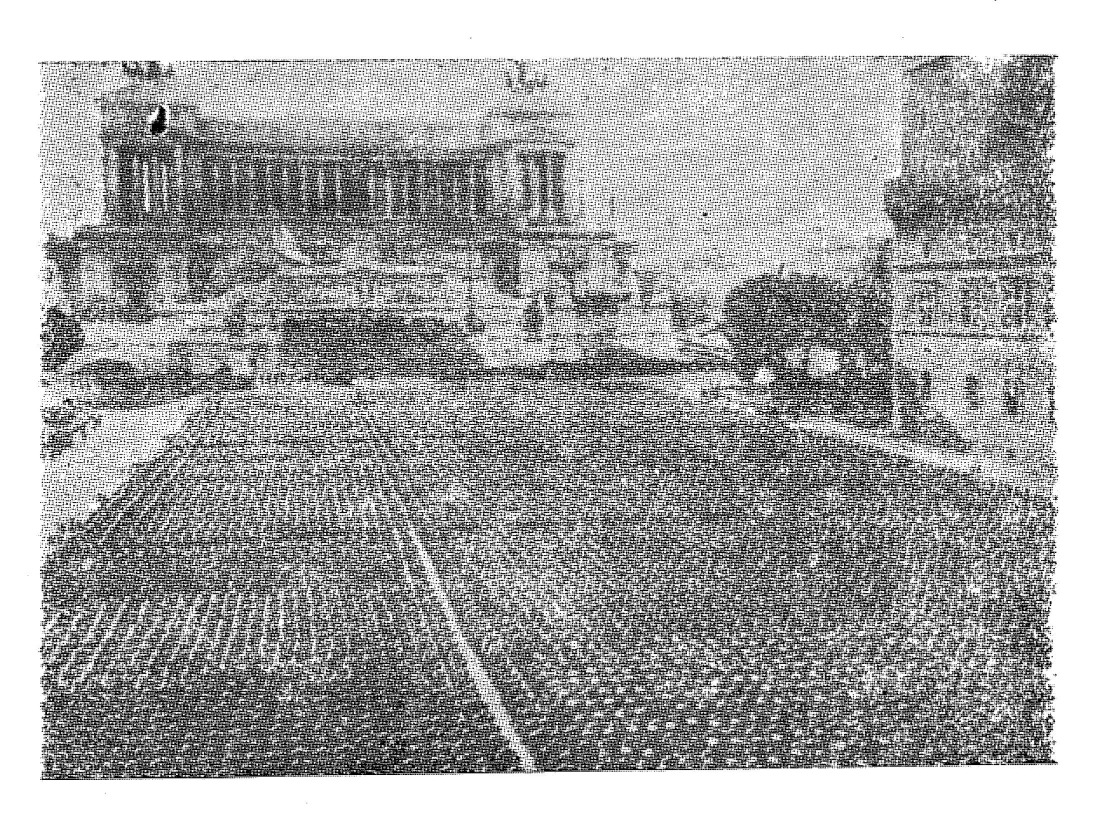
(٢) رئيسا للدولة

شهور قام هتلر بغزو بولندا ، متعمداً إطلاق العنان لـكلاب الحرب . وكان مستعداً لإشعال حرب عالمية إذا دعت الضرورة ليس لهذا فقط بل لـكى يحقق أغراضه . وأ كثر من ذلك ، كان النظام النازى يعتمد على إثارة العواطف للشعب الألمانى بالجندية والعنصرية والوطنية والتى كانت مملوءة بالعجرفة والمرارة .

وهناك نقطة تروق لى وهى : — « متى قرر هتلر وبالضبط المخاطرة بالحرب من أجل تحقيق أغراضه ؟ . ومن المحتمل ألا نعرف أبداً هذا الأمر ، أما مانعرفه أن هتلر كان مقامراً متهوراً ، وأنه عندما غزا بولندا فقد تخطى قدرته .

لقد كان من المستحيل على بريطانياوفرنسا المحافظة على سلامة بولندا بدون الدعم المسلح لروسيا ، وكان ذلك مستحيلا من الناحية الاستراتيجية بدون الدعم المسلح الرومى ، وهذا الدعم تلاشى عندما وقع هتلر فى أغسطس ١٩٣٩ إتفاق مع روسيا بعدم الإعتداء ، تلك المعاهدة التى كانت بمثابة تـكتيك خبيث جداً .

ولـكن قررت بريطانيا وفرنسا المحافظة على تعهداتهما ، وأعلنت كل منهما الحرب على ألمانيا فى ٣ سبتمبر .



هتلر يستعرض جيوشه ليرهب العالم بقوته

وإستجمعت دول الإمبراطورية البريطانية قواها لمساعدة الدولة الأم ، وإلتزمت إيطاليا الصمت فى هذه المرحلة .

وقررت الولايات المتحدة تجنب التدخل . وبقيت كل من بلجيكا وهولندا والدانمرك والنرويج ولوكسمبورج على الحياد[١] . وربما كان يمكن باتخاذ سياسة أشد فى الثلاثينيات القرن ٢٠[٢] إلى تفادى الحرب ، ولكن ربما كان هتلر فى جميع الحالات سيكون متهوراً جداً .

ولكن القدر حل فى عام ١٩٣٩ كما حدث فى عام ١٩١٤ . وإندلعت الحرب كنتيجة لخطأ فى التقدير من جميع الأطراف . ولم تكن كل من بريطانيا وفرنسا مستعدة بشكل مرضى للحرب فى عام ١٩٣٩ ، ولكن كيف كان الحال بالنسبة لألمانيا ؟؟ فقد كان اعداد الرجال المدربين فى ألمانيا أفضل وأكثر كثيراً ، لأن هتلر أصدر قانون التجنيد الإجبارى مبكراً فى عام ١٩٣٥ ، وفيما يتعلق بنظرية فن الحرب ، فقد تقدم الألمان وسبقوا المنتصرين فى صراع ١٤ — ١٩١٨ ، وأدركت ألمانيا أنها حرب جديدة ، وذات قوة ضارية وخفة حركة عالية جداً ، وذلك باستخدام الأسلحة الجديدة وهى الدبابة والطائرة[٣] . وعلى هذا الأساس طور الجيش الألمانى أسلوبه التكتيكى وخرج بأسلوب جديد هو « الحرب الخاطفة » ، وجوهر هذا الأسلوب القيام بالهجوم مع إختراق عميق بالقوة المدرعة ، تعاونها القوات الجوية حيث تقوم الطائرات بتدمير مواصلات ومنشئات العدو ، على أن تقوم بتقديم المعاونة لمدفعية الميدان أثناء التقدم بقصفها للأهداف الأرضية وعليها المحافظة على إمداد القوات المهاجمة بالرجال والمعدات، بينما تحقق الدبابات التي تعاونها المشاة المحملة الإختراق على الأرض.

والمبادىء التكتيكية الأساسية للحرب الخاطفة هى . .

الحشد . . . والمفاجأة . . . والسرعة . . .

وبهذه المبادىء السابقة يجرى إرباك وبعثرة العدو ثم يجرى تحطيمه دون رحمة بكل ما فى الكلمة من معنى .

(١) لقد كانت هذه الدول غير مستعدة تماماً لحماية حيادها فى ذلك الوقت .

(٢) بدلا من سياسة الترضية

(٣) لقد برزت الدبابة والطائرة خلال التطور الذى طرأ على ماكينة الاحتراق الداخلى .

« المعرب »

وباستثناء الطائرة ، فلم يكن هناك إلا القليل من الاختراعات الفنية فيما بين عامى ١٨ — ١٩٣٩ ، وما حدث هو تطوير أسلحة ١٤ — ١٩١٨ وببطء .

وتطورت سرعة وتدريع وتسليح الدبابات ، وظهرت المدافع المضادة للدبابات وبدأ إستخدام الهاونات ، وظهر مدفع رشاش صغير يمكن حمله باليد ، كما حسنت الأقنعة الواقية من الغازات وأساليب الإخفاء والانتشار ، وأصبحت وسائل النقل ميكانيكية . والقوة الأخرى الوحيدة بخلاف ألمانيا والتى تبنت الأفكار الجديدة عن إدارة الحرب هى روسيا بعد عام ١٩١٨ ؛ حيث قدرت كثيراً الدبابات والقوات المحمولة جواً .

أما باقى القوى التى إنتصرت فى حرب ١٤ — ١٩١٨ فقد رضيت بما حققته من إنتصار ولم تغير على الإطلاق من أفكارها وأسلوبها ، ولم تهتم بالتطور العسكرى إعتماداً على توقعها ببقاء السلام فى المستقبل .

وتجاهل المسئولون فى كل من إنجلترا وفرنسا ، الأفكار والنظريات التى ناقشها قلة من العسكريين أمثال « ليدل هارت » و « فوللر » والخاصة بأن القتال فى المستقبل لن يهيمن عليه بواسطة الدفاع .

وفى كلا الدولتين فى عام ١٩٣٩ تدهورت كثيراً كل من المعدات والتدريب وأصبحت حالتها سيئة .

وبنى الفرنسيون « خط ماجينو[1] » والذى لم يكن له مكان بالنسبة للمفاهيم التكتيكية الجديدة . ولم يدرس أى من المسئولين بعناية كتابات « ليدل هارت » إلا فى ألمانيا والتى وضعت أفكاره موضع التنفيذ ، بينما أدركت الدول الأوروبية قيمتها متأخراً فى ربيع ١٩٤٠ عندما هبت الحرب الخاطفة غربا.

الحرب الزائفة (أنظر اللوحة رقم ٤٩)

لقد كان الغزو الألمانى لبولندا هو الإقناع الأول لأوروبا بمدى قوة تكتيكات الحرب الخاطفة . وحصل الألمان على المبادأة بالضرب بدون إعلان للحرب . وفى البداية قامت

---

(١) وهو خط دفاعى من التحصينات والذى كان يعتبر منيعاً بالنسبة لحرب ١٤ — ١٩١٨ فقط . « المعرب »

القوات الجوية الألمانية بتدمير القوات الجوية البولندية خلال يومين ، ولم يتمكن الكثير من الطائرات البولندية من الطيران لملاقاة العدو .

أما السكك الحديدية البولندية والتى كانت بدون دفاع فقد شلتها الهجمات الجوية الألمانية مما أدى إلى إرباك تحريك الجيش البولندى . وحتى يكتمل الاضطراب وإنهيار الروح المعنوية ، قامت القاذفات الألمانية بضرب المدن والقرى وقولات اللاجئين من الجو . وقام البولنديون بدفع ما إستطاعوا دفعه من القوات لمقاومة الغزو الأرضى ، ولكن المارشال « سميجلى ريدز » إستخدام قواته بأسلوب حرب ١٤ — ١٩١٨ ، بنشرها على جبهة طويلة بدرجة أنهم كانوا ضعافاً فى كل مكان ، وليسوا بأقوياء فى أى مكان. وتقدمت القوات الألمانية فى ثلاثة أرتال ضخمة من الشمال والشمال الغربى والجنوب ، وأخترقت رؤوس الحراب المدرعة[1] الجبهة البولندية بسهولة .

ومع ٧ سبتمبر تقابل الجيشان الشماليان بقيادة « بوك » بالقرب من « لودز » ، وبذلك طوق الألمان قوات بولندية كبيرة فى المثلث « لودز — وارسو — تورون » .

وفى أقصى الجنوب عبرت القوات الألمانية تحت قيادة « روندشتد » من جبال الكربات نهر « السان » .

وفى ١٧ سبتمبر حرك ستالين قوات روسية من الشرق إلى خلف الجيش البولندى ، ومرة أخرى قسمت بولندا .

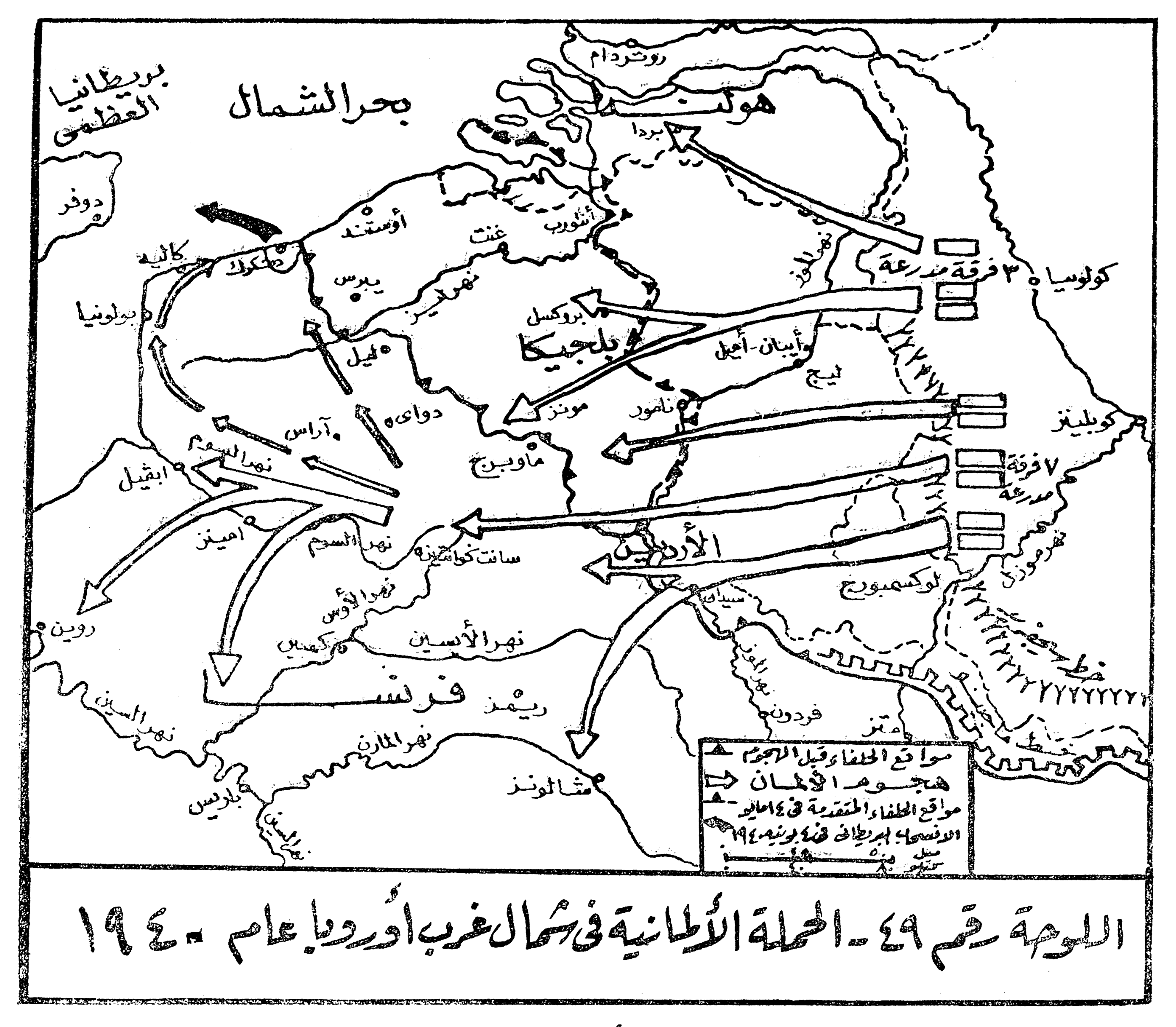
وهكذا أتم الألمان إحتلال بولندا ، الدولة التى تعدادها ٢٣ مليون نسمة فى ١٨ يوماً وبخسارة ٥٠٠ر١٠ قتيل و ٠٠٠ر٣٠ جريح .

وكما ذكرت سابقاً لم تستطع كل من بريطانيا وفرنسا واللتان دخلتا الحرب بغرض حماية بولندا من القيام بأى شىء نحو الحفاظ على بولندا . وقد قامت بريطانيا بإرسال حملتها المكونة من أربع فرق نظامية من المشاة على شكل فيلقين إلى فرنسا فى شهر سبتمبر ، حيث شغلت وقتها بمد دفاعات خط ماجينو إلى الشمال على طول الحدود البلجيكية[2] .

---

(١) كانت القوات المدرعة تعمل كرأس حربة أمام القوات الرئيسية الألمانية .

(٢) كانت بلجيكا فى ذلك الوقت محايدة . «المعرب»



اللوحة رقم ٤٩ - الحملة الألمانية فى شمال غرب أوروبا عام ١٩٤٠

انتظروا فى أول الشهر القادم

القرارات المميته

تعريب وتعليق العميد فتحى عبد الله النمر

وكانت الفرقة الثالثة المشاة والتى أقودها تقع على الجانب الأيسر من الجبهة البريطانية فى المنطقة إلى الجنوب من « ليل » . وتواجد على يسارى فرق الجيش السابع الفرنسى والتى مدت الجبهة حتى بحر الشمال . كما أرسل إلى فرنسا جزءا من القوات الجوية الملكية لمعاونة الحملة . ولما كانت النظرية الدفاعية مسيطرة على القوات البريطانية والفرنسية ، فلم تقم أياً منهما بمهاجمة ألمانيا من جبهتها الغربية عندما كانت جيوشها لازالت مشغولة فى القتال فى شرق أوروبا .

وبدلا من ذلك قاموا بقصف ألمانيا بمنشورات دعائية من الطائرات . . ! ! وإذا كانت تلك هى الحرب ، فيبدو إننى لم أفهمها .

وتواجد مع الجيش البريطانى فى فرنسا ، لواء مدرع واحد ذلك اللواء الذى لم أره أبداً . . ! ! بالرغم من أننا الدولة التى إخترعت الدبابة وأول من إستخدمها فى القتال عام ١٩١٦ . وإستمرت حالة الجمود فى الجبهة الغربية من سبتمبر ١٩٣٩ حتى مايو ١٩٤٠ ، وهى الفترة التى أصبحت معروفة بـ « الحرب الزائفة » .

وخلال ذلك الوقت إحتل الروس فنلندا لأنفسهم ، وسيطرت القوات الألمانية على الدانمارك والنرويج .

وإنتهت «الحرب الزائفة» فى ١٠ مايو ١٩٤٠ بالغزو الألمانى للأراضى الواطئة وفرنسا. وقد عبأت فرنسا ٨٠ فرقة ، كما كان لبريطانيا ١٠ فرق فى فرنسا ، ولكن كان ينقصها المعدات والتدريب وبذلك كانوا عاجزين عن المشاركة فى حرب رئيسية . وقد تبنى هتلر خطة وضعها الجنرال « فون مانشتاين » ، وكانت تقضى باكتساح بلجيكا وهولندا المحايدتين وبذلك يطوق خط ماجينو ، ويستولى على موانى بحر الشمال وقواعده الجوية ، وقد إستوجب ذلك الهجوم على فرنسا فوراً .

وتوقع الألمان أن البريطانيين والفرنسيين سوف يوجهون قواتهم لملاقاة الغزو عبر بلجيكا ، ولذا قرر الألمان تشديد ضربتهم الرئيسية المدرعة عبر الأردين فى إتجاه نهر « موز » عند « سيدان » وبذلك تفصل قوات الحلفاء التى زحفت نحو وداخل بلجيكا ، وسار كل شىء كما خطط تماما .

وا كتسح الهجوم الخاطف الألمانى هولندا فى خمسة أيام . كما قامت مجموعة هجوم مكونة من رجال المظلات ومهندسى إقتحام بالاستيلاء على قلعة « أيبن — أميل » البلجيكية المنيعة وذلك خلال ٣٦ ساعة .

وقد كان الاندفاع نحو نهر «الموز» أسرع مما توقعه الألمان أنفسهم بعد أن إنهار رجال المدفعية الفرنسية وأصابهم الارتباك من هجمات القاذفات المنقضة الألمانية من طراز « ستوكا » .

وتم فتح ثغرة فى جبهة الحلفاء عرضها ٥٠ ميلا ، وبعدها إندفع الجنرال « جودريان » بمجموعته المدرعة غرباً فى إتجاه « سانت كوانتين » .

وتحركت الفرق الميكانيكية على كلا جانبى الثغرة لحمايتها حيث تقدم بداخل الثغرة المدرعات الألمانية .

وفى الواقع كانت السيطرة الألمانية على الجو كاملة . أما قادة الحلفاء أمثال « جاملان » و « جورت » فكانوا غير قادرين على التعامل مع الجيش الألمانى .

نكسة دنكرك

وفى ٢٠ من مايو كان الألمان فى « أبفيل » ، وفى ٢٣ وصلوا إلى « بولونيا » . وفى منتصف ليلة ٢٧ مايو إستسلمت بلجيكا . وكان هذا أمرا محرجا لى ولفرقتى ، لأننا كنا فى هذا الوقت قد أصبحنا الفرقة، اليسار للقوات الفرنسية البريطانية، بالإضافة إلى الجيش البلجيكى المكون من ٢٠ فرقة ، والذى يمتد من يسارنا حتى البحر . وفى فجر ٢٨ مايو علمت أن ملك بلجيكا قد سلم كل جيشه للألمان . وقدرت فى ذهنى أنه ليس مناسبا للملوك فى منتصف القرن ٢٠ أن يقودوا جيوش دولهم فى المعركة . ولحسن الحظ كان يوجد الكثير من الجنود البلجيكية بين موقع فرقتى والبحر ، مما سيؤدى بعض الشىء إلى صعوبة تحرك الألمان خلالهم ، وهذا منحنى فرصة من الوقت للتفكير فيما أفعله بهذا الخصوص . وفى ٤ يونية كانت القوات البريطانية و ١٢٠٠٠٠ جندى فرنسى قد جلوا من دنكرك بأسلحتهم الشخصية فقط بينما تركوا خلفهم جميع المركبات والمعدات الثقيلة . وإستمر جلاء القوات البريطانية من شاطىء دنكرك[1]

(١) كان الأسم الكودى لهذه العملية « دينامو » .

تسعة أيام وأمكن إنقاذ ٣٣٨٠٠٠ رجل ، وكان ذلك من أروع أعمال البحرية البريطانية التى حشدت ٨٨٧ سفينة من جميع الأحجام ، وأيضاً للقوات الجوية الملكية التى أسقطت خلال العمل المتواصل ولمدة أربعة أيام حوالى ١٧٩ طائرة معادية ، وبخسارة ٢٩ طائرة . وقد خفف من وقع صدمة الهزيمة الإرتياح التى شعرت بها بريطانيا بتخليص قواتها من دنكرك. ولكن ذلك لايخفى الحقيقة أن الجيش البريطانى قد هزم تماما فى القتال ، كما ترك الكثير جدا من معداته فى فرنسا ، بدرجة أنه فى صيف عام ١٩٤٠ لم يكن فى بريطانيا سوى فرقة واحدة[1] مجهزة تجهيزاً جيداً . ولم تقم المدرعات الألمانية بمطاردة البريطانيين إلى داخل دنكرك ، وذلك بسبب أوامر هتلر والذى قرر التحول جنوبا للاجهاز على الفرنسيين. وإنهارت الروح المعنوية للفرنسيين ، وفى ١٦ يونية إستسلمت حكومة بيتان الفرنسية ، وأحتل الألمان شمال وغرب فرنسا . وعند هذه المرحلة ، أعلنت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا . ويرجع أسباب إحتلال ألمانيا لفرنسا وللبلاد الواطئة بسرعة إلى التفوق فى الأسلوب التكتيكى والقيادة. أما الحلفاء فقد كان لديهم تفوق طفيف فى العدد والعدة : — ١٤٦ فرقة للحلفاء إلى ١٢٦ فرقة للمحور ، ولكن الكثير من الفرق الفرنسية والبريطانية كانت قيمتها القتالية ضئيلة ، وكانت بعض دبابات الحلفاء أقوى فى نوعها من مثيلتها الألمانية وعلى سبيل المثال الدبابة البريطانية « ماتيلدا » . ولكن كان العامل الحاسم هو الاختلاف فى الاستخدام . فبينما كان وضع وتوزيع قوات الحلفاء خاطئا نتيجة لبعثرة قواتهم على مواجهة واسعة وبدون إحتياطيات ، كان الألمان يضربون فى رتل صلب يتقدم بسرعة وقوة . وقد تم حشد سبع فرق من فرقهم البانزر[2] العشرة للقيام بعملية الاختراق بين « سيدان » و « نامور » . وقد أدى خطة مانشتاين الشاملة والتى نفذت بتكتيكات البانزر وعلى وجه الخصوص ضربة جودريان القوية غربا إلى تحقيق إنجاز عسكرى هام ورائع ، ومع ١٧ يونية أصبحت فرنسا خارج الحرب . وفى السنوات اللاحقة أصبح أعضاء حركة المقاومة الفرنسية وجنود إدارة العمليات الخاصة البريطانية ذات قيمة كبيرة . حيث قاموا بإزعاج قوات الاحتلال الألمانية ، ونظموا طرقا لهروب الجنود الذين فروا من معسكرات الأسرى، وللطيارين الذين كانت تسقط طائراتهم فوق فرنسا ، كما أقلقت

(١) كانت الفرقة الثالثة .

(٢) هى الفرق المدرعة .

إغارات الفدائيين راحة الألمان ، كما خدمت وحدات من الفرنسيين الأحرار في بريطانيا وفي أفريقيا. ولكن الحقيقة التي تحتم مواجهتها هي أنه في يونيه ١٩٤٠ ، وقفت بريطانيا وإمبراطوريتها وحيدة ضد قوى المحور ، ألمانيا وإيطاليا . وأستعد الشعب الإنجليزي للغزو الألماني ، وعلى أي حال فلم تطأ قدم أي عدو أجنبي أرض بريطانيا منذ ٩٠٠ عاما . وبالرغم من عدم وجود أي شخص في الدولة يعرف كيف يمكن هزيمة الألمان ، فلم يوجد أيضاً أي شخص يفكر في التسليم . وحتى ونستون تشرشل نفسه والذى تناقشت معه بهذا الخصوص في يونيه ١٩٤٠ ذكر لي أنه لم يقرر بعد كيف يمكن إتمام هزيمة ألمانيا ، ولكنه كان بدون شك على وشك الوصول إلى النتيجة النهائية ، كما كنت أنا . وقد رأيت فيه الزعيم الذى نحتاجه ، والرجل الذى جمع شمل أمة مهزومة ، وعلى إستعداد لقيادتها خلال أزمات أبعد مدى حتى ولو قدر لهذه المتاعب أن تنفجر فوقنا ، والتي كانت على وشك الحدوث . وأصبح تشرشل رئيسا للوزراء منذ مايو ، وبعد نكسة دنكرك إستجمع روح الشعب البريطاني بشجاعته وخطابته : — « لن نذبل أو نسقط ، وسنمضى حتى النهاية . وسنقاتل في فرنسا وسنقاتل في البحار والمحيطات ، وسنقاتل بثقة متزايدة وقوة متزايدة في الجو . سندافع عن جزيرتنا مهما يكن الثمن . سنقاتل على الشواطىء وسنقاتل على أراضى نزول العدو ، وفي الحقول والشوارع ، سنقاتل في التلال ، لن نستسلم أبدا » . وإنبثق الحرس الوطني إلى الوجود ، وتحولت الطاقة الإنتاجية لبريطانيا إلى المجهود الحربي ، كما وصلت معونات مادية كثيرة من أمريكا المحايدة ، وبدأت تجرى إعادة تجهيز الجيش بالمعدات وإزداد حجمه ، وتم تعديل التدريب ليساير أحدث أساليب الحرب العصرية . ومنذ ذلك الوقت تحققت منجزات عظيمة وكثيرة بواسطة السير « ألان بروك » وعلى وجه الخصوص تنظيم الجيش البريطاني ، وكان بروك يشغل وظيفة القائد العام لقوات الحرس الوطني ثم بعد ذلك رئيس أركان حرب الإمبراطورية ، ولكن كان هناك الكثير لعمله ، فقد توليت أنا قيادة فيلق على الشاطىء الجنوبي لبريطانيا ولكنني كنت غير متأكد كم سيمر من الوقت قبل أن يضرب هتلر ضربته . وقد إحتلت القوات المسلحة الألمانية كل أوروبا من النرويج حتى فرنسا . وأخبرنا تشرشل أن هتلر يعرف أنه إما أن يغزو بريطانيا ويهزمنا أو يخسر الحرب ، ولذلك فقد قدرنا جميعا أن الدور التالي علينا .

عملية « سبع البحر »(١)

والآن سندرس الحرب الجوية فى أوروبا بين صيف ١٩٤٠ ومايو ١٩٤١ ، وكان على بريطانيا لمنع الألمان فى عام ١٩٤٠ من عبور القنال الانجليزى أن تعتمد على قوتها فى الجو وفى البحر . وكان على ألمانيا لكى تغزو شواطىء عدو متفوق جداً فى البحر ، أن تسيطر أولا على الجو لأنها بدون ذلك لن تستطيع القوات الألمانية والامدادات أن تكون قادرة على عبور المانش . وفى حرب ١٤ — ١٩١٨ كان للطائرة أهمية ضئيلة ،ولكن الطيران تطور تطوراً عظيما فيما بين الحربين . وخلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ أصبحت القوة الجوية سلاحا قويا وغيرت الكثيرمن مفهوم الحرب فى البحر، وأيضاً التكتيكات البرية . كما حققت القوات الجوية إمكانية كسب المعارك البرية فى وقت أقل وبخسائر أقل مما لو لم تكن موجودة . وقد لعب القصف الاستراتيجى دورا كبيرا فى الحرب ، حيث كانت القوات الجوية للحلفاء عاملا حاسما فى الحرب فى أوروبا . وعندما عينت فى قيادة أعلى عام ١٩٤٢ ، وضعت أمام عينى حقيقة لا أحيد عنها وهى يجب أن تكسب المعركة الجوية قبل القيام بالمعركة البرية أو البحرية ، ولكن مع تقدم الحرب وازدياد خبرتى ، وصلت إلى أن ذلك ليس صحيحا تماما ، ولكن من الضرورى الحصول بقدر الإمكان على « السيادة الجوية » فوق منطقة العمليات ، وهذا المبدأ قد ساعدنى حتى نهاية الحرب .

وكانت مهمة القوات الجوية الألمانية فى صيف ١٩٤٠ هى تحقيق هذه السيادة الجوية فوق إنجلترا والقنال الإنجليزى كمقدمة للغزو . وكان « هيرمان جورنج » على رأس وزارة الطيران الألمانية والقائد العام للقوات الجوية الألمانية ، وبحلول أغسطس كان قد حشد أسطولين جويين فيما بين الأراضى الواطئة ومقاطعة « بريتانى » وتولى « كسلرينج » فى بروكسل قيادة أسطول منهما ، بينما قاد « شبيرل » الأسطول الثانى من باريس ، وتمركز أسطول جوى ثالث صغير بقيادة « ستومبف » فى النرويج . وتوفرلدى الأسطولين الجويين الرئيسيين حوالى ٢٠٠٠ طائرة صالحة للقتال وتتكون من القاذفات « الجونكر ٨٨ »

(١) يمكن الإلمام بعملية « سبع البحر » بالتفصيل فى الجزء الأول من القرارات المميتة تعريب وتعليق العميد فتحى النمر . « المعرب »

والتى كانت أسرع وأفضل ماصنع حتى الآن ، والقاذفات المنقضة « جونكر ٨٧ » والمقاتلات « مسر شميت ١٠٩ » و « مسر شميت ١١٠ » . وفى مواجهة تلك القوة توفر لدى قيادة المقاتلات البريطانية بقيادة مارشال الجو « دودينج » خمسون سربا من طائرات الهاريكان والسبيتفاير ، وكانت القوة الجاهزة للقتال حوالى ٩٠٠ طائرة . كما كان هناك ١٧٠٠ مدفعا مضادا للطائرات . وقد تعين على الإنجليز بقوتهم العددية القليلة حماية الشاطىء البريطانى كله ، حيث سيختار الألمان المناطق التى سيركزون هجومهم عليها . وكانت المفاضلة بين المقاتلات البريطانية والألمانية ضئيلة ، فكانت السبيتفاير والهاريكان مسلحة بثمانى مدافع رشاشة ، وسرعتها أبطأ قليلا من المسرشميت ١٠٩[1] ولكنها تتفوق عليها فى القدرة على المناورة . أما القاذفات الألمانية فكانت بطيئة وأكثر تعرضاً للهجوم عليها ، وبالتالى فكانت محتاجة إلى حمايتها بالمقاتلات ، الشىء الذى قيد قدرات كليها . وأكثر من ذلك كانت قيادة المقاتلات البريطانية منظمة جيدا ، وقد أعدت تحت قيادة « دودينج » فى عام ١٩٣٦ فى « بنتلى بريورى » بالقرب من لندن . وكان جوهر نظام قيادة المقاتلات ، هو المركزية فى تجميع الإنذار المبكر فى « بنتلى بريورى » ، مع عدم المركزية فى السطيرة التكتيكية على المجموعات المرؤوسة فى أنحاء الدولة . وكانت معلومات إقتراب طائرات العدو تجمع من ٢٠ محطة رادار[2] أو نحو ذلك موجودة على الشاطىء ثم تمرر المعلومات إلى رئاسة المجموعة المختصة والتى تكون مسئولة عن الإشتباك مع العدو ، بأن تدفع إلى العمل مقاتلاتها وأنوارها الكشافة ومدافعها المضادة للطائرات ، وقد عمل هذا النظام بكفاءة .

فى ٢ يولية أمر هتلر قواته المسلحة بالاستعداد لغزو بريطانيا «عملية أسد البحر» ، وإستهل جورنج معركة بريطانيا بهجوم تمهيدى محدود ضد الملاحة فى مضيق دوفر ، ورفض دودينج أن يستدرج . وبدأت المرحلة الرئيسية الأولى فى منتصف أغسطس ، وكان الغرض منها تحطيم القوات الملكية بتدمير الطائرات البريطانية فى الجو ، بينما يستمر فى نفس الوقت الهجوم على الملاحة . وركز كل من « كسلرينج » و «شبيرل» مجموعتها فوق جنوب

---

(١) كانت سرعتها ٣٥٨ ميل فى الساعة

(٢) جهاز الرادار يكتشف الأهداف البعيدة تحية لإرتداد الموجات اللاسلكية ، وتم أكتشافه فى الثلاثينيات بواسطة ر.١٠ واتسون وات « المحرر »

شرق إنجلترا ، بينما ركز « ستومبف » على المنطقة من النرويج حتى « ميدلاندز » . وخلال أول معركة كبيرة ، يوم ١٣ أغسطس قامت المقاتلات البريطانية من مجموعة الجنوب الشرقي والتي تحت قيادة الفيس مارشال بارك بتدمير ٤٥ طائرة المانية وخسرت ١٣ طائرة. أما فى الصدام الرئيسى الثانى فقد ستومبف سدس قواته ، وهكذا لم يتمكن بعد ذلك إلا أن يلعب دورا ثانويا فى العمليات . وفيما بين ١٦ — ١٨ أغسطس عانى الألمان مرة أخرى من الخسائر الجسيمة ، ٢٣٦ طائرة فى مقابل ٩٥ طائرة بريطانية . وكانت هناك ميزة يتمتع بها القوات الجوية الملكية وهى أن الطيارين لم يفقد معظمهم مع طائراتهم بل كانوا يهبطون بالمظلات بسلام عند تدمير طائراتهم ، بالإضافة إلى سرعة إنتاج الطائرات البريطانية . وأدرك جورنج الآن خطأه بعد تركيز كل قواته لهزيمة القوات الجوية الملكية فى الجو .

وفى المرحلة الثانية بين ١٩ أغسطس حتى ٦ سبتمبر كان هدفه الرئيسى تدمير القوات الجوية الملكية فى الجو ، ولتنفيذ هذا دفعت مقاتلات كسلرينج أثناء النهار وقاذفات شبيرل خلال الليل ، ولم يقع بارك فى الفخ والمخاطرة بكل قوته ضد المقاتلات بل واصل إعتراضه للقاذفات الألمانية .

موسولينى وغيرته من نجاح الألمان

وبدأت المرحلة الثالثة فى أوائل سبتمبر ، عندما تركز كل الهجوم الألمانى على لندن. وتكلم هتلر ذاكراً بالتحديد كلمة « الإفناء »

وفى ٧ سبتمبر هاجم كسلرينج لندن بـ ٣٠٠ قاذفة و ٦٠٠ مقاتلة . وتم إسقاط معظم القنابل مسببة دماراً فادحاً وخسارة جسيمة فى أحواض السفن . وقد إشتبك مع العدو ٢١ سرباً مقاتلا من القوات الجوية الملكية والتى كبدت الألمان مرة أخرى خسائر كثيرة فى الطائرات أكثر مما أوقعوه من خسائر فى الطائرات البريطانية .

وإستمرت الغارات الألمانية وبلغت ذروتها فى قتال ١٥ سبتمبر ، فى هذا اليوم دفع كسلرينج كل قواته بواقع غارة فى الصباح وأخرى بعد الظهر ، وفقدت قاذفات كسلرينج

عشرها ، بينما أجبرت المقاتلات الألمانية على الهرب . وإعترفت القوات الجوية الألمانية بهزيمتها من المقاتلات البريطانية .

وفى ٢١ أكتوبر ألغى هتلر خطته للغزو . وعبر تشرشل عن إمتنانه لرجال القوات الجوية الملكية كالآتى : — « لم يحدث أبداً فى ميدان الصراع البشرى ، مثل هذا الدين الكبير جداً ، الذى يدين به كثيرون جداً إلى عدد قليل جداً » . وواصلت القوات الجوية الألمانية القصف الليلى أثناء الشتاء والربيع التاليين ، ولكن ليس الآن بغرض التمهيد للغزو ، وإنما بغرض تعطيل الإنتاج وتحطيم الروح المعنوية للمدنيين .

وعانت معظم المدن الرئيسية معاناة هائلة ، وخاصة مدينة « كومنترى » . ولكن رغم كل ذلك لم يحقق الألمان هذه الأغراض الاستراتيجية .

وفى منتصف مايو ١٩٤١ بدأت القوات الألمانية فى النظر فى إتجاه روسيا ، إذ أن هتلر قرر أن يضرب هذا الشعب فى يونيه . ولقد كانت معركة بريطانيا صدمة لألمانيا ، ولكن رغم هذا ، قامت قوى المحور بعد ذلك بتوسيع إستراتيجيتها . وهوجمت مصادر قوة بريطانيا . فقد قصفت قواعد ومراكز الصناعة ، بينما هوجمت جواً وبحراً المواصلات البحرية البريطانية .

وفى سبتمبر ١٩٤٠ بدأت إيطاليا هجومها فى شمال أفريقيا ، وفى أكتوبر غزت اليونان ، وكان على الألمان مساعدتهم بسرعة فى كلتا المنطقتين . وربما كان الدافع لموسولينى هو غيرته من نجاح الألمان .

ولكن الحرب فى مسرح البحر المتوسط كانت لها قيمة أستراتيجية حقيقية للمحور ، إذ أنها ضربة بعيدة المدى لمواصلات الإمبراطورية البريطانية . وكانت إستراتيجية المحور حتى هذه النقطة جسورة ، وواقعية وناجحة ولكن إلى حين .

روميل وحرب الصحراء (أنظر اللوحة رقم ٥٠)

وبعد ذلك ، فى ٢٢ يونيه ١٩٤١ قامت ألمانيا بالهجوم على روسيا ، وهذا خطأ إستراتيجى رئيسى والذى سوف يكون لدى الكثير مايقولونه بخصوصة .

وفى ١١ ديسمبر ١٩٤١ أعلنت ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية ،

ويتعذر فهم دافع هتلر فى جر ألمانيا إلى هوة الخطر الممثلة فى إعلان الحرب على أقوى دولتين فى العالم وفى آن واحد .

ربما كان يخشى من الهجوم عليه ، أو ربما إستبد به جنون العظمة . ولم تكن هناك صلة كبيرة بين الحرب التى دارت فى الغرب وتلك التى بدأت فى الشرق الأقصى عندما هاجمت اليابان الولايات المتحدة فى « بيرل هاربور » فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ . وكانت هناك معاهدة بين ألمانيا واليابان ، ولكنهما من الوجهة العلمية لم يوحدا عملياتهما مثل ما عمل الحلفاء .

وحيث أنه كان لدى كل منهما أعداء مشتركين فقد عمل كل منهما إلى حد ما فى شغل خصوم الآخر ، هذا بالرغم من أن روسيا واليابان لم تحاربا بعضهما مطلقاً . وأصبح الآن على هتلر أن يحارب ليس فقط الإمبراطورية البريطانية فحسب وإنما روسيا والولايات المتحدة الأمريكية أيضاً .

وأخذ قادته العسكريون ينظرون إلى المشكلة بأمل ضئيل وخاصة بعد أن ثبت أن إحدى قوى المحور وهى إيطاليا أضعف من أن يعتمد عليها . وكان لدى إيطاليا قوات بحرية وجوية قوية فى البحر الأبيض المتوسط ، وأيضاً كان لديهم جيش كبير فى ليبيا .

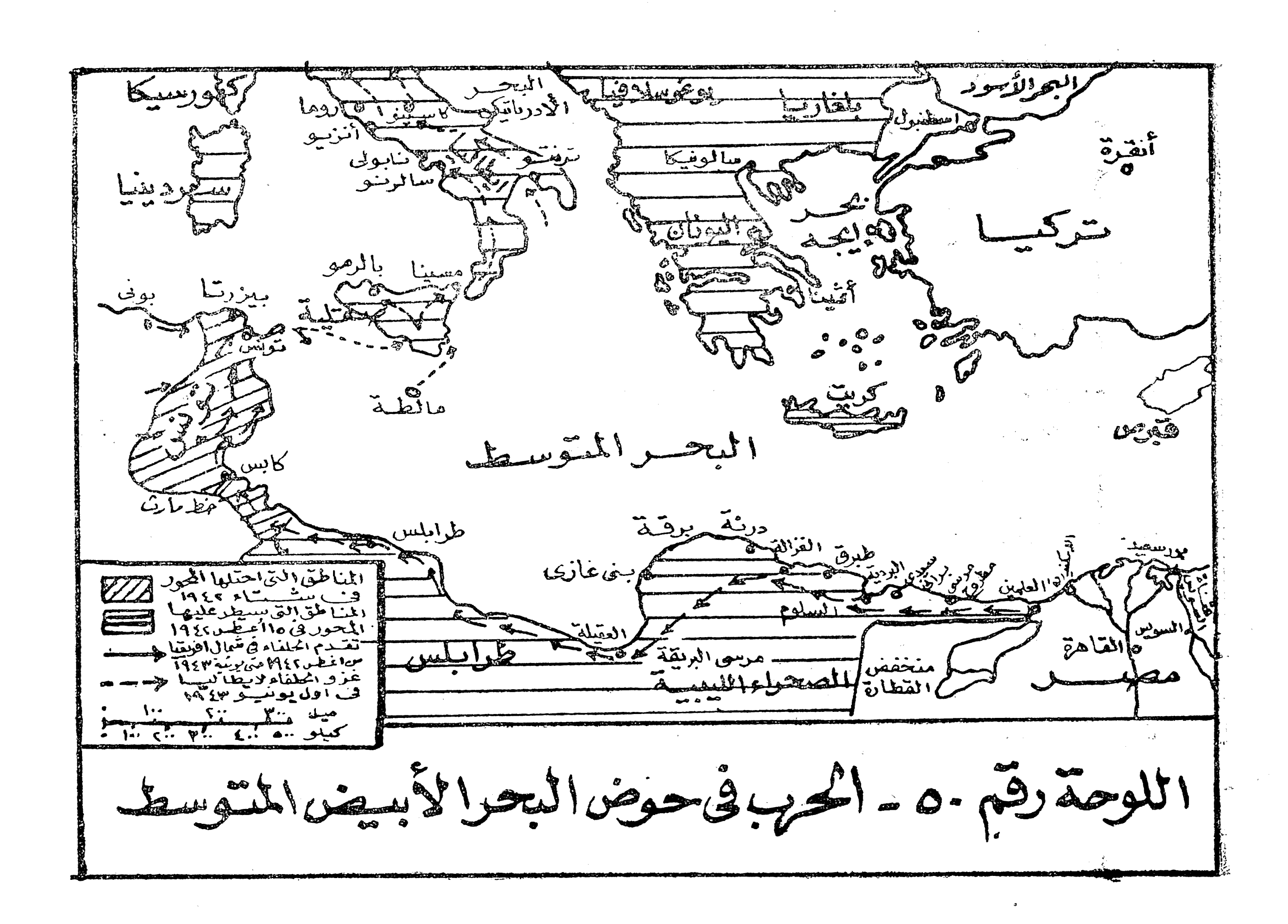
وفى ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ بدأت القوات الإيطالية زحفها من برقة فى إتجاه مصر وبعد إستيلائها على السلوم واصلت تقدمها حتى سيدى برانى حيث توقفت . وقرر ويفل القائد العام البريطانى ، بالرغم من قواته الأقل كثيراً من القوات الإيطالية ، وجوب التصدى بشجاعة للعدو الذى يهدد مصر .

وقامت قوة الصحراء الغربية بالهجوم تحت القيادة الفعلية للميجور جنرال « أوكونور » على الإيطاليين .

وخلال ليلة ٨ — ٩ ديسمبر تمكن الهجوم من إختراق خط التحصينات الإيطالية[١] وإستولوا عليها الواحد بعد الآخر . وبعدذلك بليلتين واصلت قوات « أوكونور » إختراقها

---

(١) كان الموقع الدفاعى الإيطالى مملوء بالعيوب التكتيكية فكان غير محصن ولا مدافع عنه جيداً مما سهل للانجليزالإستيلاء علية وبسرعة . « المعرب »



اللوحة رقم ٥٠ - الحرب فى حوض البحر الأبيض المتوسط

إلى البحر غرب سيدى برانى لمنع إنسحاب القوة الإيطالية الرئيسية . ذلك الهجوم الذى بدأ كإغارة وتصاعد حتى تحول إلى حملة .

وتم الإستيلاء على طبرق فى ٢٢ يناير ١٩٤١ ، وتقدم البريطانيون مرة أخرى للأمام بجسارة وتم الإستيلاء على « مرسى البريقة » و « العقيلة » فى ٢ فبراير . وتمكنت القوات البريطانية المكونة من فرقتين من تدمير القوات الإيطالية المكونة من عشر فرق ، وتم أسر ١٣٠٫٠٠٠ و ٣٨٠ دبابة و ٨٤٥ مدفعاً بينما خسر الإنجليز ٥٠٠ قتيل و ١٫٤٠٠ جريح . وكان من عوامل النجاح ، الشجاعة وخفة الحركة ، وفوق كل ذلك قيادة « أوكونور » والتعاون الوثيق المتبادل بين الأسلحة الثلاثة .

وهزم الايطاليين أيضاً فى شرق أفريقيا وفى أريتريا والحبشة نتيجة خفة الحركة العالية والاندفاع بقوة بالرغم من صغر الجيوش البريطانية المهاجمة عن القوات المدافعة الايطالية .

وخلال نفس الفترة ألحق أسطول الأدميرال « كاننجهام[1] » خسارة فادحة فى البحرية الايطالية .

وفى ١٥ أكتوبر غرقت ثلاث مدمرات إيطالية ، وفى ١١ نوفمبر قامت طائرات الأسطول بإغراق ثلاث بوارج إيطالية بالطوربيدات وذلك فى ميناء « تورنتو » .

وفى ٩ فبراير قصفت جوا أحواض السفن فى جنوة ، وفى ١٩ مارس وفى إشتباك خارج « كاب ماتابان » دمر « كاننجهام » ثلاث طرادات ومدمرتين ، بخسارة طائرتين فقط . كل ذلك كان نجاحاً مشجعاً . ولكن فى ١٢ فبراير ١٩٤١ وصل الجنرال روميل إلى طرابلس ومعه عناصر متقدمة من فيلقه الأفريقى ، وبدأت الأحداث تنعكس ضد البريطانيين مرة أخرى . وفى نهاية مارس هاجمت قوات روميل المدرعة قوة الصحراء الغربية فى « مرسى البريقة » وأجبرت البريطانيين[2] على الإنسحاب . ولسوء الحظ وقع « أوكونور » فى الأسر أثناء الأنسحاب . وفى ١٣ أبريل طوق روميل طبرق وتم حصارها

(١) كان هذا الأسطول متمركزاً فى الإسكندرية .

(٢) لقد ضعفت قوة الإنجليز لسحب قوات منها للعمليات فى اليونان . « المعرب »

ولكنها صمدت . وفى ٢٨ أبريل عبر روميل الحدود المصرية وإحتل «ممر حلفايا» «والسلوم». وخلال هذه الفترة من الكوارث البريطانية إتخذت الخطوات الأولى بإستطلاع مواقع دفاعية فى منطقة العلمين ، لتستخدم فى حالة حدوث أسوأ الإحتمالات . وقام ويفل بهجمات عديدة ولكن بدون جدوى ، وإستمر روميل مسيطراً على مسرح الصحراء .

وفى أول يوليه ١٩٤١ عين ويفل قائداً عاما فى الهند ، وعين «أوكنلك» قائداً عاما للشرق الأوسط ، فى أكتوبر ١٩٤٠ غزا الإيطاليون اليونان ، ولكنهم فشلوا هناك أيضاً . وكان على الألمان التدخل فأجتاحوا يوغوسلافيا واليونان فى ربيع ١٩٤١ . وفى ٢٠ مايو غزا الألمان جزيرة كريت ، وكانت طريقة الغزو إسقاط مظليين[1] بعد قصف جوى للدفاعات المضادة للطائرات ثم أتبعوا هذا الإسقاط بقوات منقولة بالطائرات الشراعية وكانت عملية جريئة وماهرة بالرغم من أنها كلفت الألمان كثيراً . وسقطت كريت فى أيدى الألمان ، وقد تطلبت عمليتى اليونان وكريت جلب قوات برية من الصحراء وأيضاً قوات جوية . وقد إعتبرت دائماً التدخل البريطانى فى اليونان خطأ إستراتيجياً ، لأنه أضعف الجبهة البريطانية جنوب بنى غازى ، وفى النهاية طردت القوات البريطانية من اليونان وكريت وبرقة .

هتلر وروسيا (العملية باربا روسيا) (أنظر اللوحة رقم ٥٠ ، ٥١)

والآن يجب علينا الآن دراسة الهجوم الألمانى على روسيا ، ذلك الهجوم الذى أطلق عليه الأسم الكودى « باربا روسا » ، وبدأ الهجوم فى ٢٢ يونية ١٩٤١ وتم بسرعة كبيرة وبتقدم واسع . وكانت خطة العمليات هى قيام الألمان بعمليات حصار فى سلسلة من الجيوب فى المناطق النائية بواسطة ضربات تتلاقى ، وتقوم بها القوات فى تشكيل أرتال ، على ألا تستدرج القوات الألمانية إلى الأراضى الفسيحة المكشوفة للدولة . وكان لدى الألمان ١٤٥ فرقة ، منها ٢٠ فرقة مدرعة ، وكذلك بعض قوات من الدول التابعة لهم . وكان على هذه القوات مهاجمة ١٥٨ فرقة روسية و٥٥ لواء مدرع محتشدة بالقرب من الحدود . ونجحت طريقة الضربات المتلاقية نجاحاً كبيراً ، وتم أسر قوات روسية وبأعداد كبيرة خلال عام ١٩٤١ . وقام جوديريان بقيادة فرقة مدرعة واحدة فى أبرع عمليات الحرب ، وذلك فى ضربته الموجهة إلى «سمولنسك

---

(١) أصبح هذا الأسلوب معمماً فى جميع الجيوش المتحضرة فى الوقت الحاضر . «المعرب»

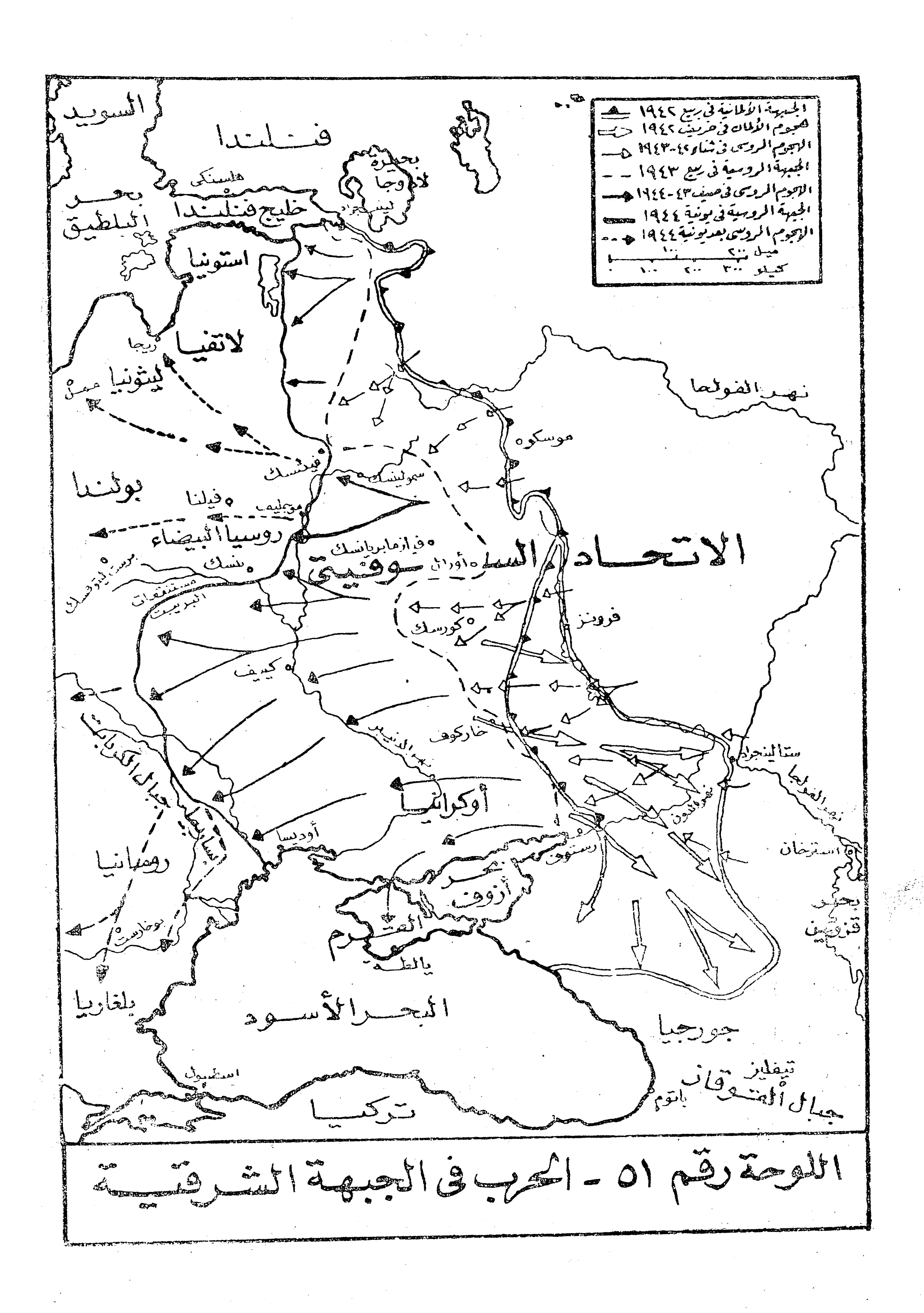
وتطويقه القوات المعادية[1] فى هذه المنطقة . ووقعت المعارك الرئيسية عند « كييف » و « فيازما برياتسك » و « بحر أزوف » . ولـكن قبل حلول الشتاء ، وبعدأن قطع الألمان ٧٠٠ ميل ووصلوا إلى مسافة ١٥ ميلا من موسكو ، صدرت أوامر هتلر لقادته بعدم القيام بضربة نهائية على مراكز المواصلات الروسية والعاصمة الشيوعية . وتولى هتلر القيادة العليا المباشرة من الفيلد مارشال « فون براوشيتش » وإنسحب الألمان بعض الشىء إلى الخلف لتمضية فصل الشتاء . وكانت الوحدات الألمانية غير مجهزة لمقابلة شتاء روسيا الرهيب[2] وعانت أيضاً كثيراً من الهجمات المضادة للروس ، ولـكنها تحملت مشاقاً صعبة بثبات وجلد رائعين . وفى ربيع ١٩٤٢ ، إمتدت الجبهة الشرقية من « لينينجراد » إلى « روستوف » على نهر الدون ، وبالتالى كان يحتل الألمان أفضل مناطق القمح الروسية وأيضاً مناطقها الصناعية الرئيسية . وفى البداية رحب الشعب الروسى بالألمان كمحررين له من حكم ستالين ولـكن هتلر فشل فى الإستفادة من ذلك ، وقرر أن أفضل وسيلة للتهدئة هى القسوة والتدمير . وتمت عمليات إخلاء جماعية للسكان بواسطة « وحدات الأمن » بأوامر من « هتلر » ومن ذلك الوقت ومابعده أصبح التعذيب والقتل من أكثر الأمور شيوعاً . وهكذا كانت معاملة الألمان مع الذين هزموهم أو أسروهم .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه السياسة ، هى حرب للمقاومة السرية المهلكة والتى إمتدت فى كل المناطق المحتلة فى أوروبا الشرقية ، وقاسى الألمان منها الـكثير . وإستأنف الألمان الهجوم فى عام ١٩٤٢ ، قاصرينه على الجبهة الجنوبية من « كورسك » حتى « خاركوف » وزحف للأمام حوالى ٥١ فرقة ألمانية يدعمها تفوق جوى كامل ، إلى « فرونز » على الجانب الأيسر ، وإلى « ستالينجراد » فى الوسط ، وذلك كتوطئة لهجوم حاسم فى القوقاز بغرض الإستيلاء على حقول البترول . ولـكن قبل أن يتم ذلك ، قام الروس بهجومهم المضاد عند « ستالينجراد » . وقد صمد الروس قبل ذلك أمام هجوم الألمان عند « ستالينجراد » باذلين فى ذلك مقاومة عنيفة . وخلال هذا الوقت أخذت القوة الروسية تزداد بسرعة عن طريق الإنتاج المتزايد

---

(١) لم يكن الروس مجهزين بالمعدات أو حتى الأفكار التى تمكنهم من مواجهة تكتيكات الهجوم الخاطف .

(٢) كانت القوات الألمانية ترتدى الملابس الصيفية ولم يجهز لها ملابس لشتاء روسيا وذلك لإعتقاد هتلر بأن حملة روسيا ستنتهى قبل حلول الشتاء . « المعرب »



اللوحة رقم ٥١ - الحرب فى الجبهة الشرقية

للمصانع الواقعة خلف مناطق القتال ، وأيضاً بواسطة المساعدات الأمريكية والبريطانية التى دفعت لهم عن طريق إيران وعن طريق البحر حول الرأس الشمالى للنرويج ، فى نفس الوقت توالى رجال أكفاء قيادة الجيش الأحمر . وفى نوفمبر ١٩٤٢ ، وبعد أن دعموا بقوة تحول الروس إلى الهجوم تحت قيادة المارشال زوكوف ، هذا الرجل العسكرى الممتاز والذى أعرفه جيداً ، وأغلق طرفى الكماشة على ١٨ فرقة ألمانية ورومانية عند ستالينجراد ، ولم يسمح لهم بالإنسحاب . وفى ٣١ يناير ١٩٤٣ إستسلمت القوات المتبقية من الجيش السادس الألمانى بقيادة الجنرال « باولوس » . وفى نفس الوقت قام الروس بفك حصار ليننجراد . وإضطر الفيلد مارشال فون ليست إلى سحب مجموعة الجيوش الألمانية من القوقاز ، حتى يتفادى وقوعها فى الفخ ، وأيضاً لكى يتمكن من إصلاح جبهة الدون . وقد تم هذا الإنسحاب من خلال « روستوف » بمهارة عظيمة .

وكان الروس فى ذلك الوقت يتقدمون بخطوات واسعة حتى وصلوا إلى « خاركوف »[1] فى منتصف فبراير ١٩٤٣ .

ومن الجدير بالذكر أن الروس فى تقدمهم نحو « خاركوف » إضطروا للتوقف لفترة ، لأن « مانشتين » كان موطداً أقدامه فى هذه المنطقة ، كما جعل ذوبان الثلج فى الربيع ، التحركات صعبة . وفى يولية قام الألمان بأقوى هجوم مدرع فى الحرب عند « كورسك » ، ولكن الروس صمدوا بصلابة . وخلال هذا الوقت كان الجيش الروسى تزداد قوته بالتدريج فى العتاد والأعداد ، تحت قيادة قادة جدد ، وعلى الخصوص « كونيف » و « ركوسوفكسى » اللذين أعرفهما . ولم تعد الآن القوة الألمانية هى ذاتها القوية كما كانت فى عام ١٩٤١ . وفى سبتمبر وصل الروس إلى « سمولنسك » فى الشمال ، وعلى نهاية عام ١٩٤٣ وصلوا إلى « كييف » فى الجنوب . وبدأ المد فى التحول فى الجبهة الروسية نحو أماكن أخرى . ففى الشهور الستة التالية إعتباراً من أكتوبر ١٩٤٢ (معركة العلمين) تم طرد الألمان من شمال أفريقيا ، وأتبع الحلفاء هذا النصر بالإستيلاء على جزيرة صقلية وبغزو إيطاليا .

وفى هذا الوقت كان الأمريكيون قد قطعوا شوطاً كبيراً فى بناء قوتهم الضخمة والتى كان

---

(١) على مسافة ٣٥٠ ميل إلى الغرب من ستالينجراد . « المعرب »

الإحتياج إليها شديداً . وفى شتاء ٤٢ — ١٩٤٣ تصاعد قصف الحلفاء الجوى لألمانيا . وفى صيف ١٩٤٣ تحولت الحرب فى الأطلنطى بشكل حاسم فى صالح البريطانيين والأمريكيين.

تشرشل يقابل روزفلت

وفى يناير ١٩٤٣ وعلى ثقة بالنصر ، تقابل تشرشل مع روزفلت فى « كازابلانكا » لتحديد إستراتيجيتهما، وأعلن كلاهما أن سياسة الحلفاء تهدف إلى الحصول بالقوة على «إستسلام» ألمانيا وإيطاليا واليابان بدون قيد ولا شرط .

وقد إعتبرت دائماً هذا القرار خطأ مفجعاً ، وما أدى إليه هذا القرار لخصه المرحوم اللورد هانكى فى كتابه « السياسة — تجارب وأخطاء » قائلا : — « لقد زاد هذا القرار من مرارة الحرب ، وأصبح لا مناص من القتال حتى النهاية ، وأغلق الباب فى وجه أى إحتمال ليقدم أى من الجانبين شروط أو البدء فى مفاوضات ، معطياً للألمان واليابانيين شجاعة اليائس ، مقوياً من مركز هتلر « كأمل ألمانيا الوحيد » ، ومدعما بدعاية «جوبلز » ، جاعلا من النزول فى نورماندى أمراً محتوماً ، وما ترتب على ذلك من تقدم قاسى منهك ومهلك ، عبر شمال فرنسا وبلجيكا ، ولوكسمبورج وهولندا وألمانيا .

وأدت إطالة الحرب إلى تمكين ستالين من إحتلال كل شرق أوروبا وإسدال الستار الحديدى عليها .

وقد أدى القضاء على أكثر العناصر كفاءة فى ألمانيا واليابان إلى تأخير إعادة الحياة وإعادة التعمير . ومن سوء الحظ أيضاً أن تلك السياسة لم تفعل أى شىء لتقوية الجانب المعنوى للحلفاء .

ولكن منذ أن تحولت الحرب إلى صالح الحلفاء أصبح التسليم غير المشروط لكل أعدائهم[1] هو هدف الحلفاء الإستراتيجى . وأقترح الآن أن نتطلع أكثر قرباً إلى جوانب معينة من هذه التطورات الإستراتيجية .

لقد كان الهجوم على روسيا هو خطأ هتلر المميت ، فقد كان هذا حماقة مزدوجة منه أن

(١) فيما يختص بألمانيا الهتلرية ، فعندما إنتهت الحرب لم تكن هناك حكومة يمكنها الاستسلام ، بل مجرد قيادة عليا فقط . « المعرب »

يقوم بذلك قبل أن ينتهى الألمان بنجاح فى الحرب ضد بريطانيا فى البحر المتوسط وفى شمال أفريقيا .ولو أرسل هتلر جزء من القوات والمعدات التى إستخدمت ضد الروس إلى أفريقيا ، وخاصة الفرق المدرعة ، فكان من المحتمل إمكان إستيلاء الألمان على مصر وقناة السويس بل كان من الممكن إنشاء معقل لهم فى الشرق الأوسط .

الرمية الاخيرة للمقامر (أنظر اللوحة رقم ٥٠)

وخلال كل هذه الحرب ، إعتمد النجاح فى الحرب فى الصحراء الأفريقية بطبيعة الحال على القيادة ، ولكنه إعتمد أيضاً بدرجة ملحوظة على عاملى المعدات والأمداد ، وتلك هى المشكلة التى سأقوم الآن بمناقشتها .

ولقد كانت التغيرات الهامة التى طرأت على ميزان هذين العاملين هى السبب الرئيسى فى تحرك كلا الجانبين جيئة وذهابا عبر الصحراء . وهزم ويفل الإيطاليين عام ١٩٤٠ بقوات أقل عدداً ولكنها أحسن تجهيزاً . ثم وصل روميل ومعه فيلقه الأفريقى ، وتغير الميزان إلى صالح المحور .

وفى عام ١٩٤١ وحتى خريف ١٩٤٢ توفر لدى الألمان تفوقاً فى المعدات حيث كانت دباباتهم أفضل تسليحا من الدبابات البريطانية والتى كانت مدافعها أقل قدرة . وعلى سبيل المثال كان المدفع البريطانى المضاد للدبابات ٢ رطل ، بل وحتى المدفع ٦ رطل أقل قوة من المدفع الألمانى ٨٨ مم والذى يستطيع إختراق درع سميك للدبابة على مسافة ٢٠٠٠ ياردة . وفى الحقيقة كان هذا المدفع مدفعاً مضاداً للطائرات ، ولكن وجد روميل أنه يصلح كمدفع مضاد للدبابات وله تأثير فعال عليها ، وقد إستخدمه عادة فى هذا الواجب . وأمثلة أخرى لتفوق المعدات الألمانية ، هو خزانات البترول والمعروفة باسم « جيريكان » ، وكذلك ناقلات الدبابات والتى كانت توفر إستهلاك الجنزير .

ومن الجدير بالذكر أن المعدات التى تعطى تفوق فى خفة الحركة وقوة النيران لها قيمة كبيرة فى الحرب فى الصحراء المفتوحة . نظراً لعدم إعتمادها على الدفاعات الثابتة . وأفضل الوسائل فى كسب المعركة هى السرعة والمناورة الواسعة والتفوق فى قوة المدفعية والمدرعات .

وقد شبه ويفل فى ذات مرة تكتيكات الحرب فى الصحراء بالحرب فى البحر .

وكانت الألغام تزرع بكثرة فى الصحراء تماماً مثلما كانت توضع فى البحر . ولقد إمتلك الألمان التفوق فى المعدات ، ولكنهم لم يتفوقوا دائماً فى الإمداد ، والذى كان من العوامل ذات التأثير الكبير . وأدى إحتفاظ البريطانيين بطبرق بعد كارثة مارس ١٩٤١ إلى حرمان روميل من أحد القواعد الهامة .

أما بالنسبة لبريطانيا ، فكانت مالطة نقطة حيوية لإمداد البريطانيين وفى نفس الوقت قاعدة يمكن أن تخرج منها الغواصات والطائرات لمهاجمة خطوط إمداد العدو . ولم يلق الألمان إنتباهاً كافياً لمالطة فى عام ١٩٤١ ، ولذلك فى أغسطس من هذا العام فقد الألمان والإيطاليون ٣٥٪ من إمداداتهم وتدعيماتهم عند محاولتهم عبورها البحر المتوسط ، وإرتفع الرقم فى الخريف إلى ٧٥٪ .

وفى الفترة بين أكتوبر ١٩٤١ وأوائل يناير ١٩٤٢ ، إفتقر روميل نسبياً إلى الإمدادات ، ولذلك إستطاع «أوكنلك» على إرغام روميل مع دفعه للخلف إلى العقيلة ، ملحقاً به خسائر جسيمة فى الرجال والمدرعات ، وعندئذ أدرك الألمان مدى ما لعامل الإمداد من أهمية حيوية .

وفى شتاء عام ١٩٤١ تحولت ٢٥ غواصة من الأطلنطى إلى البحر المتوسط ، وفى ديسمبر بدأ المحور هجوماً قوياً على مالطة ، ونتيجة لهذا الهجوم ، لم تفقد قوات المحور فى يناير ١٩٤٢ طناً واحداً من الإمدادات خلال عبورها البحر المتوسط ، بينما بلغت خسائر البحرية البريطانية حداً فادحا فى هذه الفترة .

وهنا بدأ دور البريطانيين فى المعاناة من نقص الإمدادات . فقد كان «أوكنلك» قد تقدم لمسافة طويلة ، وأصبح جيشه بعيدا جداً عن قاعدته الإدارية فى مصر .

وفى نهاية يناير ١٩٤٢ عاود روميل الهجوم ، ، ولكنه توقف عند خط الغزالة ، ثم هاجم ثانية فى أواخر مايو وإستولى على طبرق فى ٢١ يونيه ، وأصبحت مالطة فى خطر عظيم . وواصل روميل زحفه بسرعة تميزت بالمهارة والجرأة . وطرد البريطانيين من مرسى مطروح حتى قبل أن يتمكنوا من تجميع شملهم .

وفى نهاية يونيه ١٩٤٢ وصل إنسحاب الإنجليز حتى خلف موقع العلمين ، حيث أنشأوا

موقعاً دفاعياً صعب الإجتياز بين البحر ومنخفض القطارة ، وكان مواجهة الموقع الدفاعى ٣٠ ميلا فى خط مستقيم . وخلال شتاء ٤١ — ١٩٤٢ كان على « أو كنلك » أن يرسل بعض قواته للحرب ضد اليابان ، وبطبيعة الحال إفتقر إلى القوات والمعدات ليسدد ضربته إلى روميل . وعلى كل حال صمد موقع العلمين بصلابة فى وجه هجمات روميل فلم يكن لهذا الموقع أجنابا مفتوحة . ومرة أخرى تأرجح بندول الإمدادات مع الألمان وهم على مسافة ٦٠ ميلا فقط من الإسكندرية ، ووجد جيش روميل نفسه فى نهاية خط إمداد طويل . وقام كل من «أو كنلك و«تيدر»[1] باستغلال هذه الفرصة بمهارة وذكاء ، وقامت القوات الجوية بقصف مركز الإمداد الألمانى فقط على طول الشاطىء ، فى مرسى مطروح والبردية وطبرق ، حتى أصبحت أقرب قاعـدة إمداد لروميل هى بنى غازى والتى تبعد ٦٨٠ ميلا إلى الغرب من العلمين ، وأكثر من ذلك فقد أجل هتلر التصفية النهائية لمالطة ، مما أدى إلى تحسين موقف الإمداد البريطانى .

ووصلت قوات إضافية وأرسل الأمريكان ٣٠٠ دبابة شيرمان و ١٠٠ مدفع ذاتى الحركة ، وأصبح الميزان متكافىء مع الألمان .

وكان هذا هو الموقف فى منتصف أغسطس ، عندما حل الجنرال « الكسندر » محل « أوكنلك » كقائداً عاماً للشرق الأوسط ، وعينت أنا قائداً للجيش الثامن وقد وضحت بجلاء للجيش الثامن عن مدى تصميمى على هزيمـــة روميل وجيشه مرة واحدة وللأبد ، وذلك بطرد قوات المحور كلية من أفريقيا . ولكنى قررت فى نفس الوقت ألا أبدأ المحاولة حتى تكون قواتى مستعدة تماماً ، وهو ما كنت أذكره كثيراً للضباط والجنود . فكان يجب أن تتوفر لنا الإمدادات الكافية ليس فقط لهزيمة روميل فى العلمين ، ولكن أيضاً لمطاردته غرباً حتى نستطيع فتح موانى طبرق وبنى غازى . وبناءاً على ذلك أمضيت شهرين فى بناء الجيش وروحه المعنوية . وقمت بإدخال نظام فعال وجديد فى القيادة ، بحيث يتولى رئيس الأركان كل تفاصيل أعمال القيادة بينما أتفرغ أنا للتركيز على المشكلة الرئيسية الخاصة بهزيمة خصمى الشهير روميل .

(١) قائد القوات الجوية البريطانية بمسرح الشرق الأوسط .

« المعرب »

وفى ٣٠ أغسطس قام روميل بالهجوم على الجيش الثامن ،وهو هجوم بمثابة الرمية الأخيرة للمقامر بغية الوصول إلى القاهرة والإسكندرية .

وكان هدفه تبه « علم حلفا » والتى تمثل المفتاح الحقيقى لموقع العلمين ، وكنت متوقعاً مثل هذا الهجوم وقد فكرت بعمق فى إنتصارات روميل السابقة فى الصحراء ، ولاحظت أن تكتيكيه المفضل هو إغراء الدبابات البريطانية على مهاجمة مدرعاته والتى تكون محمية بستارة من المدافع المضادة للدبابات ، حيث يتم تدمير جزءاً كبيراً من المدرعات البريطانية ، ثم يقوم بعد ذلك بدفع مدرعاته لتوجيه ضربة قاضية لما تبقى من المدرعات البريطانية . وقررت أن ألعب معه بنفس تكتيكه .

ففى معركة «علم حلفا» تلقت قواته ضربات عنيفة من المدافع المضادة للدبابات البريطانية وكذلك من الدبابات المتمركزة فى مواقع دفاعية مجهزة ، حتى إضطر روميل إلى إيقاف القتال والإنسحاب وبذلك كسبت أولى معاركى مع روميل ، وكانت معركة دفاعية . فى ذلك الوقت لم يكن قد مضى على وقت طويل فى الصحراء ولكن كان يدور بخلدى نقطة راسخة ، بأن حرب الصحراء لا يناسبها أن يتم السيطرة عليها من بعيد . وقررت خلق قيادة واضحة، تمكننى من أن أقبض بقوة على زمام الجيش الثامن بحزم وبطريقة تعتمد على وضوح الرؤيا حتى لا يكون هناك مجالا للشك فى أى شىء .

دحر جيش روميل فى شمال أفريقيا (أنظر اللوحة رقم ٥٠)

وبعد معركة «علم حلفا» مضيت فى تحضيراتى إستعداداً للهجوم الكبير الذى صمت أن يكون هو بداية لنهاية روميل فى أفريقيا .

وقد توفر لنا التفوق الكبير فى القوات والمدرعات كما كان لدينا التفوق الجوى بنسبة ٣ : ١ ، فى نفس الوقت كان الألمان تفتقر بشكل كبير إلى البترول . ولما كانت المفاجأة الإستراتيجية غير ممكنة فقد خططت للحصول على المفاجأة التكتيكية . وقمنا بتنفيذ خطة خداع متقنة بواسطة إقامة منشآت هيكلية مع تنفيذ بعض العمليات المتنوعة المضللة وذلك حتى نقنع روميل بأن هجومنا الرئيسى سيكون فى الجنوب بينما كنا سنوجهه فى الشمال . وفى الحقيقة كانت خلاصة الخطة هى فتح ثغرتين فى جبهة العدو فى الشمال حيث يقوم المهندسون

بتطهير الثغرات خلال حقول الألغام مستخدمين فى ذلك مكتشفات الألغام مع معاونة الدبابات الدقاقة[١] ، ثم تتقدم فرق المشاة خلال الثغرات على أن تتبعها الفرق المدرعة[٢] . وقدرت أن فرق روميل المدرعة سوف تقوم بالهجوم على فرق المدرعة وهى فى مواقعها المجهزة وذلك لإنقاذ مشاتها من التدمير .

وأثناء هذا القتال تقوم فرق المشاة البريطانية بهزيمة مشاة العدو بعمليات « تفتيت » على الأجانب وفى المؤخرة .

وقد تم ذلك تماماً كما قدرت ، وقد بدأت معركة العلمين فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ وكانت معركة قاسية ، وقد قوبل هجومنا بمقاومة يائسة ، وكانت الهجمات المضادة لمدرعات العدو عنيفة ، وقد إزدادت مقاومة الألمان فى الشمال حيث كان مخططا أصلا لعملية إختراقنا الرئيسى ، لذلك قررت أن تكون ضربتنا النهائية للاختراق إلى الجنوب قليلا وبالذات فى المنطقة التي يحتلها الإيطاليون من الموقع الدفاعى . وفى ٢ نوفمبر تمت هذه الضربة القاضية والتى تسمى « عملية سوبر تشارج » .

ولقد كتب الكثير عن معركة العلمين ، وفى الواقع فإن القليل جداً من المعارك الحديثة قد لقيت إلتفاتاً كبيراً من الكتاب البريطانيين مثلما لقيت هذه المعركة ، ولا يسمح لى الحيز هنا بمناقشة المعركة بالتفصيل[٣] .

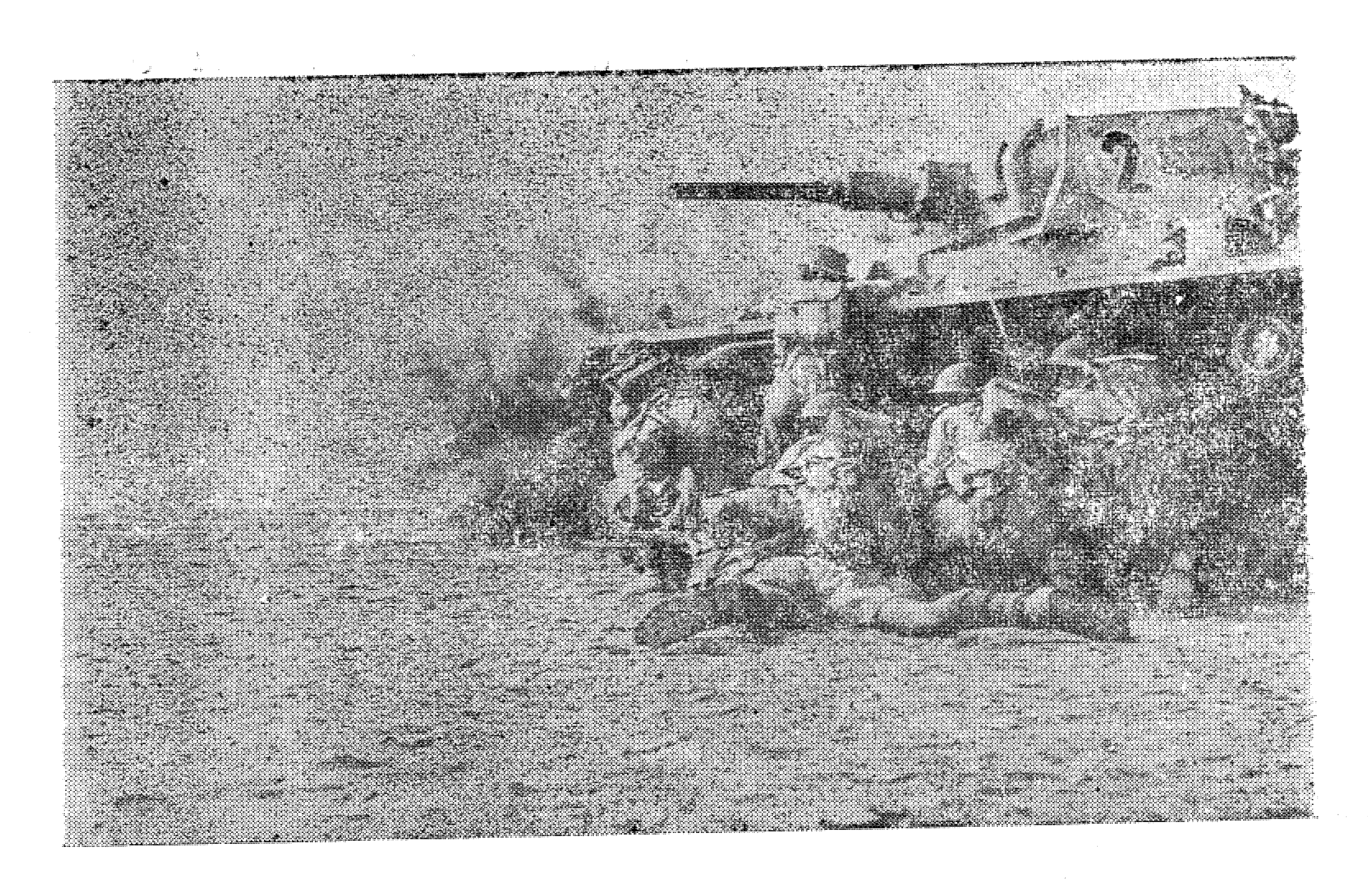
وفى ٤ نوفمبر كان من المؤكد أن المعركة قد كسبت ، وإلى مدى بعيد كانت هذه المعركة فى نظر البريطانيين نقطة التحول فى الحرب ، وقد إستمرت هذه المعركة ١٢ يوماً أسرنا خلالها ٣٠٠٠٠ أسير من بينهم ٩ جنرالات ، بينما خسرنا حوالى ١٣٠٠٠ مقاتل من جميع الرتب ، وبعد ذلك بدأت المطاردة .

---

(١) الدبابات المجهزة لتفجير الألغام الموجودة فى الثغرات .

(٢) كانت على كل المدرعات البريطانية أن تحتل مواقع مجهزة على طرق الاقتراب خلف الموقع الدفاعى للمشاة الألمانية فى حين تقوم المشاة البريطانية بتدمير المشاة الألمانية الموجودة فى الموقع تحت ستر المدرعات الإنجليزية .

(٣) يمكن الرجوع لهذه المعركة فى قرارات هتلر المميتة التى سوف تنشر بعد سلسلة « الحرب عبر التاريخ » حيث يوجد جزء كامل يتكلم عن معركة العلمين ، ويمكن أيضا الرجوع إليها فى مذكرات روميل تعريب العميد فتحى النمر ، ويطلب من الناشر مكتبة الأنجلو المصرية . « المعرب »



القوات المدرعة والمشاة البريطانية فى معركة العلمين وهى تقاتل فى تعاون وثيق

لقد إستطاع روميل قبل ذلك التخلص من المعركة لينسحب قبل أن يجبر على ذلك ، ولـكن كان عادة إنسحابه فى ذلك الوقت لأسباب إدارية ، وعلى كل حال لم يحدث أن هزم روميل فى أى وقت أو فى أى معركة أثناء حرب الصحراء قبل ذلك ، ولـكن ذلك قد حدث الآن . وظل هدفى قائماً والذى يتضمن طرده هو وقواته من أفريقيا . لقد أصبح فى ذلك الوقت يفتقر للوقود بدرجة كبيرة لدرجة أنه أصبح غير قادر على القيام بأى مناورة كبرى ، ولـكنه كان قائداً ممتازاً . وقـد قام بهجمات مضادة عديدة علينا ، كنا نعتبرها بعيدة الاحتمال .

وصممت على ألا تـكون هناك عودة إلى الخلف بعد ذلك فى حرب الصحراء ، كما كنت غير مستعداً للقيام بأى مخاطرات فاشلة خلال المسيرة الطويلة إلى طرابلس ، وبعد ذلك إلى يونس ، علاوة على ذلك كنت أريد أقل خسائر ممكنة .

لقد أستغرق الأمر وقتاً طويلا لمواصلة المطاردة ، بسبب الإرتباك فى منطقة الإختراق بعد المعركة ، علاوة على هطول الأمطار .

ولـكن عندما تحرك الجيش الثامن ، تحرك بسرعة ، واضعاً نصب عينيه باستمرار على النقط الحيوية للامداد فى طبرق وبنى غازى وطرابلس . ووصلنا إلى طرابلس فى ٢٣ يناير ١٩٤٣ ، وبمجرد فتحنا للميناء فلم يعد هناك أى خطر كبير فى المستقبل من فقدنا التفوق نتيجة نقص فى الإمدادات .

وفى نفس الوقت ، فى شهر نوفمبر نزلت قوات أنجلو — أمريكية تحت قيادة الجنرال أيزنهاور فى شمال أفريقيا الفرنسى ، وأصبح روميل الموجود فى تونس محصوراً بين قوتين . ولـكنه قـد قام فى فـبراير بتوجيـه ضربات أليمـة وحادة للأمريكيين فى منطقة « ممر كاسرين » .

ولـكن فى ٣٠ مارس هاجمه الجيش الثامن عند «خط مارث» حيث طوق جناح الألمان الأيمن مجبره على الإنسحاب ، وكانت هذه بداية النهاية .

وفى ٣١ مايو ١٩٤٣ إستسلمت قوات المحور فى تونس . وتم تطهير البحر الأبيض المتوسط للملاحـــة الحلفاء بالإستيلاء على صقلية والتى تم إجتياحها فـيما بـين ١٠ يولية و١٦ أغسطس .

وبدأ غزو إيطاليا فى ٣ سبتمبر ، وسرعان ماإستسلمت القوات الإيطالية ، ولـكن القوات الألمانية فى إيطاليا قاومت بعنف .

أما تقدم الأمريكيون على الساحل الغربى ، والبريطانيون على جانب الأدرياتيك فقد ساده شىء من البطء بسبب حلول الشتاء فى إيطاليا .

القصف الجوى على المانيا

يجب على القارىء أن يعرف الآن بعض الشىء عن القصف الجوى على ألمانيا . فقد بدأ البريطانيون قصفاً إستراتيجياً ضد هذه الدولة فى مايو ١٩٤٠ . وحدد الغرض منه بعد ذلك فى مؤتمر « كازابلانـكا » فى يناير ١٩٤٣ بأنه : —

« تدمير وتعطيل متزايد للجهاز العسكرى والصناعى والأقتصادى لإلمانيا ، وإضعاف

الروح المعنوية للشعب الألمانى حتى تصبح قدرته على المقاومة المسلحة ضعيفة للغاية » . وكان الهدف من القصف هو إتمام الحصار البحرى ، بضرب قواعد القوة الأقتصادية لألمانيا ، هذا القصف الذى جعل من صراع ٣٩ — ١٩٤٥ « حربا شاملة » . ولقد تمت أول غارة جوية فى ليلة ١٥ مايو ١٩٤٠ ، وذلك عندما قامت قوة بريطانية من ٩٩ قاذفة بمهاجمة أهداف السكة الحديدية وخزانات البترول فى الرور ، وإستمر القصف بعد ذلك طول عامى ٤٠ ، ١٩٤١ ، ولكن لم تكن النتائج كما كانت مأمولة .

وكان القصف النهارى غير مرغوب فيه نظراً لقوة المدفعية الألمانية المضادة للطائرات وأيضاً خوفا من المقاتلات الألمانية .

وبناءا عليه فقد تعين القيام بالغارات ليلا ، ولكن حتى ذلك جعله الألمان خطيراً جداً نتيجة لإستعانتهم بالرادار . وعلى أى حال فلم يمكن تحقيق الدقة على الأهداف المختارة . وفى المجموع كان تأثير القصف ضعيفاً على الإنتاج الكلى لألمانيا فى ذلك الوقت . وفى عام



مدينة هامبورج بعد قصفها بـ ٩٠٠٠ طن من القنابل

١٩٤٢ زادت كثافة الهجوم الجوى ،فقد دخل الأمريكيون الحرب . وبدأ فى أول مارس إستخدام أول قاذفات « لانكستر » وهى طائرة قوية يعتمد عليها وذات أربع محركات . وفى فبراير إستلم المارشال الجوى « ماريس » قيادة كل القاذفات الهجومية البريطانية ، وإستطاع عن طريق ما يتمتع به من طاقة ومن نشاط أن يدخل التطوير والتحسين على أسلوب هذا الهجوم . فأرتفع بمستوى تدريب الملاحين وقاذفى القنابل ، وفى أغسطس ظهرت قوة « باثفيندر » ، وهى قوة من القاذفات الموسكيتو الخفيفة السريعة التى لها قدرة على المناورة . وكانت هذه القوة تسبق القاذفات من أنواع « اللانكستر » و « الستيرلينج » و « الهاليفاكس » ، لتحدد لهم الهدف بدقة . وفى عام ١٩٤٣ ظهرت أنواع عديدة من أجهزة الرادار للمساعدة فى الملاحة والتنشين . وفى مايو ١٩٤٣ تصدعت السدود فى كل من «سدى » و «موهن » و « أودر » بفعل الغارات التى قام بها سرب « جيبسون رقم ٦١٧ » والتى أعتبر عملا مثيراً للاعجاب . وألقيت ٩٠٠٠ طن من القنابل فى أربع هجمات رئيسية على « هامبورج » ثم تحول القصف إلى برلين بالغارات الأمريكية النهارية والغارات البريطانية الليلية . وقد أدى إصرار الأمريكيون على الغارات النهارية إلى فقد كثير من طائراتهم القاذفة من أنواع « الفورترس » و « الليبيريتور » خلال عامى ٤٢ ، ١٩٤٣ ، ولكن تغير الموقف بظهور الطائرة المقاتلة البعيدة المدى « ب ٥١ موستانج » .وفى عام ١٩٤٤ ، حصل الحلفاء على السيطرة الجوية فوق ألمانيا ، ولكن حتى فى عامى ٤٣ — ١٩٤٤ فالهجمات الجوية لم تحقق ما كان مطلوب تحقيقه من إصابة العدو بالشلل . وعلى أى حال ، فقد أدى قصف الحلفاء الجوى إلى دفع الألمان على التركيز على إنتاج الطائرات المقاتلة، مع توقفهم تقريبا عن أى قصف جوى كانوا يقومون به ،

ألمانيا والحرب البحرية

سوف نتحول الآن إلى الحرب فى البحر . ففى ١٧ أغسطس أعلن هتلر فرض الحصار الكامل على بريطانيا ، وكانت للحرب فى البحر ضد ألمانيا أهمية بالغة ،لأن بريطانيا لم تكن قادرة على إمداد نفسها ، على نحو كاف بالطعام والسلاح إلا بواسطة الأستيراد . ومن ناحية أخرى ، فقد أهمل هتلر بناء قوة بحرية كافية قبل أن يبدأ فى تحقيق أغراضه ، وبالتالى لم

تمكن القوة البحرية الألمانية كافية لتنفيذ حصار مؤثر . وهكذا لم يكن لدى الألمان أى أمل في السيطرة على القنال البريطانى بقوة بحرية من أجل مشروع غزو بريطانيا . وأصبحت الأستراتيجية الألمانية فى البحر ثلاثية : — الغواصات التى تخرج فى مجموعات — سفن السطح التى تخرج فى أنساق — القاذفات التى تقصف الملاحة على بعد كاف من الشواطىء . أما البحرية البريطانية فقد أستخدمت فى الدفاع عن القوافل البحرية ومطاردة سفن السطح الألمانية ، ولكنها كانت فى الحقيقة مقيدة لأن الكثير من سفنها كانت قديمة علاوة على النقص فى الغواصات والطائرات . ومنذ البداية كان الصراع متكافئاً تقريباً فوق سطح البحر . وفى يناير ١٩٤١ غادر الأدميرال « لوتجنز » ميناء « كييل » ومعه السفينتين « شارنهورست » و « جنيسناو » فى جولة لمدة شهرين ، وفى خلالها أغرق وأسر ٢٢ سفينة[١] . كما تمت بنجاح غزوات مدمرة مماثلة للألمان بواسطة بارجة الجيب « شير » والطراد الثقيل « هيبر » ، ولكن كان للانجليز ضرباتهم أيضاً . وفى ديسمبر ١٩٣٩ قامت ثلاث طرادات بقيادة « الكومادور هاروود » باستدراج بارجة الجيب الألمانية « جراف سبى »[٢] للدخول فى معركة معها خارج نهر « بلات » ، وأعطب البريطانيون البارجة الألمانية بدرجة أنها أغرقت بأوامر من قائدها . كما قام الأدميرال كاننجهام بأجتياح الأسطول الإيطالى فى البحر المتوسط . وأخيراً أغرقت المدمرتين « بسمارك » و « شارنهورست » .

أما بالنسبة لعمليات الغواصات الألمانية فقد كانت مؤثرة وخطيرة جداً على بريطانيا . وفى عام ١٩٤٢ فقد الحلفاء ١٦٦٤ر١ سفينة[٣] من بينها ١٦٠ر١ سفينة أغرقت بواسطة الغواصات . ولفترة فى عام ١٩٤٢ عانت بريطانيا معاناة عصيبة من النقص فى البترول . وقد تمت معظم عمليات الغواصات عبر المسالك البحرية خلال الأطلنطى ، ولكن كانت هناك مناطق حيوية أخرى مثل « المحيط الهندى وطريق القوافل إلى مالطة والطريق إلى جزر الأرخبيل » كلها طرق بحرية مخيفة للبحارة ، وقلما نجت السفن من الغرق فى مياهها

---

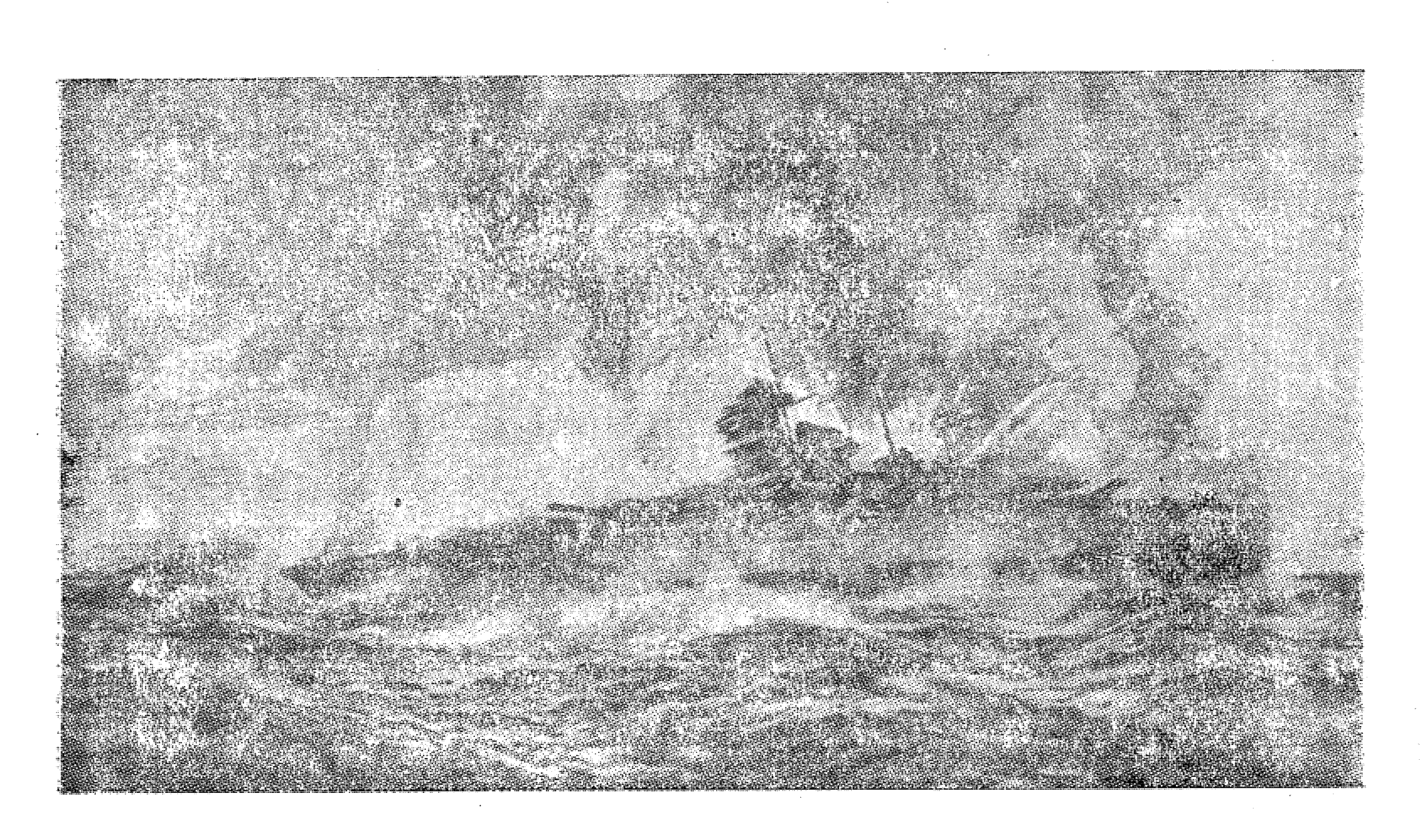
(١) كانت حمولات هذه السفن حوالى ٦٠٠ و ١١٥ طن .

(٢) لقد كانت البارجة قد أغرقت تسعة سفن بريطانية .

(٣) حمولتها حوالى ٦٩٧ و ٧٩٠ و ٧ طن .

الثلجية . ولقد بدأت كل الحرب البحرية تتجه إلى صالح الحلفاء فى خريف ١٩٤٢ . وكان المفتاح الرئيسى لهذا التحول هو القوة الجوية ، وبصفة خاصة الإستخدام المباشر للطائرات فى الحرب البحرية وخاصة ضد الغواصات، والذى كان مؤثراً جداً . وعليه فقد أصبحت قيادة الشواطىء تفتقر إلى الطائرات فى ذلك الوقت ، فكانت الأولوية معطاة للقصف ضد ألمانيا والتى لم تكن مثمرة على الأطلاق حتى عندما تركز على ترسانات وقواعد الغواصات فيما بين يناير ومايو ١٩٤٣ .

ولكن منذ خريف ١٩٤٢ توفر لدى قيادة الشواطىء طائرات أكثر وأصبحت قادرة على مراقبة مسافة ٨٠٠ ميل فى داخل البحر ، كما أستخدمت الطائرات التى تنطلق من فوق الحاملات لمرافقة القوافل . وقد أدى الرادار ذو الموجات القصيرة إلى إكتشاف الغواصات القريبة وعبوات الأعماق الثقيلة وهذا ساعد على إنتعاش الحلفاء . وفى أواخر عام ١٩٤٢ فقدت قافلة القطب الشمالى ١٣ سفينة من ٤٣ سفينة ، ولكن القافلة شقت طريقها عنوة مسقطة ٤١ طائرة ألمانية كانت متمركزه فى النرويج. وقد لعبت حاملة الطائرات المرافقة « أفنجر »



البارجة بسمارك أثناء غرقها

دوراً حاسماً فى هذا المجهود . وظل الصراع قاسياً خلال الشتاء ، وإحتفظ الأدميرال « دونتز » بمائة غواصة فى تشكيل دوريات فى البحر ، وفقد الحلفاء حوالى ١٠٨ سفينة فى مارس ١٩٤٣ . ولكن بدأ النظام الجديد تظهر نتائجه ، ففى مايو إستطاعت قافلة قادمة من كندا أن تخرج سالمة من معركة مع العدو الذى خسر خمس غواصات . وخلال هذا الشهر إنخفضت خسائر الحلفاء فى السفن التجارية بينما خسر الألمان ٤١ غواصة . ومع ذلك ، فلم تتوقف عمليات الغواصات ، ولم تكتشف أى وسيلة يعتمد عليها فى تدمير هذه الغواصات ، ولكن على الأقل فقد أجبرت طائرات الحراسة هذه الغواصات على بقائها غاطسة ، ومن ثم قللت من خفة حركتها ومنعتها من مهاجمة القوافل . والآن بدأت القبضة الألمانية تضعف على شريان الحياة لبريطانيا . وبالرغم من قيام قتال ضار فى البحر ، إلا أن الخطر الأستراتيجى على بريطانيا قد زال عملياً . وبصفة عامة ، ففى نهاية الحرب كانت جملة خسائر الألمان ٧٨٥ غواصة من مجموع ١٦٢ر١ ، وهذه الغواصات أغرقت ٨٢٨ر٢[1] سفينة للحلفاء معظمها بريطانية ، كما فقدت بريطانيا حوالى ٠٠٠ر٨٢ رجل فى حرب البحر .

وأخيراً حصلت القوات الجوية على السيادة النهائية لبريطانيا على أسطول سفن السطح الألمانى . وفى ١٩ نوفمبر ١٩٤٤ قامت ٣٢ طائرة « لانكستر » بقصف وتحطيم البارجة « تربتز » . وتوقفت تماما ملاحة ألمانيا التجارية بينما عادت مثيلتها البريطانية إلى الحياة . ومع بداية عام ١٩٤٤ أصبح النجاح فى البحر المتوسط والأطلنطى وعلى الجبهة الشرقية واضحاً للعيان ، فقد أرغمت حوالى ٢٣ فرقة ألمانية بالبقاء فى إيطاليا ، وقد إستطاع كسلرينج بقيادته البراعة وعلى سبيل المثال منع الحلفاء من التقدم قبل منتصف عام ١٩٤٤ عند « أنزيو » و« كاسينو » كما كان مأمولا . فى نفس الوقت شغلت قوات المقاومة التابعة لتيتو وحدات ألمانيا أخرى . وفى الجبهة الشرقية إستهل الروس العام بالأندفاع خارج البروز الواقع إلى الغرب من كييف ، وخلال مايو ١٩٤٤ عبروا فى الجنوب أعالى نهر « بروت » . وكان هدف الحلفاء الإستراتيجى التالى واضحاً وهو تحرير فرنسا ، ثم يلى ذلك غزو ألمانيا نفسها من الغرب . وفى الحقيقة عرضت الولايات المتحدة ذلك فى عام ١٩٤٣

(٢) حمولتها حوالى ٦٨٧و٢٣٠و١٤ طن .

مفضلة أن يكون عن طريق إيطاليا . كما ضغط الروس لفتح جبهة رئيسية ثانية فى أوروبا لكى تخفف الضغط الألمانى بعض الشىء .

روميل يلتقى بمونتجمرى فى نورماندى (أنظر اللوحة رقم ٥٢)

وكان لدى ستالين بعد نظر إستراتيجى على عكس بعض ساسة الحلفاء ، حيث رأى أن النصر بات محققاً ، وقرر أن يحصر عمليات البريطانيين والأمريكيين بأوروبا الغربية وبذلك يتمكن من الإستيلاء على أوروبا الشرقية للشيوعية . وفى المؤتمر الذى عقد بين ستالين وروزفلت وتشرشل فى طهران فى نوفمبر ١٩٤٣ ، وافق ستالين مع الأمريكان على ضرورة سحب فرق من الجبهة الإيطالية للنزول فى جنوب فرنسا بغرض القيام بهجوم فى وادى الرون ومنه فى إتجاه « الفوج » والأفرع العليا لنهر الراين . ولم يوافق تشرشل على هذه الإستراتيجية ، وقد كنت مع رأى تشرشل ، لأن هذه الإستراتيجية تعنى إبعاد عشر فرق من إيطاليا وبالتالى يستحيل تطور أى هجوم نحو الشمال عبر ممر « لوبليانا » فى إتجاه « فينا » . وبدون ذلك تصبح الحرب فى إيطاليا لا معنى لها ، كما كتب فوللر : —

« لقد أصبحت حملة بدون وسائل كافية وليس لها هدف إستراتيجى ، وبدون قاعدة سياسية » . وبالطبع كان غزو شمال فرنسا ملائماً تماما لغرض ستالين لأنه سوف يبقى البريطانيين والأمريكيين بعيداً جداً من البلقان وأوروبا الشرقية . وعارضت فكرة هذا الغزو بقوة مع أيزنهاور وذلك عندما كنا نجهز لغزو نورماندى ، ولكن بدون جدوى ، فقد صمم الأمريكيون على الغزو . ومن وجهة نظرى كان هذا الغزو من أكبر الأخطاء الإستراتيجية فى الحرب ، وحاولت أن أقنع الأمريكان برأيى بجميع الأدلة والوسائل . والشىء الذى وضح لى هو أن روسيا كانت تقاتل فى ذلك الوقت ليس فقط لهزيمة ألمانيا ، ولكن أيضاً لكسب السلام من حلفائها . ولقد كان من المستحيل جعل القادة الأمريكيين يفهمون ذلك . وقد تم أيضاً الأتفاق فى مؤتمر طهران على أن المهمة الرئيسية للبريطانيين والأمريكيين فى عام ١٩٤٤ هو غزو شمال غرب أوروبا . وعليه فقد قامت هاتان القوتان بالتخطيط للتركيز على هذا الهجوم ، وقد تعلم الحلفاء من الغارة التى قامت بها القوات الكندية فى أغسطس ١٩٤٢ على « دييب » بدون معاونة جوية وبحرية إلى الحاجة القصوى لمثل هذه المعاونات عند القيام بعمليات إنزال

على الشاطىء المعادى وهى من أصعب العمليات التى تمت فى هذه الحرب كلها ، وكانت عملية مشتركة تماما بين القوات الثلاثة وتولى الجنرال الأمريكى أيزنهاور القيادة العليا بينما كان نائبه الطيار البريطانى « تيدر » وعين « لى مالورى » قائداً للقوات الجوية ، و «رامزى » قائداً للقوات البحرية وكلاهما بريطانى . وعينتنى الحكومة البريطانية لقيادة الجيوش البريطانية المشتركة فى الغزو ، وهى مجموعة الجيوش ٢١ ، ولكن الجنرال أيزنهاور والذى خدمت تحت قيادته فى مسرح البحر الأبيض المتوسط أمرنى بإدارة عمليات الجيوش الأمريكية أيضاً حتى تكون كل القوات البرية تحت قيادة واحدة أثناء عمليات الإنزال وتطوير الهجوم التالى من رأس الشاطىء .

وفى الحقيقة فقد جعلنى أيزنهاور قائداً للقوات البرية التابعة له والمخصصة لغزو شمال غرب أوروبا تلك العملية التى أعطيت أسم « أوفر لورد » . والمنطقة التى أختيرت لأنزال قوات الحلفاء كانت ذلك الجزء من نورماندى فى خليج السين، فيما بين « كابورج » و « فالونز » . وقد أخفيت هذه الخطة عن الألمان بواسطة تنفيذ تحضيرات هيكلية على نطاق واسع تشير إلى أن الغزو موجه لممر كاليه .

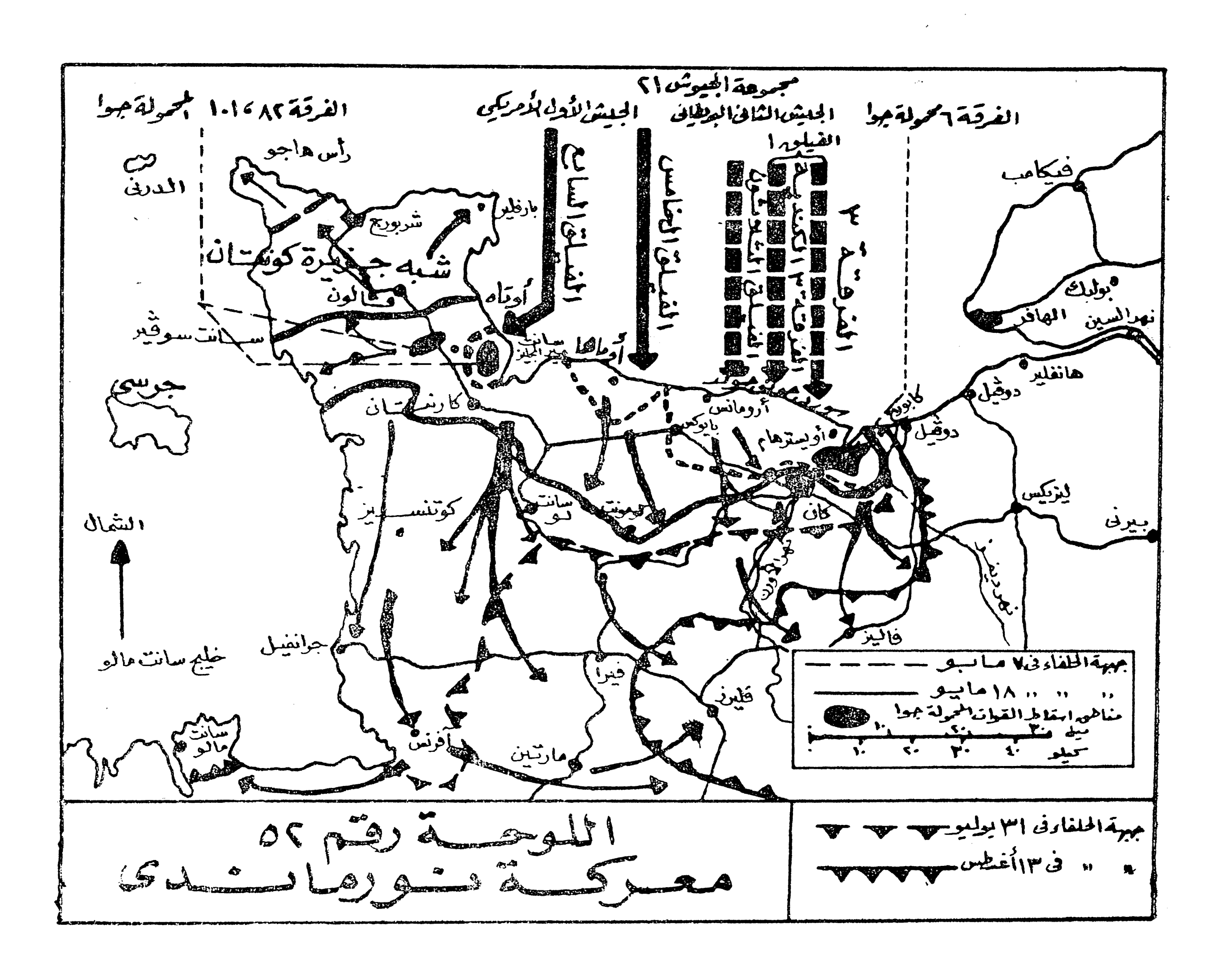
وبناءا على طلبى وخلال عدة شهور قبل يوم الإنزال ، تم قصف السكك الحديدية والكبارى ووسائل المواصلات الأخرى . وكان الهدف من ذلك هو أولا إرباك تنظيم الأمداد الألمانى ، وثانياً عزل منطقة المعركة حتى يصبح من الصعوبة بمكان دفع فرق معادية بسرعة من المناطق الداخلية فى فرنسا أثناء معركة رأس الشاطىء فى نورماندى . وقد تحقق الغرض الثانى بدرجة أنه بعد نزولنا على شاطىء نورماندى وتمركزنا عليه بدأت تظهر الفرق الألمانية الأولى للتدعيم وعلى فترات متباعدة . وعندما فقد الألمان الأمل فى الأنتصار فى الجبهة الشرقية ، قاموا بدفع جزء كبير مما لديهم من قوات إلى الجبهة الغربية . وكان يقود الجبهة الغربية الفيلد مارشال فون « روندشتد » وكان بها ٦٠ فرقة منها ١١ فرقة مدرعة، وقد نظمت هذه الفرق فى مجموعتين من الجيوش ، وقد إنتشرت من هولندا عبر أنتورب ونورماندى وشاطىء بسكاى حتى البحر المتوسط . وكانت نسبة من هذه القوات فقيرة التسليح وقد قاد روميل ، خصمى أيام الصحراء ، مجموعة الجيوش « ب » والتى تحتل المنطقة من

هولندا إلى نورماندى . وكان الألمان فى هذه الفترة شديدى الضعف فى القوات الجوية ، فلم يـكن لديهم سوى ٩٠ قاذفة و٧٠ مقاتلة فقط صالحة للعمل . ومن سخرية القدر أن موقف الألمان الآن أصبح يشابه إلى حد بعيد موقف الفرنسيين عام١٩٣٩ فـكانوا يحتلون خط دفاعى طويل وهم غير متأكدين متى أو أين يتوقعون الضربة الرئيسية للعدو ؟ وأكثر من ذلك الخلاف الموجود بين « روندشتد » و « روميل » بخصوص الأسلوب التـكتيكى المضـاد لعملية الغزو .

فـكان « روندشتد » يفضل دفاع غير قوى على الشواطىء ثم القيام بهجوم مضاد قبل أن يتمـكن الحلفاء من تدعيم رأس الشاطىء ، أما روميل فـكان يرغب فى وضع جميع قواته فى الأمام لمنع أى إنزال على الشاطىء ، بالرغم من أنه لا يعلم أين ستـكون الضربة الرئيسية للانزال . ووافق هتلر على رأى روميل ، ولـكن قرر أن يضع حلا يرضى الطرفين ، وهو وضع معظم المشاة فى الأمام بينما توضع معظم المدرعات فى الخلف . وقد تدخل هتلر كثيراً وبتأثير سىء فى إدارة الحرب فى الشرق ، وكان يقوم بنفس الشىء فى فرنسا .

وكانت القوات التى إقترحت لأستخدامها فى الموجة الأولى من الأنزال هى خمس فرق محمولة بحراً وثلاثة محمولة جواً[1] ، وقد خططت بإن يـكون هناك ١٨ فرقة على الشاطىء فى نورماندى فى نهاية الأسبوع الأول أو حوالى ذلك . وكان لدينـا أيضـاً ٥٫٣٠٠ سفينة و١٢٫٠٠٠ طائرة و١٫٥٠٠ دبابة . وعند الغزو الفعلى توفر لنا مزايا المفاجأة والحشد القوى، فـكانت جيوش الحلفاء عبارة عن قوة متوازنة من جميع الأسلحة . وأخيراً كان لدينا التفوق الجوى الـكامل ، ومن ثم ضمنا أن حشد العدو وتحركاته التالية سوف يتم إعاقتها كثيراً . وقد تم تعديل عدد من الدبابات سميت بـ « فنتيز » خصيصاً لأغراض الغزو (دبابات برمائية ودبابات دقاقة لتفجير الألغام الأرضية ودبابات تقوم بمد حصير لعبور المناطق الليـنـة على الشاطىء) وأيضاً لأغراض كثيرة أخرى . كما خططت لأغراق السفن القديمة لتصبح بمثابة حاجز للأمواج ، كما كان هناك ميناءين صناعيين يطلق عليها الأسم الـكودى « مولبريز » والذين بنيا من صناديق غاطسة ومتماسكة ، كما جهز خط أنابيب عابر للقنـاة سمى « بلوتو »

(١) كان المجموع الـكلى لهذه القوات ١٥٠٫٠٠٠ رجل .



اللوحة رقم ٥٢
معركة نورماندى

لتوصيل البترول إلى شاطىء نورماندى . وقد بدأت تحضيرات الغزو فى عام ١٩٤٣ وبالتالى فقد جهزت الحملة تجهيزاً جيداً .

محاولة اغتيال هتلر

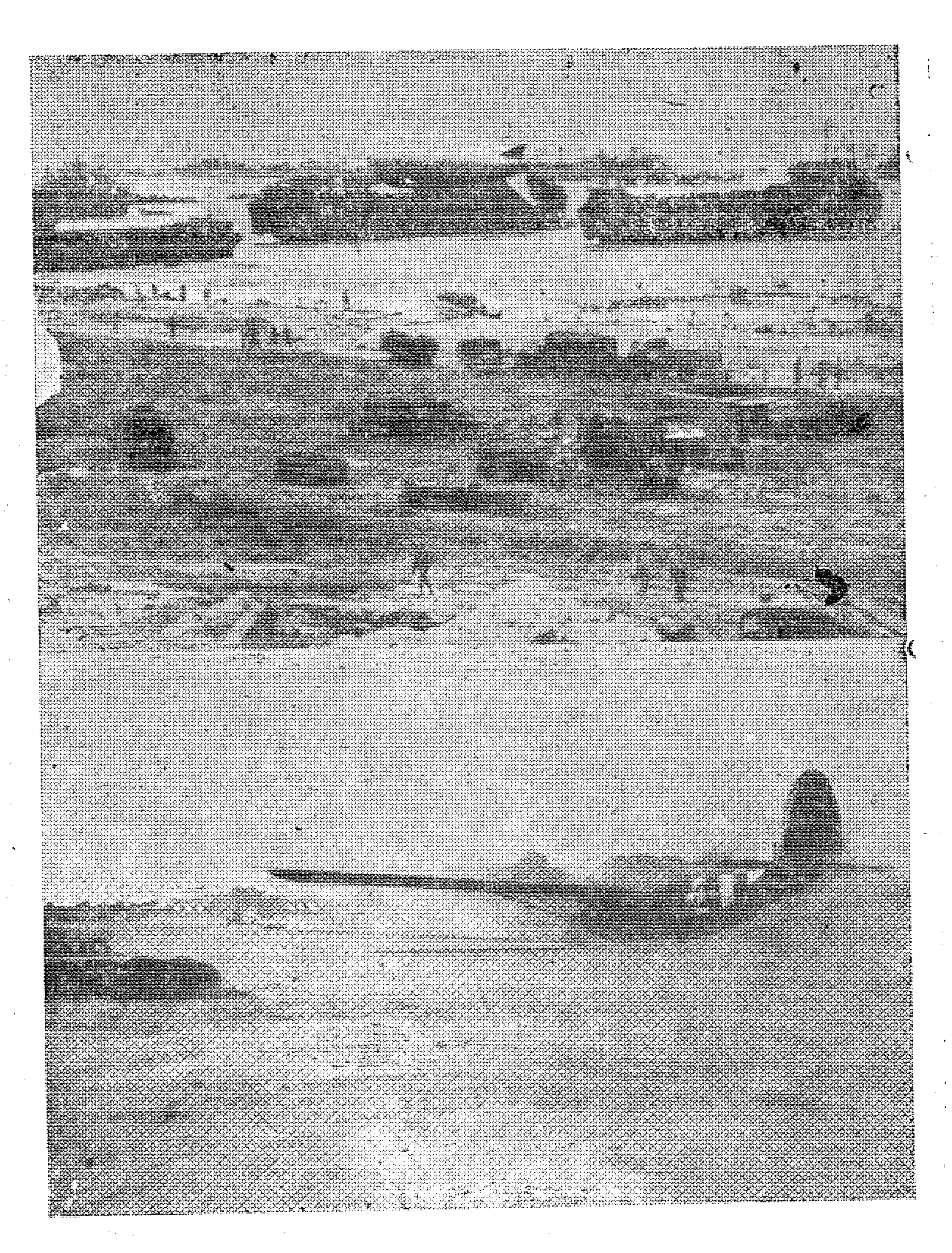
أما اليوم الحاسم فقد كان فى ٦ يونيه ١٩٤٤ . وفى الواقع كان النزول فى نورماندى عملية مشتركة حقاً . فكان الأمريكيون على اليمين والبريطانيون والكنديون على اليسار . فى الساعات الأولى من ٦ يونيه أسقطت ثلاث فرق محمولة جواً لتأمين أجناب منطقة رأس الشاطىء والأشتباك مع الألمان لمنعهم من مهاجمة القوات المنقولة بحراً أثناء إنزالها على الشاطىء وقامت الطائرات الشراعية بنقل معدات الدفاع المضاد للدبابات . وكان نزول القوات المحمولة جواً أكثر إنتشاراً مما كان مخططاً ، ولكن فى الحقيقة أفاد ذلك فى إرباك العدو. ونجحت هذه القوات فى مهمتها التكتيكية . وسبق عمليات الأنزال على الشاطىء قصف من السفن وقصف جوى شديد على محطات الرادار والقواعد الجوية ومواقع المدفعية وعلى الدفاعات الساحلية عموما .

وأقوى مقاومة حدثت أثناء عمليات الغزو واجهتها القوات الأمريكية على شاطىء « أوماها » حيث كان هذا الشاطىء شديد الأنحدار ، كما أن الأمريكيون رفضوا إستخدام الدبابات « فنتيز » البريطانية أو المدرعات المخصصة لعمليات الأنزال والتى سبق لى التنويه عنها . وأيضاً إرتكبوا خطأ نقل جنودهم فى سفن الأنزال وإنزالهم بعيداً جداً عن الشاطىء، مما عرض القوات للطقس السىء للبحر ولنيران المدفعية لمدة طويلة . وعلى أى حال فقد قاتل الأمريكيون وباندفاع حتى تمكنوا من الوصول إلى رأس الشاطىء .

أما عمليات الأنزال البريطانية فقد كانت مدعمة تماماً بالبحرية البريطانية والتى أعطت ملاحة وقصف دقيق ، وكانت فترة البقاء فى سفن الأنزال قصيرة ، كما أثبتت الدبابات المتخصصة فاعليتها وجدارتها .

وقد ساعد الحلفاء ما دب من إضطراب فى القيادة الألمانية ، فقد كان روميل وقائدان آخران متغيبين ، كما كان هناك وحدات مدرعة معينة لا يمكن إستخدامها إلا بأوامر هتلر الشخصية . وقد قيل أن الفوهرر كان نائماً فى « برتشتسجادن » وغير مسموح إيقاظه . أما

« روندشتد » فقد سادته الحيرة بعض الوقت عما إذا كانت عمليات الأنزال هذه مجرد خدعة لغزو حقيقى سيحدث بعيداً إلى الشمال ، ولذلك بدأت الهجمات المضادة الألمانية متأخرة علاوة على أنها كانت سيئة التنسيق. وشكراً كثيراً للعمليات الجوية للحلفاء فى هذا الأمر . وأمن



الإمدادات والتعزيزات التى وصلت إلى رؤوس الشواطىء
فى نورماندى بعد الاستيلاء عليها

الحلفاء رؤوس الشواطىء فى جميع نقاط الأنزال فى ٦ يونيه بخسارة ٩٠٠٠ رجل . وقام الألمان بهجمات مضادة خلال الأسبوع التالى ولكنها صدت جميعها ، وبحلول ١١ يونيه كانت كل رؤوس الشواطىء قد إتصلت وتم الإستيلاء على مساحة واسعة تسمح بحرية حركة القوات .

وفى ١٢ يونيه كان قدتم إنزال ٣٢٦ر٥٤٧ رجلا ومعهم ٥٤ر١٨٦ مركبة و ١٠٤ر٤٢٨ طن من الإحتياجات . وقد أدى رداءة الطقس إلى تأخير برنامج إنزال الحلفاء أكثر مما سببه الألمان .

وقد كانت خطتى فى إدارة المعركة البرية بعد إنشاء منطقة متماسكة فى رأس شاطىء ، هى قيام القوات البريطانية بجذب القوة الرئيسية للألمان وخاصة فرقهم المدرعة إلى جانبنا الأيسر فى منطقة السين ، للاشتباك معهم وإحتجازهم ، وذلك حتى يسهل على القوات الأمريكية إكتساب أرض على يميننا أى على جانبنا الغربى ،وعندئذ تقوم القوات الأمريكية بالاختراق النهائى فى هذا الجنب .

وهكذا أو نحو ذلك تطورت المعركة . ونتيجة لتفوقنا الجوى الكامل كانت هجماتنا على الأرض أكثر تأثيراً مما حدث من قبل ، كما تحسن التعاون بين القوات البرية والجوية بدرجة كبيرة .

وقد وصف الجنرال « أرنولد » تقدم القوات الأمريكية فى إتجاه « سانت لو » : — « كانت المقاتلات والقاذفات المقاتلة على إتصال وثيق وتحت إدارة مشتركة تنطلق قبل القوات البرية مدمرة الأهداف العسكرية ، كما كانت المقاتلات على إتصال مباشر مع الدبابات بواسطة اللاسلكى وتطير بنشاط مستمر فوق أرتالنا المدرعة .

وكان الضباط البريين يطلبون المقاتلات لقصف أو مهاجمة المدفعية أو المدرعات التى تعترض طريقهم . فى نفس الوقت كان الطيارون يحذرون قادة الدبابات من الكمائن المعادية» وبالرغم من الدور الرائع الذى قامت به القوات الجوية والمدفعية والدبابات فى المعركة ، ففى رأيى أن جندى المشاة فى الحرب الحديثة هو الذى يلعب الدور الحاسم فى النهاية فى المعركة البرية .

ولا أقول ذلك لمجرد أننى شخصياً جندى مشاة ، ولكن لأننى أعتقد أن ذلك صحيحاً ، لأن المشاة متعددة الإستخدام أكثر من أى سلاح آخر ، إذ أنها تستطيع العمل فى أى طقس وفى أى طبيعة للأرض « جبال — غابات — أحراش — مستنقعات — صحراء » وجندى المشاة يستمر فى المعركة ليل نهار دون راحة طويلة ودون نوم كاف . ويمكنه أن يعبر بطلاقة عن الطريقة التى يتعين عليه أن يتحمل بها العبء الأكبر فى المعركة ، وهو يفعل ذلك دائماً .. لذلك أننى أحبه .

ولا يمكن أن يكون هناك جيش جيد بدون مشاة جيدة ، ولكن أحب أن أضيف أن القوات البرية لا يمكنها كسب المعارك بدون معاونة قوات جوية جيدة ، وذلك صحيح خصوصاً فى الحرب ضد رجال العصابات الجيدى التسليح أو القوات الغير نظامية فى منتصف القرن ٢٠ .

وقد قاتل الجنود الألمان ضد الحلفاء فى نورماندى بعنف وبدون معاونة جوية ، وزاد من سوء حظهم سوء التنظيم فى القيادة العليا الألمانية . وحلت الأزمة فى ٢٠ يوليه ، عندما قام عدد من الجنرالات بمحاولة فاشلة لاغتيال هتلر . ومن رأيى أنهم كانوا على خطأ فليس من واجب الجنرالات إغتيال القادة السياسيين ، وإذا كان لابد من ذلك فالأفضل أن يقوم بذلك السياسيين أنفسهم . وكان روميل (١) على علم بهذه المحاولة ، ولكنه رفض الإشتراك فيها ، وأعتقد أنه كان على حق . وقام هتلر بتغيير « روندشتد » القائد العام فى فرنسا بـ « كلوج » ، وبعد ذلك غير « كلوج » بـ « موديل » .

وفى ١٥ يولية هاجمت المقاتلات سيارة روميل وجرح جرحاً خطيراً بدرجة أن دوره فى معركة نورماندى قد إنتهى .

وعندئذ تدخل هتلر الذى كان يجهل الحقيقة بأن الألمان قد خسروا المعركة فى نورماندى ، أو ربما كان لا يرغب فى تصديق ذلك .

وفى ٧ أغسطس أمر هتلر بقيام هجوم مدرع من « مورتين » غربا حتى الشاطىء عند « أفرانشز » آملا إلى شطر الجيوش الأمريكية إلى قسمين . ولم يكن مثل هذا الهجوم

---

(١) يمكن الرجوع لتفصيل هذه المؤامرة فى مذكرات روميل تعريب وتعليق العميد فتحى عبدالله النمر « المعرب »

ليحقق شيئاً ، فبدون معاونة جوية كان يعتبر ضرباً من الجنون . وعلى أى حال فالمعركة كانت قد خسرت فى ذلك الحين .

وكان الأمل الوحيد الممكن للألمان هو الإنسحاب بسرعة خلف السين ومحاولة تكوين جبهة جديدة خلف هذا المانع ، ولكن هتلر رفض السماح بأى إنسحاب وحتى عندما رضخ لذلك فى ٧ أغسطس فقد أصبح الوقت متأخراً جداً ، وعلى أى حال فالهجوم المدرع الألمانى قد أوقفته الجيوش الأمريكية والبريطانية والكندية فى جيب عرف بـ «جيب فاليز» وسحق الهجوم الألمانى فى هذا الجيب خلال عدة أيام .

وقد زرت الجيب بعد أن إنتهى كل شىء ، ولقد كانت مذبحة رهيبة . وسرعان ما أنشأ الحلفاء رؤوس كبارى على نهر السين .

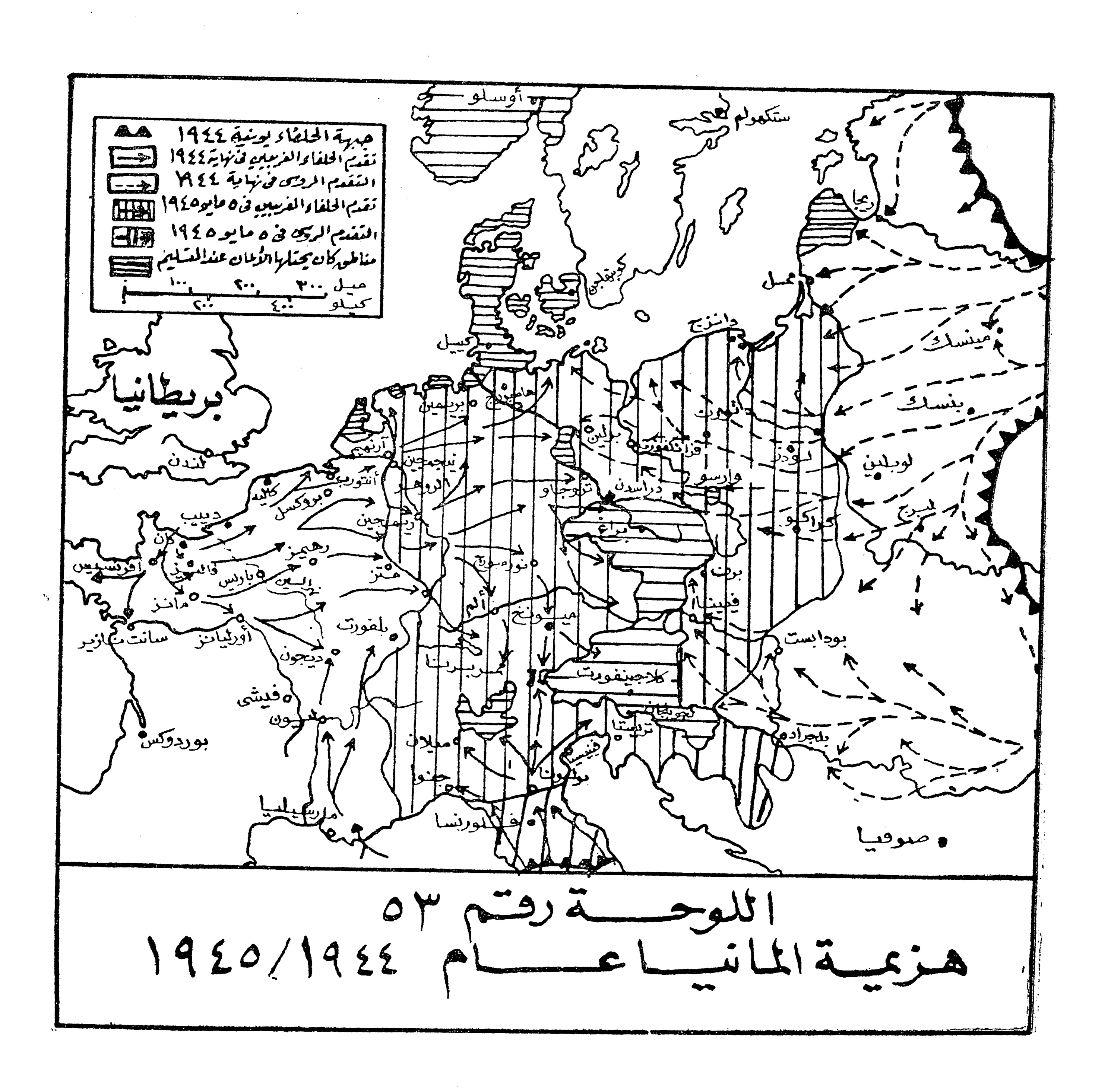
وفى ١٩ أغسطس قامت ثورة فى باريس . وبعد ذلك بستة أيام حررت القوات الفرنسية العاصمة . وبذلك تم الإستيلاء على « نورماندى » « وبريتانى » وفقد الألمان نصف مليون رجل . وقمت بأصدار أوامرى بالقيام بعمليات أخرى على أساس إنهاء تلك الحرب مع حلول عيد الميلاد . ولكن فى أول سبتمبر تولى أيزنهاور بنفسه القيادة المباشرة للجيوش البرية ، بالإضافة إلى مسئوليته كقائد أعلى لقوات الحلفاء فى غرب أوروبا .

وكانت لديه آراء مختلفة ، وقام بأصدار أوامر جديدة .

الأسلحة السرية (أنظر اللوحة رقم ٥٣)

أما التفاصيل الدقيقة للخسائر الألمانية فى « نورماندى » فلم تعرف ، ولقد قدر الجنرال برادلى ذلك بقوله : — « بحلول أول سبتمبر إنخفضت قوة العدو التى كانت له فى يونيه فى الجبهة الغربية حتى أصبحت قوات ضعيفة غير منظمة . وبلغ مجموع كل الألمان المتبقين شمالى الأردين عبارة عن ٣١ فرقة » .

وقد أصبح من الواضح أن الألمان قد منيوا بخسائر جسيمة . وكان واجب القائد الأعلى لقوات الحلفاء هو دفع الألمان إلى الخلف داخل ألمانيا وإنهاء الحرب بأسرع ما يمكن . وكان العمل العسكرى الصحيح يستطيع عندئذ أن يغض النظر عن بعض الإتفاقات السياسية فى مؤتمر طهران ، الأمر الذى كان يدركه القائد الأمريكى . ولهذا فقد إقترحت وبإلحاح حشد



اللوحة رقم ٥٣
هزيمة المانيا عام ١٩٤٤/١٩٤٥

قوات الحلفاء للقيام بهجوم قوى ساحق للاستيلاء على « الرور » أولا ثم بعد ذلك التحرك إلى برلين ، « القلب السياسى لألمانيا ».

وكان الرأى العسكرى الألمانى ، حسب قول « ليدل هارت » والذى قاله بعد الحرب :— « إن مثل هذا الإختراق ومعه سيطرة جوية ، كان كفيلا بتمزيق الجبهة الألمانية إلى أقسام صغيرة ، وإنهاء الحرب فى شتاء ١٩٤٤ » . ولكن أعتبر الأمريكيون مثل هذه السياسة مخاطرة عسكرية علاوة على عدم ضرورتها من الناحية السياسية . ولم يكن روزفلت قد تنبه بعد إلى نية القوات الروسية لإجتياح شرق أوروبا .

وقد أصبح الأمريكيون الآن على قدر من القوة أكبر من البريطانيين وبالتالى كان على البريطانيين أن يسلكوا طريق الأمريكيين .

وكانت طريقة الأمريكيين هى أن يشكلوا قواتهم على نهر الراين من سويسرا إلى بحر الشمال ، وبعد ذلك يقرروا مايجب عمله . وعليه فقد كان على الجيوش كلها التقدم فى وقت واحد ، وعلى مواجهة واسعة . وقد أبرزت إستراتيجية « المواجهة الواسعة » ثلاث مساوىء رئيسية هى :—

١ — ستكون الشئون الإدارية مبعثرة جداً ، بحيث لن تستطيع معاونة تقدم كل الجيوش .

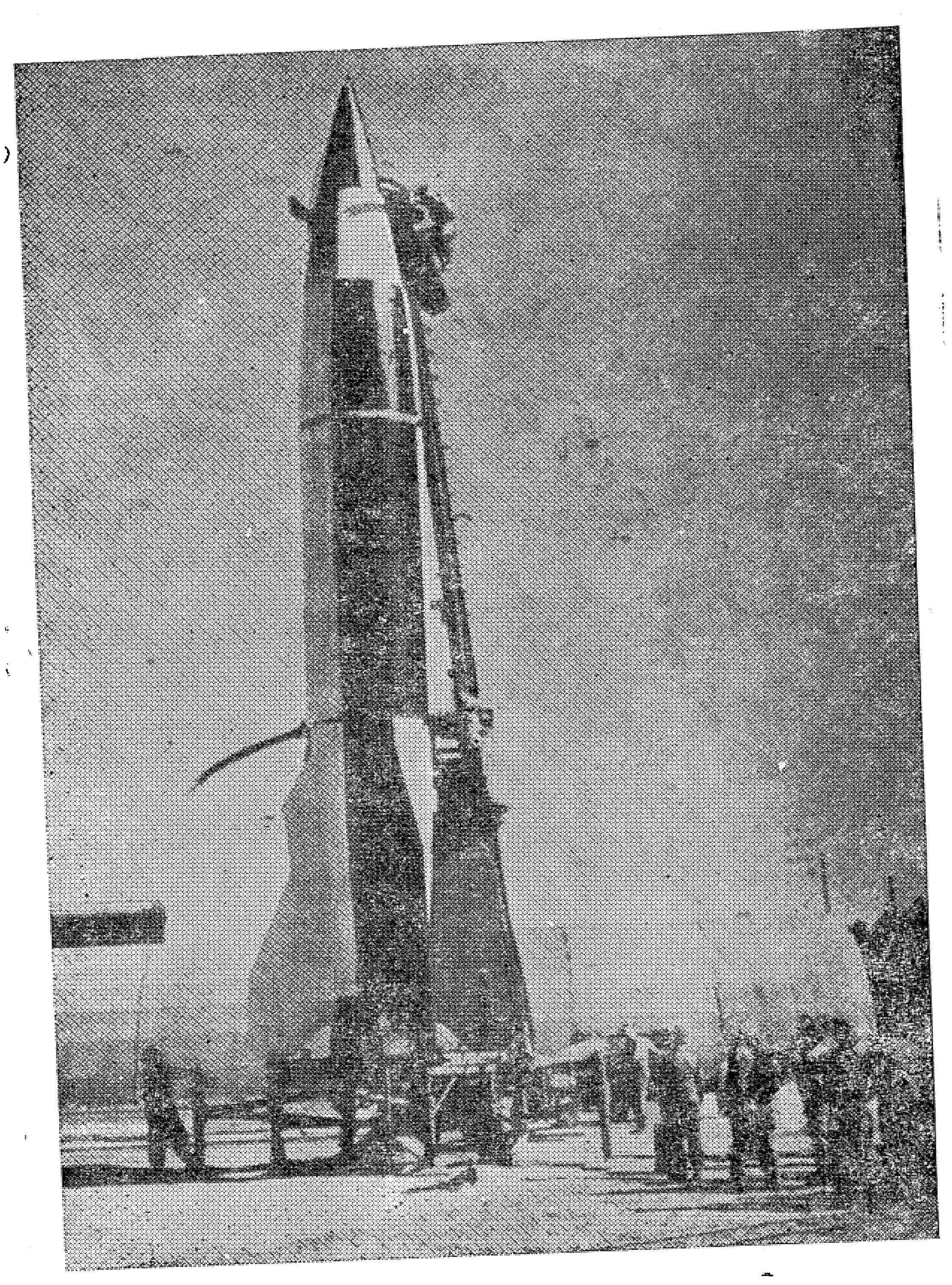
٢ — لن نكون أقوياء فى أى مكان بالقدر الكافى للحصول على نتائج حاسمة وبسرعة ، وكان هذا ضرورياً لو كان علينا إنهاء الحرب بنهاية العام

٣ — سوف يقل معدل التقدم تدريجياً وبذلك نكون قد منحنا الألمان وقتاً لإستعادة قوتهم .

ولكى نحصل على نتائج حاسمة سريعة ، فقد كان لزاماً علينا أن نركز قواتنا فى مكان ما ، فى اليسار أو المنتصف أو اليمين ، حيثما يرى القائد الأعلى أنه أكثر ملاءمة . وكان ذلك هو الموضوع ببساطة ، وقد أيد رئيس هيئة أركان حرب القوات البريطانية وجهة نظرى ، ولكن لم يوافق عليها القادة الأمريكان .

وفى منتصف سبتمبر بدأ الألمان يستعيدون قوتهم ، حتى يستطيعوا توجيه ضربة عند

«أرنهم» للقوات المحمولة جواً، والذين كانوا يقاتلون من أجل إنشاء رأس كوبرى عبر نهر الراين الشمال



القنبلة الطائرة ف ٢ ذات المحرك النفاث أثناء تجهيزها
للاطـــلاق نحو بريطانيا

بعد حصولهم على رؤوس كبارى قيمة عبر نهر « موز » ، وعبر نهر « الراين » عند « نيجميجن » .

وأخيراً فى ديسمبر حشد الألمان قوة مدرعة كافية للقيام بهجوم قوى عبر الأردين فى إتجاه «أنتوريب» وبدأ هذا الهجوم فى أول الأمر بنجاح ، ولكنه تحطم تحت تأثير الهجمات على الأجناب ومن الجو .

وفى النصف الثانى من عام ١٩٤٤ سببت « الأسلحة السرية الألمانية » مثل « القنابل الطائرة » ف ١ و ف ٢ ذات المحرك النفاث أو الصواريخ الموجهة دماراً شديداً فى بريطانيا . وبعد معركة الأردين لم يبدى الألمان أى مقاومة عنيفة . وتم عبور الراين فى نقاط عديدة فى مارس ١٩٤٥ ، وتقدمت جيوش الحلفاء حتى نهر الألب .



لقاء ستالين وروزفلت وتشرشل فى يالطـة

انتحار هتلر

وفى نفس الوقت لم يضيع الروس وقتا على الجبهة الشرقية ، فى حوالى نفس الوقت الذى تحرك

فيه الحلفاء فى نورماندى ، قــام الروس بهجوم ضخم من « فيتبسك » حتى مستنقعات « بريبيت » . وفى أوائل أغسطس ١٩٤٤ وصل الجيش الأحمر إلى « ممل » و «وارسو» . وفى « وارسو » أنزلت قوات العاصفة الألمانية عقاب وحشى بالثورة التى قامت فى بولندا . وبعد ذلك واصلت القوات الروسية الزحف لتحطيم مجموعة الجيش الألمانى الشمالى ، ومن ثم الوصول إلى البلطيق .

وإذا ألقينا نظرة بأن الغرض هو هزيمة ألمانيا فقط ، فكان من واجب الروس مواصلة تقدمهم داخل ألمانيا فى عام ١٩٤٤ ، ولكن قرر ستالين إرجاء ذلك إلى ما بعد ، فكان شاغله الأول هو إجتياح دول جنوب شرق أوروبا . ففى أغسطس كان الروس فى رومانيا ، وفى اكتوبر فى يوغسلافيا، وفى ديسمبر فى المجر . وفى شهر يناير ١٩٤٥ فقط زحف جيوش « كونيف » و « زوكوف » و « ردكوسونسكى » و « شرنيكوفسكى » إلى داخل ألمانيا .

وفى ٤ فبراير تقابل ستالين وروزفلت وتشرشل مرة أخرى ، فى « يالطة » فى القرم . وتعامل قادة الدول الديمقراطية مع ستالين فى « يالطة » بمثل الأستهانة التى عاملوا بها الدكتاتور النازى فى مؤتمر ميونيخ ، وأقنعوا أنفسهم بأن ستالين رجل نبيل ، ووافقوا على تقسيم ألمانيا .

وفى الحقيقة لم يكن هناك شىء يمكنهم عمله سوى ذلك . فقد خدع ستالين حلفاءه ، وكسب السلام لروسيا فى طهران ، وأخيرا توج إنتصاره فى يالطة . وفى ذلك الوقت بدأت الأحداث تتحرك بسرعة ، ففى ٣٠ أبريل إنتحر هتلر فى برلين ،وفى ٤ مايو وصل «هيس»[1] إلى مقر قيادتى فى « لونبرج » ووقع بيانا بالتسليم بدون قيد ولا شرط لكل القوات المسلحة الألمانية الموجودة فى المنطقة من هولندا إلى الدانمرك والتى يبلغ مجموعها حوالى مليونين من المقاتلين .

وفى ٧ مايو فى مقر قيادة أيزنهاور فى رهيمز تم توقيع إستسلام كل القوات الألمانية

---

(١) كان المفوض من قبل الأدميرال رونتر القائد الألمانى الجديد ، «المعرب»

المسلحة على جميع الجبهات بدون قيد أو شرط . وهكذا إنتهت الحرب الألمانية وفى حوذة الروس المراكز السياسية الكبرى فى وسط أوروبا « برلين — براغ — فينا — بلجراد »، وأيضاً كل العواصم إلى الشرق من هذا الخط العام ولكن بقيت الحرب اليابانية ، وسوف نلقى الآن نظرة عليها .

كارثة بيرل هاربور (أنظر اللوحة رقم ٤٥)

لقد كانت اليابان عدوا طبيعيا للولايات المتحدة أكثر مما كانت ألمانيا .

وقد أصبحت اليابان طموحة بعد نموها السريع نحو النضج الاقتصادى . وقامت بالتخطيط لضم منطقة شرق آسيا والمحيط الهادى تحت سيطرتها السياسية والاقتصادية .

وفى مارس ١٩٣٣ أعلنت رسميا إنسحابها من عصبة الأمم ، ثم قامت بعد ذلك بغزو منشوريا وحققت تقدما كبيرا نحو هدفها . وقد إنتهزت اليابان فرصة سقوط فرنسا ، وقامت بتجنيد أكثر من مليون مقاتل ، وفى يوليو ١٩٤١ أعلنت الحماية على الهند الصينية .

وفى أكتوبر ١٩٤١ أصبح الجنرال « توجو » الذى كان وزيرا للحرب ، رئيسا لوزراء اليابان ، وأصبحت الدولة بالتالى فى قبضة حكم عسكرى فردى . وتنبهت الولايات المتحدة من إزدياد أطماع اليابانيين ، وعلى وجه الخصوص من التصريحات العدوانية لنظام الحكم الجديد فى اليابان . ولما كان للولايات المتحدة مصالح راسخة فى المحيط الهادى ، فقد وقعوا فى عام ١٩٤١ عقوبات بترولية على اليابان ، وأنذروا تلك الدولة لوقف أعمالها العدوانية ، وبذلك أصبحت الحرب لا يمكن تجنبها . وصممت اليابان على توجيه ضربة عندما تحين لها الفرصة المواتية . وكان أواخر عام ١٩٤١ هى الفرصة المناسبة من جميع النواحى لليابان للقيام بحرب ضد القوى الإستعمارية فى الشرق الأقصى ، ومن المؤكد أن قادة اليابان إرتكبوا خطأ فى الحساب بافتراضهم أن الألمان قد كسبوا فى الواقع الحرب فى الغرب ، ولكن بالرغم من ذلك ، كان الهولنديون فى ذلك الوقت ، بدون أى قوة ، ولم يكن لدى البريطانيون أى قوات يستطيعون توفيرها ، حيث كانت أفضل قوات المستعمرات البريطانية[1] مشغولة فى الشرق الأوسط . كما كانت البحرية البريطانية مجهدة للغاية ، بينما كانت القوات الجوية

(١) من أستراليا ونيوزيلاندة والهند .

الملكية فى آسيا مجهزة بطائرات قديمة . وكان لدى أمريكا قوات مسلحة أكبر مما لدى اليابان ، ولكن كان الأمريكيون فى ذلك الوقت يتطلعون غربا محولين سفنهم من المحيط الباسيفيكى إلى المحيط الأطلنطى . وفى الفترة بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٤١ ، ضاعفت اليابان من حمولة بحريتها ، وجددت سفنها القديمة . وأصبح لديها ١٠ بوارج و ١٠ حاملات طائرات و ٣٨ طرادا و١١٢ مدمرة و ٦٥ غواصة . ولم تكن السفن الحربية اليابانية مختلفة إختلافا جوهريا فى التصميم عن مثيلاتها لدى القوى الغربية ، إلا أن طوربيداتهم كانت أكثر فاعلية من مثيلاتها لدى الأمريكان .

أما حاملات الطائرات اليابانية فكانت كل منها يمكن أن تحمل حوالى ٦٣ طائرة مقاتلة مابين قاذفة وقاذفة طوربيد . وبلغ عدد الفرق فى الجيش اليابانى فى عام ١٩٤١ ، ٥١ فرقة ، ويتراوح قوة الفرقة بين ٠٠٠و١٠و٠٠٠و١٨ مقاتل ، وبذلك بلغ مجموع الجيش اليابانى حوالى ٠٠٠و٧٥٠ مقاتل . ولم يكن لدى اليابانيين قوات جوية مستقلة ، ولكن كان لكل من القوات البرية والبحرية سلاحها الجوى الخاص بها . فتوفرت للقوات البرية حوالى خمس فرق جوية إحتوت على حوالى ٥٠٠و١ طائرة ، بينما كان لدى البحرية قوة عمليات تتكون من حوالى ٣٠٠و٣ طائرة. وقد إكتسب اليابانيون خبرة قيمة فى الحرب الحديثة منذ غزوهم للصين ، كما تطورت معداتهم تطوراً كبيراً . وفى نفس الوقت قاتل اليابانيون فى شراسة وضراوة وبشجاعة متعصبة أى على عكس الشعوب فى الغرب . وكان التخطيط اليابانى هو الضرب بسرعة وبقوة .

وكان عليهم تدمير الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى وإجتياح «الفليبين» و«الملايو» و « بورنو » فى الهند الشرقية الهولندية وبورما . ثم بعد ما يتم التقدم جنوبا كان عليهم إنشاء حلقة منيعة من الحصون فى المحيط مارة بجزر « ويك » وجزر « مارشال » وجزر « الأرخبيل » شمالى إستراليا . وفى ٧ ديسمبر ١٩٤١ وبدون إعلان للحرب ، تم الهجوم فى وقت واحد على بيرل هاربور والفليبين و الملايو .

وبالرغم من معرفة الأمريكيين الأكيدة لمدى بغض وكره اليابانيين لهم إلا أن الهجوم اليابانى عليهم فى بيرل هاربور كان مفاجأة تامة ، ذلك الهجوم الذى إستهدف أسطولهم

فى المحيط الباسيفيكى المتمركز فى بيرل هاربور فى « هاواى » .

فقد إقتربت القوة الضاربة للبحرية اليابانية ، المكونة من ست حاملات للطائرات وعليها ٤٥٠ طائرة تحت قيادة الفيس أدميرال « ناجومو » من الشمال الغربى من هاواى ، وأطلقت طائراتها فى وضح النهار فى ٧ ديسمبر ، وكان هدفها الرئيسى ٧ بوارج فى مراسيها من بين ٩٤ سفينة أمريكية ، وتم ضربها جميعا ، ونجت واحدة فقط من التدمير الخطير ، بينما فقدت إثنتان بالكامل ولحق تدمير خطير جداً بباقى السفن والمنشآت ، كما تم تدمير ٢٠٠ طائرة من ٤٠٠ طائرة كانت تقف على الأرض بجوار بعضها ، وفقد اليابانيون ٣٠ طائرة . ورجع نجاح الغارة إلى المفاجأة الكاملة ومهارة رجال سلاح الطيران اليابانى وبصفة خاصة فى هجمات القاذفات التى تحمل الطوربيدات فى المياه الضحلة . وفى نفس الوقت الذى كان يجرى فيه الهجوم على بيرل هاربور ، قام اليابانيون بهجمات جوية ضد الأمريكيين فى الفلبين ، حيث دمروا لهم ثلث مقاتلاتهم ونصف قاذفاتهم ، وفى ١٠ ديسمبر دمرت قاعـــدة « كافيت » البحرية . وبهذه الضربات الجوية السريعة والمدمرة فى « بيرل هاربور » و «الفلبين » حصل اليابانيون على فترة من التفوق فى البحر والجو ، والتى كانوا فى حاجة إليها لتأمين عملياتهم فى الغزو . وفى ديسمبر أستغلوا الفرصة باجتياح قواعد العدو فى « جوام » و « ويك » و « هونج كونج » . ولم يتم إحتلال الفلبين بصفة نهائية حتى مايو التالى ، وذلك بسبب المقاومة التى نظمها الجنرال « ماك آرثر » . وفى مارس ١٩٤٢ إنتقل « ماك آرثر » إلى أستراليا ليتولى قيادة الهجوم الأمريكى ضد اليابان والذى تقرر أن يجرى من هذه الدولة .

الهزيمة المهينة (أنظر اللوحة رقم ٥٤، ٥٥)

وفى نفس اليوم ، ٧ ديسمبر ، يوم الهجوم على بيرل هاربور ، بدأ غزو شبه جزيرة الملايو بقوات يابانية ، نزلت فى سيام وعبرت الحدود تحت قيادة الجنرال «ياماشيتا » ، وفى ١٠ ديسمبر أغرقت الطائرات اليابانية البارجة البريطانية « أمير ويلز » والطراد « ريبلس » وذلك أمام « كانتون » على الشاطىء الشرقى للملايو . وتقدم اليابانيون بمحاذاة الساحل مستخدمين السفن البريطانية المأسورة ، عن طريق عمليات مشتركة ضد أجناب الدفاع . ولم يكن لدى اليابانيين

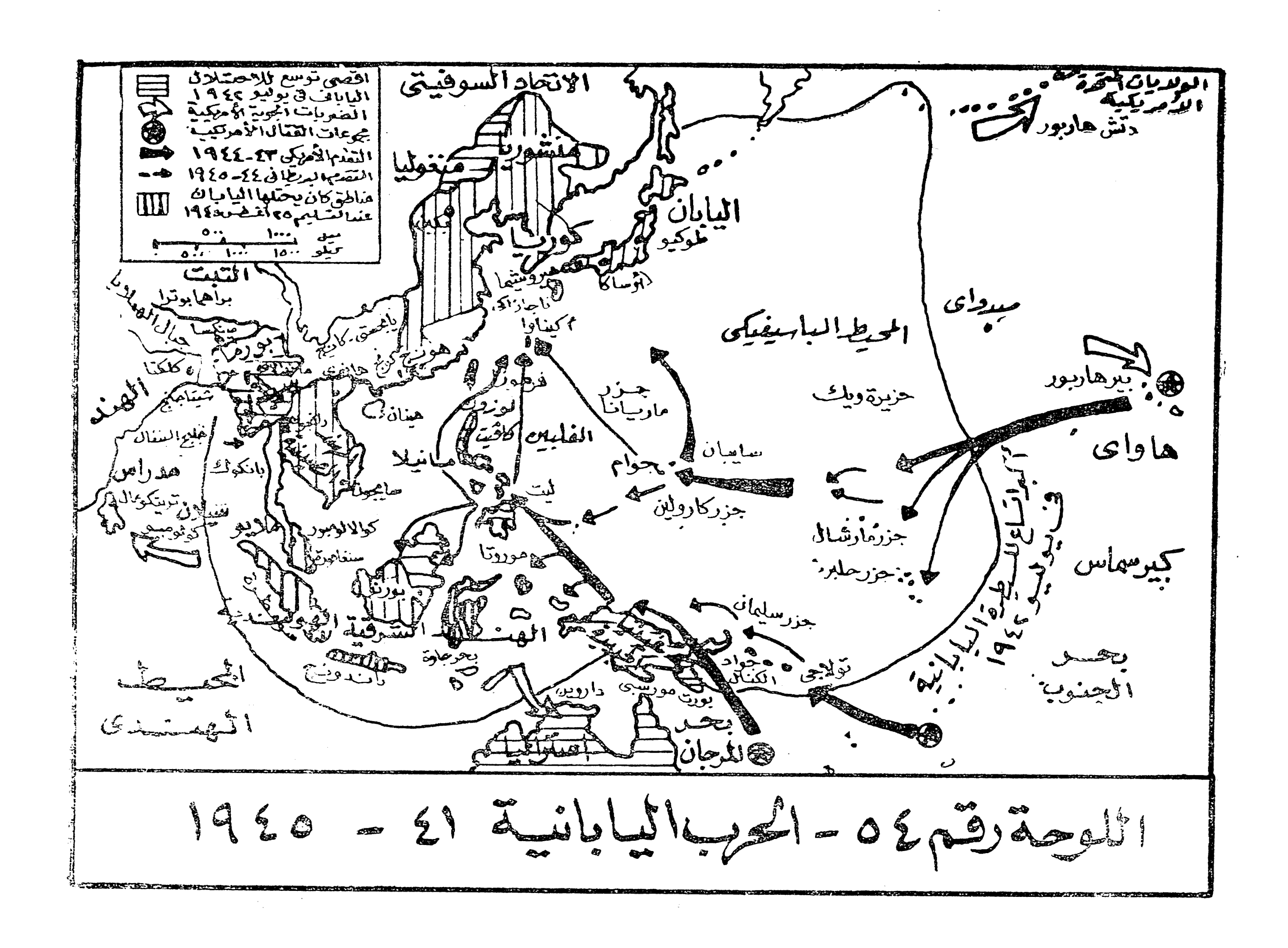
تفوق عددى كبير ، ولكن كانت القوات اليابانية أكثر جسارة وأعلى تدريبا على القتال فى الأحراش ، من القوات البريطانية والأسترالية والهندية . وتم تدمير القوة الجوية البريطانية بسرعة ، وأدى القصف المتواصل للمدن إلى تدمير عزيمة المدافعين . وفى ١١ يناير ١٩٤٢ كان اليابانيون فى « كوالا لوميور » ، وإستمر تقدمهم بسرعة .

وفى نهاية الشهر إنسحب المدافعون إلى جزيرة « سنغافورة » حيث دمروا الجسر الذى يربطها بالملايو .

وأصبح الآن البريطانيون بدون قوة بحرية أو جوية ، كما لم يكن لديهم سوى مدفعية ضعيفة . وبعد أربعة أيام نقط من القصف نزل اليابانيون إلى الجزيرة . وفى أقل من أسبوع كان فى حوذتهم المستودعات التى تمد المدينة بالمؤن . وإستسلمت أهم المراكز الرئيسيةالتجارية والبحرية لبريطانيا فى الشرق الأقصى إلى الليفتنانات‌جنرال « ياماشيتا » وذلك فى يوم الأحد الموافق ١٥ فبراير١٩٤٢ ، كما إستسلم الجنرال « بريسفال » وحاميته المكونة ٠٠٠و٧٠رجل.

وكانت هذه هزيمة مهينة للقوات البريطانية أو بدون شك كان هناك الكثير لما يمكن عمله فى مجال التدريب والأمور الأخرى ، ولكن لم يشاهد أحد ، إن كان قد تم شئ من هذه الأمور . وكان رأيى دائما أن سنغافورة قد فقدت فى لندن فى « هوايت هول » قبل أن تبدأ الحرب على الإطلاق . وقدرجع ذلك إلى الإفتقار للتعاون المشترك الحقيق بين القوات القائمة بالتخطيط للدفاع عن القاعدة الإستراتيجية الرئيسية ، وفى الواقع بسبب التخطيط الردئ فى وقت السلم .

فى ذلك الوقت أصبحت جزر الهند الشرقية الهولندية معرضة للغزو اليابانى . ومنذ شهر يناير قام اليابانيون بتوطيد أقدامهم فى « بورنو » و « سولاويزى » ، وأصبحوا الآن مستعدين للضرب فى جاوة ، أقوى الجزر. وفى ٢٧ فبراير ١٩٤٢ ،علم القائد الهولندى الحليف اللواء البحرى « دورمان » بأن هناك قافلة يابانية مكونة من ٣٠ ناقلة تحت حراسة ثلاث طرادات وسبع مدمرات ، متجه إلى جاوة ، وعليه فحشد « دورمان» قوة تتكون من خمس طرادات وعشر مدمرات ، وإشتبك مع القافلة اليابانية التى كانت تحت قيادة اللواء البحرى « كوندو » أمام ساحل جاوة الشمالى .



اللوحة رقم ٥٤ - الحرب اليابانية ٤١ - ١٩٤٥

ودارت معركة طويلة ومعقـــدة ، تم معظمها فى الظلام . وإنتهت المعركة بأن أغرق اليابانيون نصف سفن الحلفاء دون أن يخسروا سفينة واحدة . وكان الحلفاء يتفوقون فى قوة النيران ، ولـكن المعركة كسبت بتفوق التـكتيكات والمواصلات والطوربيدات والقوات الجوية اليابانية . وقررت معركة بحر جاوة هذه مصير جزر الهند الشرقية الهولندية .

وخلال الليلة اللاحقة لهذه المعركة نزل اليابانيون فى ثلاث مواقع على الشاطىء الشمالى لجاوة. وفى ٨ مارس إستسلم حوالى ٩٠٠٠٠ من القوات الأوروبية والأندونيسية فى باندونج. وسرعان ما تم غزو باقى الجزر . ولم يـكن لجيوب المقاومة المنعزلة لرجال العصابات أى تأثير إستراتيجى . وأغرقت كل السفن المتبقية للحلفاء فى المنطقة .

ونتحول الآن إلى بورما ، ففى نفس الوقت الذى كانوا يقومون فيه بحملتهم ضد جزر الهند الشرقية الهولندية ، وحتى قبل سقوط سنغافورة كان اليابانيون يتحولون غربا ضد بورما . وكان هدفهم الرئيسى من ذلك هو قطع طريق بورما الذى كانت تصل منه المساعدات إلى «تشانج كاى شيك» فى الصين ، وهدف آخر هو القيام بانهاء الاحتلال البريطانى للهند بمعاونة القوميين الهنود . وجعل اليابانيون من « بانجوك » القاعدة المتقدمة للغزو ، وكان هدفهم الأول هو « رانجون » . وكان الدفاع عن بورما ضعيفا ، إذ أن ويفل [1] لم يكن لديه إلا فرقتين غير كاملتين ، ثم دعم بعد ذلك بقوات صينية مساوية لها ، تحت قيادة الجنرال «ستيلويك» [2] ولم يكن فى بورما موارد كافية لإعاشة الحملة ، وكان من الضرورى إحضار المؤن من الهند ، وكانت المواصلات صعبة للغاية .

وقد سيطر اليابانيون على الطرق البحرية الطبيعية من لهند . ولما لم تـكن هناك طرق عبر الجبال ، أصبحت المواصلات والامداد من الجو . وكانت محاور المواصلات فى بورما هى وديان أنهار « سلوين » و « أراوادى » و « سيتانج » ، وطريق سكة حديد مفرد يجرى شمالا من « رانجون » وعبر «ميكتيلا» و«مندلاى »وتحت قيادة الليفتنانت جنرال« كاواب». بدأ اليابانيون الهجوم على بورما بقصف مدينة « رانجون » فى يناير ١٩٤٢ مما أضعف روح

(١) كان القائد العام للمسرح

(٢) كان رئيس أركان حرب تشانج كاى شيك

المقاومة لدى السكان ، كما حدث فى الملايو . وبعد ذلك تحركوا من الملايو وسيام ، ووصلوا بسرعة إلى « مارتابان » . وبحلول منتصف فبراير كانوا قد وصلوا وادى « سيتانج » ، وفى ٧ مارس كانت مدينة رانجون مهجورة. وقرر القائد البريطانى الجديد« الكسندر »وجوب سحب قواته إلى الهند قبل أن تهب الرياح الموسمية ، وينشىء جبهة دفاعية على حدودآسام .

وقد عانت القوات البريطانية والهندية معاناة شديدة أثناء الإنسحاب ، على عكس اليابانيين الذين لم يبدوا عليهم التعب .

وأشرك اليابانيون فى هذه العمليات ثلاث فرق وثلاث ألوية مدرعة بدبابات خفيفة . ولم يحدث أبدا من قبل أن قامت حرب بين جيوش حديثة فى مثل أرض بهذه الطبيعة،ولكن اليابانيون كانوا قد تدربوا على أرض مشابهة فى جزر « هينان » و « فرموزا » ، وأصبحوا فى الواقع مقاتلين من الدرجة الأولى . وكانوا يقاتلون فى مجموعات صغيرة خفيفة التجهيز ومسلحة أساساً بمدافع ماكينة خفيفة وهاونات.وقاموا بمناورات بارعةوجريئة لتصفية الجيوب وقطع المواصلات ، شاقين طريقهم بالقوة عبر الوديان المتوازية لنهرى « أراوادى » و « سيتانج » مطوقين باستمرار المقاومة .

وبانسحاب البريطانيين ، تحول ثقل هجوم اليابانيين إلى الجبهة الصينية فى الشمال الشرقى، حيث تلاشت المقاومة بسرعة . وعندئذ إندفعوا بسرعة إتجاه طريق بورما عند «لاشيو» حيث وصلوها فى نهاية أبريل وقطعوا هذا المحور ، كما عبروا الحدود الصينية فى ١٥ مايو . وقد ناضل البريطانيون عبر الأحراش وفوق الجبال ، للوصول إلى « أمفال » داخل الحدود الهندية ورافقهم وأعاقتهم آلاف كثيرةمن المواطنين اللاجئين . ومع نهاية مايو ١٩٤٢ كان الكسندر قد نجح فى سحب معظم رجاله ، ولكن بعد أن فقدوا الكثير من معداتهم .

معركة بحر المرجان (أنظر اللوحة رقم ٥٤)

وفى منتصف عام ١٩٤٢ ، تمكن اليابانيون من تحقيق جميع أهدافهم بتقدمهم السريع وقتالهم الفعال ووحشيتهم مثلهم فى ذلك مثل قبائل المغول القديمة ، تلك الأهداف التى لم تقتصر فقط على بورما ولكن أمتدت إلى أندونيسيا والمحيط الهادى أيضا .وبعدإستيلائهم على

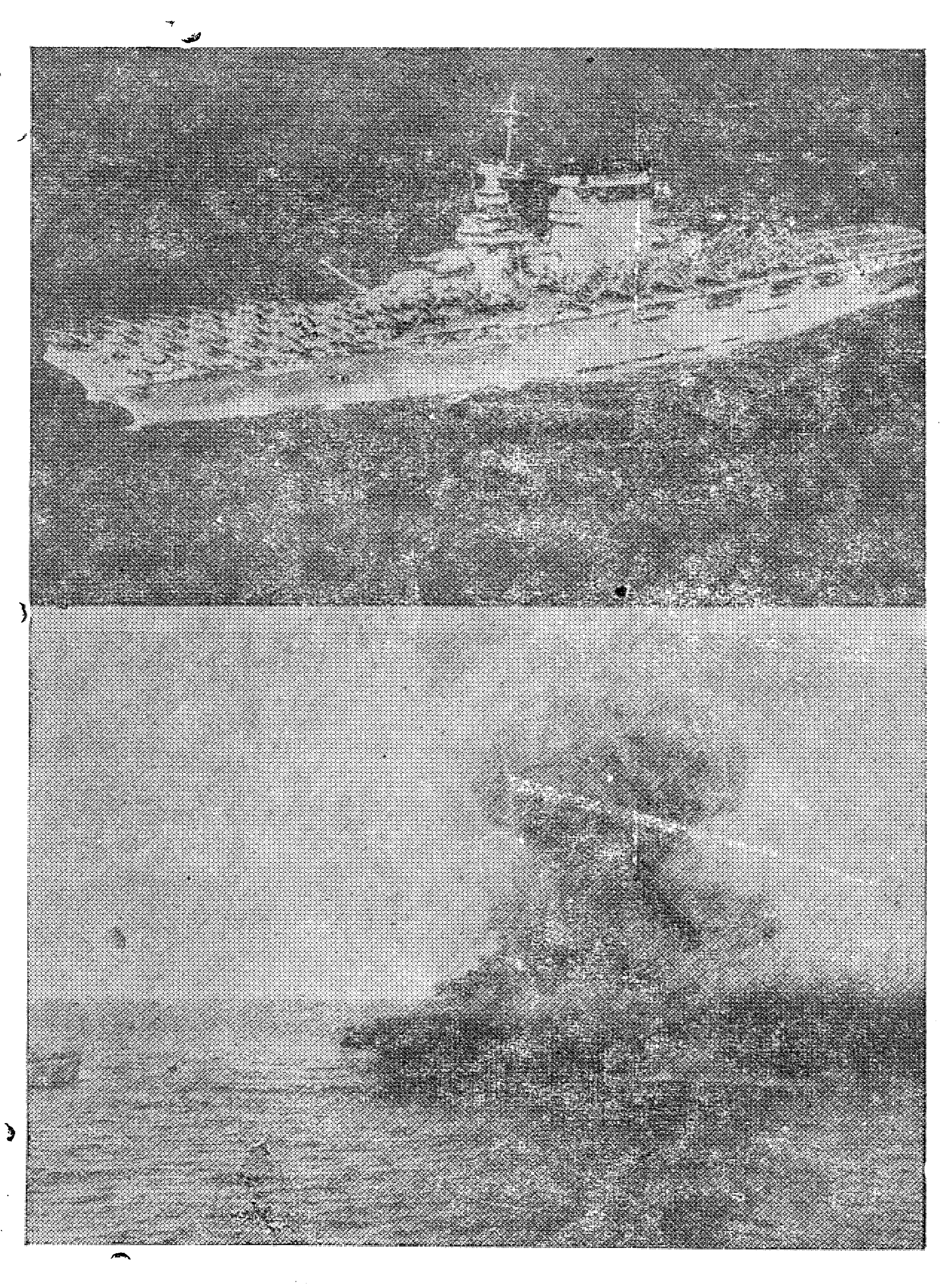
بورما لم يعبروا الحدود إلى الهند ، ولكنهم وطدوا أنفسهم بدفاع قوى فى بورما .

ومن جزر الهند الشرقية الهولندية قاموا بمد فتوحاتهم شرقا إلى غينيا الجديدة وجزر « جلبرت » و « وسليمان » . وفى أبريل قام الأسطول اليابانى بقيادة « ناجومو » بالدخول إلى المحيط الهندى والتجول فيه على هواه ، مدمرا القواعد البريطانية فى « كولومبو » و « ترينكومالى » وأغرق طرادين وحاملة طائرات . وتحول « ناجومو » بعد ذلك شمالا حيث أحدث تدميرا خطيرا فى السفن التجارية خارج «مدراس» وفى خليج «البنغال» . ولم يكن فى إستطاعة الحلفاء البدأ فى مهاجمة حلقة المواقع اليابانية بدون قوة بحرية . وعلى كل فالحرب فى المحيط الباسيفيكى يعتبر قصة مشوقة للغاية . فقد أصبحت مشكلة اليابانيين الآن تكمن فى القوة الجوية والبحرية لأعدائهم . وفى الحقيقة فقد أعجزت الغارة على بيرل هاربور فى دبسمبر ١٩٤١ الأمريكان فى المحيط الهادى ، ولكن كان إلى حين فقط . فى الواقع لم تحقق هذة الغارة النجاح الحاسم لليابان ، والذى كانت تأمل فيه . وقد فقد الأمريكيون فى تلك الغارة بوارجهم ولكن عصر تلك السفن الحربية الكبيرة كان قد إنتهى مع ظهور حاملات الطائرات . وكان لدى الأسطول الأمريكى فى الباسيفيك أربع حاملات طائرات تستطيع حمل ٣٥٠ طائرة، وكان هذا هو المهم. أما التدمير الذى أصاب منشآت بيرل هاربور فقد أمكن للولايات المتحدة بقدرتها الصناعية التى تبلغ عشر مرات قدرة اليابان أن تبنى قوتها النسبية بسرعة . وقدر الأمريكيون أنهم سوف يكونون مستعدين للقيام بهجوم مضاد فى عام ١٩٤٣ . أما اليابانيون فقد أدركوا ضعف موقفهم وبالتالى وجوب القيام بتحطيم القوة البحرية لعدوهم فى الباسيفيكى خلال عام ١٩٤٢

وقدر الأدميرال « ياماموتو » قائد البحرية اليابانية ، أن بيرل هاربور بعيدة جدا على اليابانيين لكى يوجهوا هناك ضربة مباشرة وبقوة كافية ، ولهذا فقد أعد خطة مزدوجة لإستدراج أسطول الحاملات الأمريكية للدخول فى مدى الضرب اليابانى .وقد خطط أولا للحصول على السيطرة فى بحر المرجان وبذلك يشكل تهديدا على أستراليا ، وبالتالى لابد أن يقوم الأمريكان لإنقاذها . ثانيا سيقوم « ياماموتو » بالاستيلاء على « ميدواى » [1] .

(١) وهى جزيرة مرجانية صغيرة فى منتصف المسافة بين كاليفورنيا والصين وعلى بعد ١١٠٠ ميل إلى الشمال الغربى من جزر هاواى « المعرب »

وفى أواخر أبريل ١٩٤٢ بدأ تقدم اليابانيين فى بحر المرجان، وكان هدفهم الإستيلاء على نقطتين ، الأولى وهى « تولاجى » فى جنوب جزر سليمان وقد تم الإستيلاء عليهـا كما كان مخططا فى ٣ مايو . وتحركت مجموعة بحرية ثانية إلى ميناء « مورسبى » على الشاطىء .



حاملة الطائرات لـكسينجتون فى الصورة العليا قبل تدميرها مباشرة
وفى الصورة السفلى أثناء تدميرها

الجنوبى لغينيا الجديدة . ولـكن كانت إجراءات الأمن اليابانية ضعيفة ، وعلم الأدميرال « نيمتز » (١) بما كان يدبره اليابانيون ، وبناءا عليه فقد تمركزت كل من حاملتى الطائرات « لـكسينجتون » و « يوركتاون » بقيادة الأدميرال «فلتشر» بالقرب من « سامو » لمنع إستيلاء العدو على ميناء « مورسبى » .

وفى ٧ مايو ، تمكن «فلتشر» من تحديد موقع قوة التغطية اليابانية المكونة من الحاملة الخفيفة « شوهو » ومجموعات الطرادات الخفيفة التى تتقدمها لحمايتها .وعلى الفور قامت مجموعة من ١٩٣ طائرة من فوق أسطح « لـكسينجتون »و« يوركتاون» بمهاجمة الحاملة «شوهو» حيث أغرقتها فى نصف ساعة ، أماالقوة الضاربة الرئيسية فقد إستمرت فى إبحارها فى إتجاه الغرب عبر بحر المرجان تحت قيادة الأدميرال « تاكاجى » . وفى اليوم التالى ، وعندما أصبحت المسافة الفاصلة بن القوتين المتضادتين ٢٠٠ ميل تمكن إستطلاعهما مشاهدة كل منهما الآخر . وقامت القاذفات الأمريـكية بمهاجمة الحملات اليابانية ، وتركت « شوكاكو» مشتعلة و « زويكاكو » مدمرة ، وسجلت قاذفات الطوربيد اليابانيـة ست إصابات على « لـكسينجتون » ، التى إنفجرت أثناء الليل . ومن الناحية الإستراتيجية تعتبر معركة بحر المرجان نصرا أمريـكيا،إذ أنها أحبطت الخطط اليابانية ضد كل من أستراليا والأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى؛ أما من الناحية التـكتيكية فـكان لها أهمية عظيمة ، لأنها كانت بمثابة ثورة فى الحرب البحرية ، فقد كان لدى الطرفين قوة كبيرة من السفن الحربيـة التقليدية ، ولـكنها لم تشتبك مع بعضها على الإطلاق وتم القتال فى المعركة بين حاملات الطائرات ، ولم تشاهد الأساطيل بعضها أبدا . ولم تـكن حاملات الطائرات سفنا حربية ولـكنها كانت قواعد متحركة للقوات الجوية ، وكانت قوة هذه الحاملات تـكمن فى قوتها الهجومية لأنها تحمل طائرات الطوربيد والقاذفات المنقضة والمقاتلات .

الجحيم فى ميداوى

وفى هذه المرحلة ، كانت الطائرة اليابانية أكثر قـوة ولـكن قليلة العدد من الأمريـكيةوفيما بعد أنتج الأمريـكيون طائرة الطوربيد «أفنجر» والمقاتلة « هلـكات » ، بعد

(١) القائد الأمريكى فى بيرل هاربور . «المعرب»

إدخال بعض التطورات على مستوى أدائها . وأكثر من ذلك كانت الحاملات الأمريكية تحمل طائرات أكثر من اليابانية ، ولم تكن حاملة الطائرات نفسها مدرعة تدريعاً ثقيلا مما جعلها هدفا ضخما لما عليها من الوقود والمفرقعات ، وقد أعتمدت فى دفاعها على مقاتلاتها وعلى قوة نيران ستارة واقية من السفن الحربية الخفيفة .

وفى الحقيقة قد أثبتت حاملات الطائرات على أنها معرضة تعرضاً خطيراً للجهوم عليها من الجو . ولم تمنع هزيمة اليابان فى بحر المرجان إلى التخلى عن تنفيذ الجزء الثانى من برنامجهم ، وهو الهجوم على ميدواى . وفى مايو حشد الأدميرال « ياماموتو » معظم البحرية اليابانية تقريباً ، حوالى ٩٠ سفينة فى بحر « أنلاند » وجزيرة « ماريانا » . ولكن الأمريكيون حلوا الشفرة اليابانية ، لأن الأمن والإستطلاع اليابانى كانا سيئتين . وفى منتصف مايو علم « نيمتز » أن هناك هجوما يابانياً سوف يتم على « ميدواى » فى أوائل يونية من الشمال الغربى . ودعمت ميدواى ، وشكل الأمريكيون قوتين للمهمة ،الأولى تحت قيادةالأدميرال « فلتشر » فى حاملة الطائرات « يوركتاون » ، بينما كانت الثانية تحت قيادة الأدميرال « سبروانس » ومعه حاملتى الطائرات « انتربريز » و « هورنت » . ولم يكن هناك بوارج ، وقدمت تغطية حاملات الطائرات بالطرادات والمدمرات . وفى أواخر مايو خرجت القوتين من بيرل هاربور إلى نقطة فى الباسيفيك تبعد ٣٠٠ ميل إلى الشمال الشرقى من ميدواى ، حيث كان عليها التجول لتشكل كميناً . وإقترب اليابانيون فى مجموعتين ، وكانت القوة الرئيسية مشكلة من أربع حاملات طائرات ، « أكاجى » و « كاجا » و « هيريو » و « سوريو » بقيادة « ناجامو » ، وتحركت هذه القوة فى المقدمة وعلى بعد حوالى ١٠٠ ميل من باقى القوات. وفى فجر ٤ يونية كان « ناجومو » عند نقطة بدء الهجوم وعلى بعد ٢٤٠ ميل من ميدواى ، فى نفس الوقت كان أسطول الحاملات الأمريكية يقترب من على بعد ١٠٠ ميل إلى الشرق ، وتوفر لدى الأمريكيين ميزة خطيرة وهى أن اليابانيين لم يكن لديهم أجهزة رادار ، ولم يعلموا بالتالى أن الأسطول الأمريكى فى البحر .

وهكذا كان « ياماموتو » يعتمد على المفاجأة الكاملة والتى لم تكن موجودة .وفى الساعة ٤½ من صباح ٤ يونية إنطلقت ١٠٠ طائرة قاذفة ومقاتلة من الحاملات اليابانية الأربعة ،

وبعد ذلك بساعتين كانت ميداوى مشتعلة ويعلوها الدخان بالرغم من أن قوة القاذفات قد عانت خسائر جسيمة . ودمرت خزانات البترول والمنشآت والطائرات الأمريكية ، ولكن الخسائر فى المدافع ومهابط الطائرات كانت صغيرة ، وقرر ياجومو أنه لابد من توجيه ضربة أخرى . ولتقصير المسافة على الطائرات العائدة أبحرت الحاملات جنوباً ، كما تم خلال الفاصل الزمنى وضع القنابل بدلا من الطوربيدات فى الطائرات الأخرى تمهيداً للهجوم الثانى . وفى الساعة السادسة أرسل الأدميرال « سبراونس » قوة ضاربة من ١٠٠ قاذفة ومقاتلة ، الغرض منها إعتراض الحاملات اليابانية وهى فى طريقها نحو الجنوب الشرقى . ولكن « ناجومو » علم بأقترابها وغير الأتجاه منبهاً طائراته العائدة فى الطريق إلى موقعه الجديد حيث هبطت القاذفات اليابانية بسلام .

وفى الوقت المناسب أطلقت المقاتلات اليابانية لمقابلة أول مجموعة من الطائرات الأمريكية والمكونة من ٢٩ قاذفة طوربيد والتى لم يكن معها غطاء من المقاتلات . وعندما هاجمت القاذفات الأمريكية فى ٩½ أسقطت المقاتلات والسفن اليابانية ٢٥ طائرة من ٢٩ ولم يصب أى من الطوربيدات الأمريكية أهدافها ، وعندما دفعت الموجة الثانية والمكونة من ١٢ قاذفة لاقت نفس المصير . وبذلك فقدت ٣٥ طائرة أمريكية من بين ٤١ طائرة والتى أرسلت فى محاولة لتحديد مكان العدو . وتلك التضحية الأولى كانت ذات قيمة عظيمة ، فبعد طائرات الطوربيد جاءت ٥٠ قاذفة منقضة أمريكية ، فى الوقت التى كانت فيه الحاملات اليابانية لازلت تقوم بمناوراتها لتجنب الطوربيدات وبالتالى كانت غير قادرة على أطلاق طائرات أكثر من فوق سطحها ، كما كانت الحاملات « أكاجى » و « كاجا » و « سوريو » تسير فى تشكيل واحد ، والطائرات جميعها رابضة على أسطحها ، وهنا أنقضت عليها القاذفات الأمريكية فى هجوم مدمر ، وفى خلال بضع دقائق كانت الحاملات الثلاثة مشتعلة كالآتون حيث إنفجرت طوربيداتها وقنابلها فى حظائر السطح .

أما الحاملة اليابانية الرابعة « هيريو » فكانت متقدمة بضعة أميال ، وتوفر لديها الوقت لارسال قاذفاتها المنقضة للثأر من الأمريكيين . وحوالى الظهر هوجمت الحاملة الأمريكية « يوركتان » ، وأستطاعت ست طائرات يابانية النفاذ من ستارة مقاتلاتها وأصيبت بثلاث

قنابل إشعلت فيها النيران ودمرت غلاياتها . وأمكن السيطرة على النيران ، وبعد حوالى ساعة كانت « يوركتاون » تسير فى مجراها ثانية .

ولكن تمت هجمة ثانية بواسطة ٣٢ قاذفة طوربيد من الحاملة « هيريو » ، وأتت الطائرات منخفضة ، وقامت « يوركتاون » بعمل غلالة من الرزاز وذلك بأطلاق مدافعها فى الماء لتضليل الطائرات المنخفضة ، ولكن تمكنت خمس طائرات من إختراق هذه الغلالة ، وضربت الحاملة بثلاث طوربيدات . ودمرت « يوركتاون » تدميراً خطيراً مما أوجب إخلائها ، وبعد ذلك بيومين أغرقتها غواصة يابانية . وفى نفس الوقت تم تحديد مكان « هيريو » ، وأطلقت الحاملة « هورنت » قاذفاتها المنقضة ، وفى الساعة الخامسة كانت آخر حاملات الأدميرال « ناجومو » مشتعلة ، وبذلك تم إغراق الحاملات الأربعة . ولم يتمكن الأدميرال « ياماموتو » الموجود فى سفينة القيادة على مسافة ١٠٠ ميل فى الخلف من جمع أى تقارير واضحة عن المعركة إلا فى وقت متأخر من بعد الظهر . وبدأ على الفور الأنسحاب غرباً خوفاً من هجوم تالى للحاملات على أسطولة .وقام سبروانس بمطاردته ومعه الحاملتين « أنتربرايز » و « هورنت » ولكن لم يحدث أى إشتباك حتى ٥ يونية .

وفى ٦ يونية أغرقت القاذفات الأمريكية ، الطراد الثقيل « ميكوما » وتلك كانت الخاتمة الأخيرة لمعركة « ميداوى » . وواصل « ياماموتو » الأبحار للنجاة ، وأوقف «سبروانس» المطاردة نظراً لنقص الوقود فى الحاملات الأمريكية . وكانت معركة « ميدواى » فى يونية ١٩٤٢ ذات أهمية بالغة من الناحية الإستراتيجية ، فلو قدر ودمر اليابانيون أسطول الحاملات الأمريكية ، لفقدت الولايات المتحدة الفرصة لهزيمة اليابان لمدة طويلة .وظهرت فى السنوات التالية للحرب أهمية وحيوية وجود الحاملات فى الحرب البحرية . وقد كان من المستحيل الإستيلاء على الجزر المتناثرة غربى الباسفيك بدون غطاء جوى . وأصبح اليابانيون بعد خسارتهم لهذه الحاملات الأربعة فى موقف سىء الغاية ولم يتمكنوا من بناء سوى حاملة طائرات واحدة يمكن الأعتماد عليها فقط قبل نهاية الحرب . ومن ناحية أخرى كان عليهم إستخدام البوارج المعدلة لتصبح حاملات ولكنها كانت ليست البديل الصحيح لقوة وتأثير حاملات الطائرات . وفى ذلك الوقت أصبح الأمريكيون فى موقف ملائم للهجوم ، وبدأوا حملتهم

الطويلة بالصراع حول « جواد الكنال » ، والتى إستمرت من أغسطس ١٩٤٢ حتى يناير ١٩٤٣ ، وكانت « جواد الكنال » نقطة إستراتيجية هامة حيث أنها جزيرة من مجموعة جزر سليمان ، أنشأ فيها اليابانيون مهبط للطائرات . وفى ٧ أغسطس دخل الأسطول الأمريكى إلى المنطقة ، وتم إنزال حوالى ٢٠٠٠٠ من رجال البحرية بنجاح . ولكن بعد ذلك بيومين ظهر على المسرح حشد بحرى يابانى ، وفى عملية ليلية اغرقت أربعة طرادات أمريكية وهى نصف القوة الأمريكية ، وكان الصراع التالى من أجل « جواد الكنال » بالغ القسوة . فالى جانب الأعمال الصغيرة المتعددة والهجمات الجوية المستمرة من كلا الجانبين ، فقد نشبت ستة معارك بحرية أخرى ، وأعجزت المعارك الثلاث الأولى منها ، اليابانيين عن إحضار تدعيات قوية ، وعلى أرض « جواد الكنال » نفسها دار قتال قاسى وضارى وبطريقة متكافئة فى القوى وفى الخسائر لكلا الجانبين ، ثم تمكن الأسطول الأمريكى من إحراز التفوق على اليابانيين. وكانت آخر عملية بحرية عبارة عن عملية تغطية بواسطة اليابانيين للجلاء عن « جواد الكنال ». وأدى هذا النجاح الأمريكى فى النهاية إلى إيقاف التقدم اليابانى جنوبا ، وحقق للامريكيين قاعدة لهجومهم المضاد . ويشير الأسم الغير رسمى لها « عملية رباط الحذاء » على مدى صعوبتها .

اقوى قوة بحرية فى العالم (أنظر اللوحة رقم ٥٤)

وفى أوائل عام ١٩٤٣ حددت الخسائر الجسيمة التى وقعت بين السفن والطائرات اليابانية مقدار المعاونة التى يستطيع اليابانيون تقديمها لحامياتهم الخارجية . وبدأ الأمريكيون حملتهم لإعادة إحتلال القواعد اليابانية . وتميزت إستراتيجيتهم بالعمليات المشتركة ذات المستوى العالى بين جميع الأسلحة . وكان التقدم نحو اليابان لابد أن يتم عبر سلاسل الجزر المتعددة وفى وثبات متتالية وذلك بالإستيلاء على الجزر التى يحتلها اليابانيون قبل الاتجاه إلى الجزر الأخرى ، ولذلك أستخدمت القوات الجوية من قواعد جوية متقدمة أو من حاملة للطائرات ، للقيام بأجراء الضرب التمهيدى ضد قواعد العدو ، ثم بعدها يتم وثبة إلى الإمام بواسطة القوات المحمولة بحراً أو جواً للاستيلاء على الهدف .

ثم يتم إنشاء « قاعدة متحركة » مكونة من السفن التى تحمل كل الإحتياجات من مؤن

ومعدات ووقود ، للتحضير للوثبة التالية . وقاد الجنرال « دوجلاس مارك آرثر » التقدم على طول الشاطىء الشمالى لغينيا الجديدة حتى الفليبين .

وفى نفس الوقت تقدم الأدميرال « نيمتز » من جزر « هاواى » إلى جزر « جلبرت » و « مارشال » ثم إلى جزر «مارياناس» . وقام الأدميرال « هالس » بتطهير المنطقة جنوب شرقى غينيا الجديدة . وقاتلت قوات[1] مارك آرثر ، قتالا عنيفاً للاستيلاء على شبه جزيرة « فينستشافن » والتى تم الإستيلاء عليها فى أكتوبر ١٩٤٣ ، وفى سبتمبر ١٩٤٤ وصلت القوات إلى النهاية الغربية لغينيا الجديدة . وكان له ثقل كبير فى جزيرة موروتاى فى مجموعة جزر الملوك، إستعداداً لغزو الفليبين . وأستولى « نيمتز » على جزر « جلبرت » فى نوفمبر ١٩٤٣ وعلى جزر « مارشال » فى أوائل ١٩٤٤ .

وفى يونيه ١٩٤٤ هوجمت جزر « سايبان » و « جوام »ضمن مجموعة جزر «ماريناس». وإنخفض إنتاج اليابان للمواد الحربية إنخفاضا كبيرا ، بينما أنتج الأمريكيون طائرات جديدة وبأعداد كبيرة ، كما كان تفوقهم فى حاملات الطائرات كبيرا جدا . وأستخدم اليابانيون غواصاتهم فى مهاجمة السفن الحربية الأمريكية،فى الوقت التى ركزت فيهالغواصات الأمريكية هجومها على سفن الشحن وناقلات البترول اليابانية ، وكان ذلك له أكبر الفائدة .

وكان من النادر أن يستطيع اليابانيون تدعيم الجزر ، حيث كانت القاذفات الأمريكية تقصف بعنف وشدة أى محاولة للنزول إلى البر ولكن كان القتال دائما ضاريا وبدون رحمة من كلا الجانبين ، فكان اليابانيون ينتظرون فى الأحراش ويهاجمون مشاة البحرية على الشواطىء شديدة الانحدار . وعلى أى حال فبعد عدة أسابيع من القتال تم الإستيلاء على جزر « الماريناس » ، وبعد ذلك وفى معركة بحر الفليبين فى ٢٩ يونية أغرق أسطول«سبراونس» أفضل حاملتى طائرات يابانية ، كما دمر حاملة أخرى ، بينما تم تدمير أكثر من ٤٠٠ طائرة يابانية بواسطة الطائرات الأمريكية من نوع « هلكات » .وقد خاض كل من«ماك آرثر» و « نيمتز » واللذين أعرفها ، حملات بارعة فى حربهم ضد اليابانيين فى الشرق الأقصى . وقد كانت هذه الحرب برمتها حربا أمريكية ، وقد قاتل الأمريكيون حرباجديدة وبوسائل

---

(١) كان معظمها من الاستراليين « المعرب »

جديدة ، وواصلوا الحرب حتى حققوا النصر الكاملا . وقد ركب الحلفاء أمواج هذه الحرب بصعوبة .

ولكن لم يكن لدى ماك آرثر حليف يقترح عليه حلولا بديلة . وخلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ أحدث الأمريكيون تأثيرا عميقا جدا فى الحرب البحرية ، فقد طوروا إستراتيجية جديدة وتكتيكات جديدة وأساليب تكنولوجية تلائم الحرب فى البحر فى العصر الجديد للقوة الجوية . وأرتقوا خلال الأربع سنوات من الحرب ليصبحوا أقوى قوة بحرية فى العالم . ولكم أنا سعيد عندما حظيت بالتعرف على الأدميرال « نيمتز » ، ذلك البحار العظيم .

عمليات سليم (أنظر اللوحة رقم ٥٥)

والآن يجب علينا أن نعود إلى بورما ، حيث يخوض الجنرال سليم معارك بارعة بجيشه الرابع عشر .

فبينما كان المديتحول ضد اليابانيين فى الباسفيكى ، قام الحلفاء بالهجوم فى بورما . فقد تبع إنسحاب قوات الكسندر فى عام ١٩٤٢ فترة من الركود حيث قام البريطانيون خلالها بتنفيذ برنامج كبير لإعادة التدريب فى الهند ، وبأسلوب تجريبى إلى حدما . وقد تم الهجوم بحذاء الشاطىء الغربى فى منطقة «أراكان» وإنسحب اليابانيون إلى موقع مجهز فى شبه جزيرة « مايو » والمدافع عنها بشبكة من الدشم المحصنة. وهناك صدوا الهجمات المتكررة ، برغم التفوق عليهم بنسبة ٢ : ١ ، مما أدى أن أنسحب البريطانيون أخيرا ، بعد ما تكبدوا خسائر جسيمة كما حدث إنخفاض فى الروح المعنوية . وفى نفس الوقت قام ضابط بريطانى هو العميد « أورد وينجات » بعملية قام هو بتصميمها وبموافقة ويقل عليها . وكانت نظرية « أورد » تتضمن أنه يمكن لقوة صغيرة ومدربة تدريبا عاليا ، أن تعمل فى داخل بورما وذلك بشن حرب عصابات على مواصلات اليابانيين ، متجنبين القوات الدفاعية الرئيسية لليابانيين على ألا تعتمد هذه القوة على المواصلات البرية ، ولكن يتم إمدادها من الجو . وفى فبراير ١٩٤٣ عبر « أورد » نهر « شندوين » ومعه ٣٠٠٠ رجل ، مخترقا طريقه بعمق فى الأراضى التى يحتلها اليابانيون .

وفى مارس تم قطع خط السكة الحديد من «مندلاى» إلى ميتكينيا فى عدة أماكن وقتل مئات من جنود العدو .

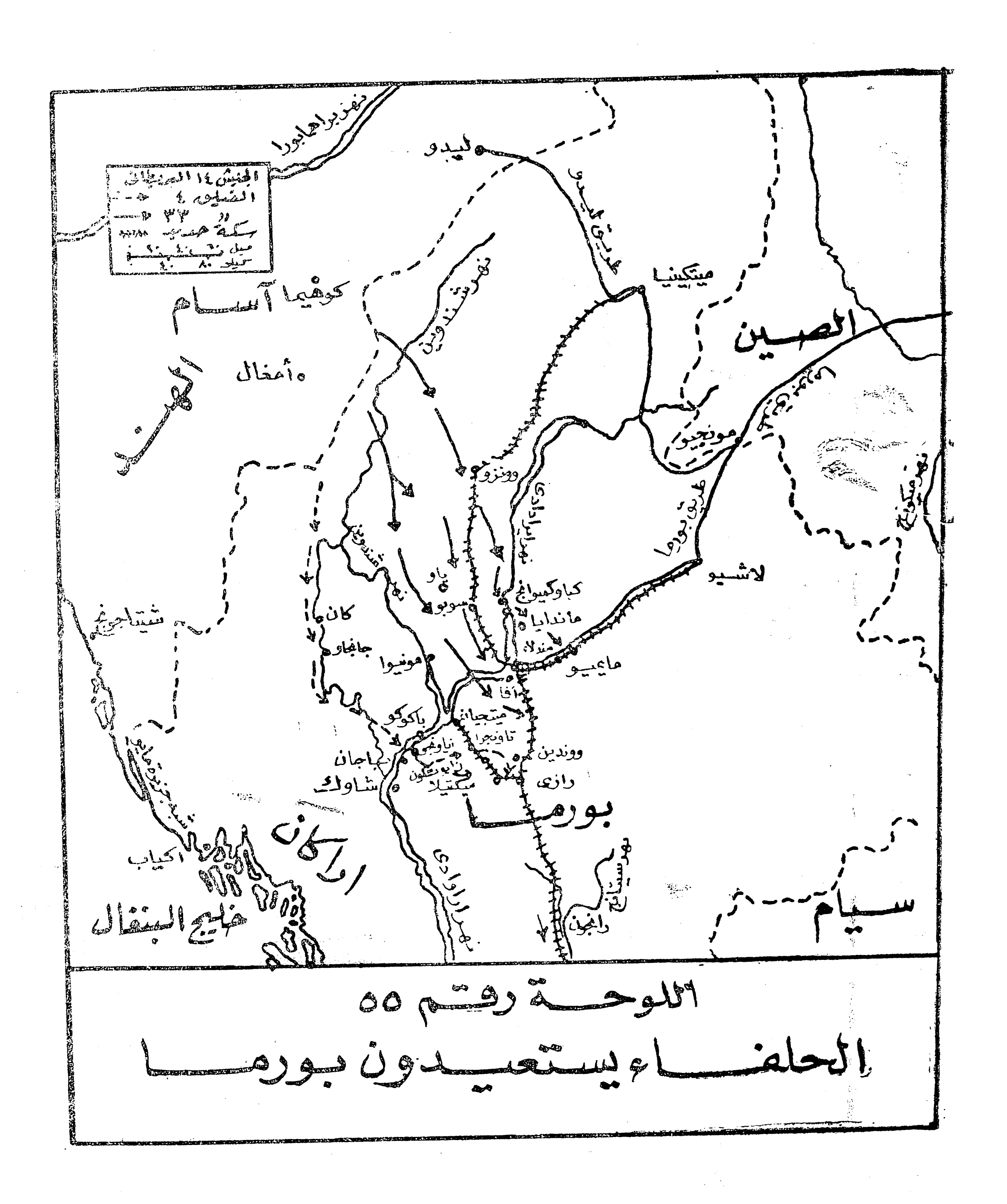
وفى مايو عاد إلى الهند حوالى ٢٠٠٠ رجل من الحملة أحياء . ومن الناحية المادية ، لم تكن لحملة « أورد » قيمة كبيرة، كما أضطرت إلى ترك المرضى والجرحى لليابانيين المتوحشين وأدى هذا إلى الكثير من الشك فى قيمتها ولكن أكتسب الأمريكان خبرة ممتازة فيما يختص بالأمداد الجوى .

وفى عام ١٩٤٣ تم تنظيم قيادة جديدة للحلفاء ، وأصبح الأدميرال « مونتباتن » القائد الأعلى والمسئول عن تنظيم وتنسيق التعاون بين القوات فى جنوب شرقى آسيا ، كما أصبح « ستيلويل » نائباً له ، والذى كان قائداً للقوة الأمريكية — الصينية فى المنطقة الشمالية ، والتى تشمل على ثلاثة فرق صينية وثلاث كتائب أمريكية وقوة غير نظامية صغيرة .

أما القوة الرئيسية الأخرى فكانت الجيش البريطانى ١٤ والذى يتكون من حوالى ١٠ فرق من القوات البريطانية والهندية والجوركية والجنوب أفريقية ومعها لوائين من الدبابات. وفى أواخر عام ١٩٤٣ تولى الجنرال سليم قيادة الجيش ١٤ ، أما القوات اليابانية فكانت بقيادة الجنرال « كاواب » بلغ مجموعها حوالى تسع فرق كاملة ، وقد قسمت إلى ثلاثة جيوش: — الجيش ٢٨ ومسئولا عن مواجهة « أراكان » ، والجيش ١٥ مسئولا عن الجبهة الوسطى وبصفة خاصة ممرات السكة الحديد ، والجيش ٣٣ يحتل ويسيطر على الجبهة الشمالية الشرقية.

وقد أعطى الأمريكيون الأسبقية الأولى لتطهير الطريق إلى الصين عبر شمالى بورما . وكانت إستراتيجية الحلفاء لهجوم شتاء ١٩٤٣ — ١٩٤٤ تدور حول هذا الرأى وتحتم تجديد الهجوم على « أراكان » بينما تتحرك قوة «ستيلويل» جنوبا فى إتجاه «ميتكيينا» لتغطيه طريق ليدو على أن يتعاون مع قوة « ستيلويل » هجوم آخر « أورد » .

وأصبح من الملامح المميزة لهذه الحملة هو الاستخدام الجديد للمعاونة الجوية والتى حققتها القوات الجوية الملكية والأمريكية . فقد كانت الأمدادات والمواصلات تتم جواً بالكامل ، فكان يتم الأمداد بالكامل من الجو لفرقة تتقدم بسرعة عبر الأراضى الصعبة. وسارت الحملة سيراً حسناً . وحاول اليابانيون تطويق القوات البريطانية فى « أراكان » ولكن



اللوحة رقم ٥٥

الحلفاء يستعيدون بورما

تم تطويقهم عندما دفع سليم بقوات إضافيه جوا . وأدى هذا الأنتصار الأول للبريطانيين على اليابانيين إلى رفع الروح المعنوية بدرجة عظيمة . وقد حققت قوات « ستيلويل »أهدافها، فقد قوبلت بفرقة واحدة فقط .

وتم إنزال لوائين من قوات « أورد » بواسطة الطائرات الشرعية فى عدة نقط ، بينما تقدم لواء واحد براً ، وقامت هذه القوات بمهاجمة المواصلات ، فنجحت فى جذب القوات اليابانية الرئيسية بعيدا عن « ستيلويل » قبل أن تشتبك معه في قتال . وقتل « أورد » نفسه فى حادث سقوط طائرة .

وفى مارس ١٩٤٤ قام اليابانيون بهجوم رئيسى ضد آسام ، ودار صراع دام ثلاثة أشهر فى كل من منطقتى « أمفال » و « كوهيما » . وقام سليم مرة أخرى بنقل قوات بطريق الجو ، حتى أصبح لدى البريطانيين ست فرق ضد ثلاث فرق يابانية . وبعد هجوم يائس تم فى يوليه ، توقف اليابانيون وأنسحبوا عبر نهر « شندوين » بعد أن قاتل اليابانيون بعنف وخسروا أكثر من ٥٣٠٠٠ رجل، كما أنهم عانوا المزيد من الخسائر التي نتجت عن الأمراض وخصة الملاريا . ويعتبر ذلك مقياسا لنوع الخدمات الطبية التى تتطلبها بشكل عام الحملات فى مثل هذا النوع من البلاد . وبعد الهزيمة الساحقة لليابانيين فى آسام ، أصبحت مهمه سليم هى إحتلال وسط بورما وجنوبها حتي « مندلاى » . فى الوقت الذى أصبحت قوة اليابانيين فيه تعادل عشر فرق مشاة وفرقتين من « الجيش الهندى القومى » وفوج دبابات ، بالإضافة إلى العديد من القوات على خطوط المواصلات .

وقد إستطاعت قوة الحلفاء الشمالية والتى يقودها فى ذلك الوقت الجنرال « سلتان » أن تشغل فرقتين من قوات العدو ، بينما أمكن شغل ثلاث فرق أخرى بواسطة القوة التى فى «الأراكان» وأيضا عن طريق التهديد بعمليات إنزال بحرى وجوى. وبذلك فأصبح من المتوقع أن يواجه هجوم الجيش ١٤ المكون من ست فرق على وسط بورما، بخمس فرق معادية فقط. وقد كان لدى اليابانيين قائداً عاماً جديداً هو الجنرال كيمورا . وقد قسم سليم جيشه إلى فيلقين الفيلق ٤ بقيادة الجنرال « مسيرفى » ويتكون أساساً من الفرقة ٧ والفرقة ١٧ واللواء

٢٥٥ دبابات[1] . والفيلق ٣٣ بقيادة الجنرال « ستوبفورد » ويتكون من الفرقة الثانية والفرقه ١٩ والفرقة ٢٠ واللواء ٢٥٤ دبابات[2] . ووضعت الفرقة الخامسة فى الأحتياطى. وكان على النقل الجوى أن يكون هو وسيلة الأمداد حتى المواقع المتقدمة .

وبدأ هجوم الجيش ١٤ فى ٣ ديسمبر ١٩٤٤ ، وعبرت فرق سليم الستة نهر شندوين لغرض إجبار اليابانيين على الدخول فى المعركة وهزيمتهم فى سهل شويبو . وعلى أى حال فقد قرر « كيمورا » بعد هزيمتـه فى « أمفال » عـدم المخاطرة بمعركة فى سهل مفتوح ، وقام بسحب قواته بالتدريج خلف نهر « أراوادى » حيث إستعد « لمعركة شاطىء نهر أراوادى » .

وكان يأمل أن يعطل الجيش ١٤ عندما يحاول عبور النهر ، وبعد ذلك يقوم بتدمـيره أثناء عودته منهكا إلى نهر « شندوين » .

ولـكن عندما أصبح واضحاً أن اليابانيين ينسحبون ، قام سليم باتخاذ خطة جديدة لتدمير القوات اليابانية الرئيسية خلف « أراوادى » ، وكانت الخطة تتضمن أن يقوم الفيلق ٣٣ بعبور النهر عنوة شمال وغرب « مندلاى » ، جاذباً إليه أكبر تجمع ممـكن من القوات اليابانية ، بينما يقوم فى نفس الوقت الفيلق الرابع بالتسلل على طول وادى جانجاو ، ويعبر نهر « أراوادى » بالقرب من « باكوكو » ، ثم يقوم عندئذ وبدون توقف وبعنف بالهجوم بالمـدرعات والقوات المحمولة جـواً على « ميكتيلا » المركز الرئيسى الإدارى للجيوش اليابانية .

فـكان يتواجد فى هذه المنطقة قواعدهم الرئيسية للأمداد ومستودعات الذخيرة والمستشفيات وعدة مطارات ، كما كان يلتقى عندها الطرق والسكة الحديد الآتية من الجنوب الشرقى والغرب، وقبل أن تمتد ثانية إلى الشمال، ولو تم الإستيلاء على ميكتيلا فسوف تقطع مواصلات الجيوش اليابانية فى المنطقة بين « سلوين » ونهر « أراوادى » ، وبذلك يجبر « كيمورا » على القتال فى معركة غير متـكافئة من أجل إستعادتها . ويمـكن للبريطانيين بعد ذلك متابعة النصر بالأنطلاق نحو « رانجون » .

(١) كان نوع الدبابات شيرمان

(٢) كان نوع الدبابات جرانت وستوارت

وفى الأسبوع الثانى من يناير ١٩٤٥ كان جيش سليم يقترب من نهر « أراوادى » وعلى مواجهة أكبر من ٢٠٠ ميل فيما بين « وونزو » و « با كوكو » .

ولم يحاول اليابانيون التمسك بكل خط النهر ، ولكنهم ركزوا الدفاعات على أماكن العبور المحتملة ، مع الإحتفاظ بإحتياطى خفيف الحركة فى الخلف حتى يتضح لهم نوايا البريطانيين .

وفى ليلة ١٤ يناير بدأ الفيلق ٣٣ تنفيذ دوره فى إستراتيجية سليم ، وبدأت الفرقة ١٩ عبور نهر أراوادى ، شمالى مندلاى ، عند « كياوكميوانج » حيث تم أقامة رأس جسر .

وفى يوم ١٧ قرر العدو أن هذه هى عملية العبور الرئيسية للبريطانيين، وتم حشد القوات اليابانية للقيام بهجوم كبير هناك .

وفى خلال الثلاثة أسابيع التالية نشب قتال عنيف ، وأحضر « كيمورا » قوات أكثر وأكثر ، بما فى ذلك تدعيمات من « ميكتيلا » ، لطرد البريطانيين خلف نهر « أراوادى »، ولكن رأس الجسر البريطانى كان يتسع بثبات ، كما تم عبور آخر إلى الغرب من « مندلاى » .

وفى نفس الوقت كان الفيلق الرابع يشق طريقه جنوباً خلف نهر « شندوين » فى إتجاه نهر « أراوادى » عند « با كوكو » .

وكان آخر موعد لأنجاز العبور هو ١٥ فبراير ، ولأحباط أى أعاقة يقوم بها الحرس الخلفى اليابانى ، تم التقدم خلف منطقة « كان » وعلى مواجهة واسعة لكى يمكن تطويق العدو ، وفى ٢٨ يناير وصل الفيلق الرابع إلى وادى نهر « أراوادى » .

وجند كل الرجال للعمل فى إنشاء مهابط للطائرات وإصلاح الطرق حتى يمكن للدبابات وعربات النقل أن تتحرك للأمام ، ومعها مهات العبور . وقرر « مسيرفى » أن يتم العبور بالقرب من « نياونجو ، حيث هناك النهر ضيقاً .

ولكى يتم خداع العدو ، تمت عمليتين خداعيتين فى نقطتين آخرتين على النهر . وقبل فجر يوم ١٤ فبراير مباشرة قامت أولى القوات بالعبور فى قوارب فى سكون تام ، وكان مكان

العبور على بعد حوالى ميل من نياونجو ، وقاموا بانشاء مواقع دفاعية على الضفة البعيدة . وفى ضوء النهار عبرت النهر قوة كبيرة ترافقها المدفعية والدبابات علاوة على المعاونة الجوية لتوسيع رأس الجسر لباقى القوات .

وتم الإستيلاء على « نياونجو » فى ١٦ فبراير . وفوجىء اليابانيون مفاجأة كاملة ، فلم يكن لديهم أى معلومات عن وجود قوات معادية رئيسية فى المنطقة . ولم يكن القيام بمثل هذه العملية ممكناً إلا بالتغطية التى وفرتها تحرك القوات من خلال الأحراش ودعم القوات الجوية لتحركات تلك القوات .

ولقد إنخدع « كيمورا » تماماً بخطة « سليم » ، فقد ظل يعتقد أن جميع الجيش ١٤ مازال فى المنطقة بين نهرى « شندوين » و « أراوادى » ، شمالى «مندلاى» . أما العمليات التى كانت تتم فى إتجاه « با كوكو » فقد أعتبرها « كيمورا » نوعاً من المظاهرات العسكرية الخداعية التى تقوم بها قوات صغيرة .

وظل « كيمورا » يتوقع أن يقوم البريطانيون بمحاولة رئيسية وواسعة للانطلاق فى إتجاه « مندلاى » ، ولذلك فقد إستمر فى سحب القوات من القطاعات الأخرى لحشدها لمعركة شاطىء نهر « أراوادى » .

وفى أواخر شهر فبراير زادت التدعيمات من قوة « كيمورا » حتى وصلت قوته إلى تسع فرق ، وذلك ضد الخمس فرق البريطانية الموجودة عند « مندلاى » . وأصبح الفيلق ٣٣ يواجه مقاومة كبيرة من المجموعات الغير نظامية المحلية .

وكان من الضرورى على الفيلق الرابع أن يحقق نجاحاً سريعاً فى هجومه على « ميكتيلا » . الشىء الذى سوف يجبر « كيموررا » على التحول لأنقاذها ومن ثم تتعرض قواته لهجوم مزدوج .

الألغام البشرية (أنظر اللوحة رقم ٥٥،٥٦)

وفى ٢١ فبراير بدأت الفرقة ١٧ ولواء دبابات الفيلق الرابع التقدم نحو « ميكتيلا » . وفى ٢٥ فبراير إحتلوا مهبط طائرات « زابوتكون » والذى يقع على بعد عشرة أميال فقط من المدينة .

وفى اليوم التالى تدفقت قوات أكبر إلى المنطقة ، وجرت محاولات من جانب اليابانيين لأغلاق الطريق ، ولـكن تم القضاء عليها بسرعة بواسطة هجمات بالمواجهة وبحشد من الدبابات . وعلى بعد خمسة أميال من المدينة توقف الفيلق الرابع لأعادة التشكيل .

أما اليابانيون فى « ميكتيلا » فقد قضوا أياما عديدة فى حفر المواقـع الدفاعية تحت قيادة الجنرال « كاسويا » .

وقد نظم « كاسويا » قوته المقاتلة والتى كانت حوالى ٣٫٢٠٠ رجل وعدد كبير من المدافع ، وقام بتسليح كل رجاله المتيسرين حتى المرضى بالمستشفيات ، وقد تم وضعهم فى نقط قوية ، كما نصب المدافع المضادة للطائرات والتي جلبت من المطارات القريبة على المحيط الخارجى للدفاعات لتعمل كمدافع مضادة للدبابات .

وعلى أى حال فقد كانت « ميكتيلا » مكاناً يصعب جداً مهاجمته ، حيث يوجد فى شمال وجنوب المدينة بحيرات جعلت من السهولة الدفاع عن الطرق لأنها كانت طرقاً مرتفعة تمر فى أرض منخفضة ، كما أن الأرض المحيطة كان يقطعها قنوات ومصارف للرى .

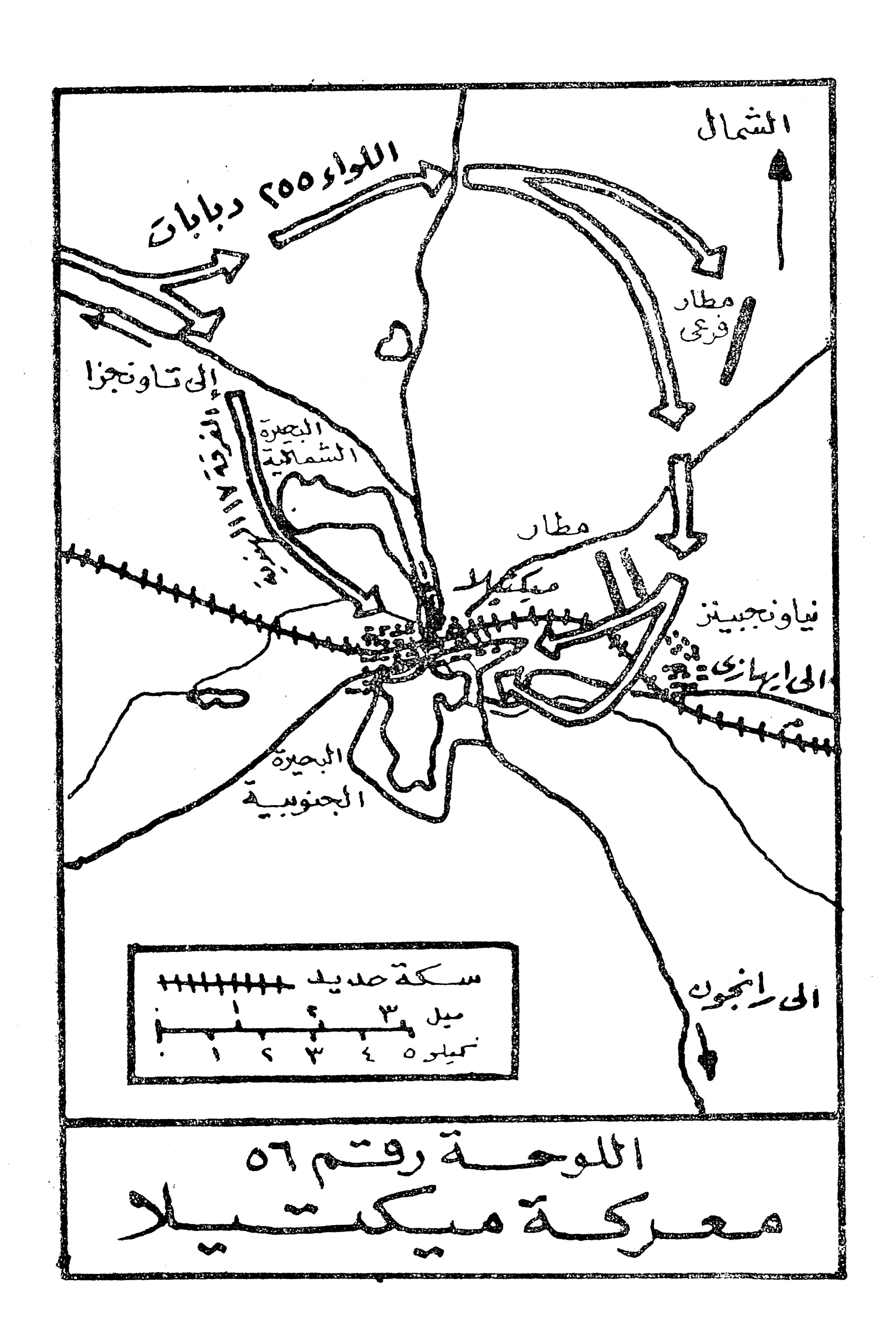
وكانت الخطوة الأولى فى الهجوم هى الإستيلاء على المطار الواقع على الأطراف الشرقية للمدينة ، حتى يمـكن إرسال التدعيمات والمؤن بطريق الجو .

وفى ٢٨ فبراير ، شغل هجوم بريطانى على الدفاعات الغربية إنتباه اليابانيين ، بينما قام اللواء الدبابات ٢٥٥ بالتفاف لمسافة عشرة أميال حول « ميكتيلا » من الشمال حتى يصل إلى الشرق فيتشكل هناك للهجوم .

وتم الهجوم المدرع بمعاونة المدفعية والطائرات، وإخترق البريطانيون مقاومة اليابانيين[١] العنيفة وتقدموا نحو المدينة .

وكان أول مارس هو أعنف أيام القتال ، بينما تضاءل التقدم نحو الشرق، وتم إجراء عدة هجمات أخرى على النقط الدفاعية التى فى الغرب وفى الجنوب الشرقى . ودار قتال ضارى داخل المدينة عندما زحف البريطانيون من ضواحيها المتطرفة نحو وسطها ، حيث إصطدموا بدشم مدافع الماكينة بالقناصة اليابانيين والمختبئين فى كل منزل وفى قنوات المياه وخلف

(١) كانت تتـكون من جيوب شملت من بقى حياً من اليابانيين ، وظلت هذه الجيوب تقاتل بضراوة بائسة .
« المعرب »



اللوحة رقم ٥٦

معركة ميكتيلا

أكوام الحجارة . ولم يستسلم اليابانيون بل ماتوا حيث كانوا يقاتلون . وتقدم البريطانيون ببطء ولكن بثبات ، ومع حلول المساء كانوا تقريباً قد دخلوا المدينة، وفى ٢ مارس تم حصار اليابانيين فى الجزء الجنوبى .

وفى ٣ مارس ١٩٤٥ كانت الحامية قد أبيدت تقريباً ، وأصبحت « ميكتيلا » فى أيدى البريطانيين . وذهل « كيمورا » لسقوط المدينة ، وعلى الفور إستبعد تخطيطه الخاص بالهجوم على الفيلق ٣٣ فى « مندلاى » وقام بتحويل قواته تحت قيادة الجنرال « هوندا » لاستعادة « ميكتيلا » .

وكان لدى اليابانيون قوات كبيرة متيسرة لهذه العملية ، ولكن كان عليها أن تتجمع من إتجاهات مختلفة ، ولذا كان من الصعب على « هوندا » تنظيم التحركات ، وأكثر من ذلك فكان الحلفاء لهم السيطرة الجوية الكاملة فى ذلك الوقت .

وفى الوقت الذى بدأت فيه القوات اليابانية تتجمع عند « ميكتيلا » من الشمال والجنوب قام الفيلق الرابع بالضرب فى جميع الاتجاهات فى هجوم جرىء .

وقامت المشاة والدبابات بغارات يومية لمسافة وصلت حتى ٢٠ ميلا وذلك لأصطياد ومهاجمة القوات اليابانية المقتربة .

وكان هدف اليابانيين الأول هو مهبط الطائرات ، والذى بإحتلاله كانت تقطع الإمدادات البريطانية . وبعد صراع وحشى ومستمر وصل فيه اليابانيون إلى حافة مهبط الطائرات ، ولكن أمكن طردهم تحت وطأة الهجمات المضادة .

وفى الأسبوع الأخير من مارس أصبحت ميكتيلا مؤمنة . وفى نفس الوقت الذى تحول فيه « كيمورا » لإستعادة « ميكتيلا » ، قام الفيلق ٣٣ بهجوم شامل من رأس الجسر فى إتجاه « مندلاى » .

وفى ٢٦ فبراير عندما بدأ الهجوم إنسحب اليابانيون تاركين جيوبا للمقاومة والتى أمكن التعامل معها فيما بعد . ولكن كلما أقترب البريطانيون من « مندلاى » كلما قابلوا مقاومة عنيفة .

وإستخدم اليابانيون ألغاماً بشرية عبارة عن جندى رابض فى حفرة ومعه قنبلة طائرة

زنتها ١٠٠ كيلو جرام بين ركبتيه ، ويوجد حجر كبير فوق الطابة ، وعندما تمر دبابة معادية فوق حفرته يقوم بأسقاط الحجر فتنفجر القنبلة والرجل والدبابة معاً . وفى الحقيقة أحدثت هذه الألغام البشرية خسائر طفيفة .

وفى ٨ مارس إنحصرت المقاومة اليابانية فى موقعين قويين ، وهما « تل مندلاى » « وقلعة دوفرين » ، وقد تم الإستيلاء على تل مندلاى فى ١١ مارس وذلك عندما تم حرق آخر المدافعين اليابانيين فى أقبيتهم ، كما تم قصف قلعة دوفرين والإستيلاء عليها فى ٢٠ مارس .

وفى نهاية مارس ١٩٤٥ كان الحلفاء قد أستولوا على كل ضفتى نهر أراوادى ، وذلك من « مندلاى » حتى « شاوك » والطريق الرئيسى والسكة الحديد المؤدية إلى رانجون جنوبا حتى « ووندين » . والآن من موقع ميكتيلا الحاكم أمكن لقوات الحلفاء التوسع فى أى إتجاه .

وأدار سليم الحملة التالية بالبراعة التى تمت بها عملية « مندلاى » — « ميكتيلا » . وبعد التقدم فى منطقة « أراكان » تم فتح مطار جديد وطرق إمداد بحرية جديدة . وفى ٣ مايو أستعيدت « رانجون » ، وإنسحب اليابانيون شرقا عبر نهر « سيتانج » وبذلك فقد كان لزاما القيام بقتال ضارى لتطويقهم ، وبدأت بعد ذلك التحضيرات لغزو الملايو ، ولكن هذا لم يتم على الأطلاق .

ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية

وفى سبتمبر ١٩٤٤ كانت كل من قوات « ماك آرثر » و « نيمتز » مستعدة للهجوم على الفلبين واليابان .

وفى ٢٠ أكتوبر بدأ الجيش السادس بمعاونة البوارج والطرادات والمدمرات و١٨ حاملة طائرات صغيرة فى النزول بجزيرة « ليت » . وقرر اليابانيون وجوب التمسك بالفلبين ، وتم حشد كل القوات البحرية المتيسرة من قواعد مختلفة .

وتمثل الصراع من أجل جزيرة « ليت » عن سلسلة من المعارك التى إمتدت عبر مئات من الأميال . وعلى مدى أربعة أيام جرى أكبر إشتباك بحرى فى الحرب ، حيث قاتل خلالها

اليابانيون بأسمائه . وقد إستخدم الطيارون اليابانيون فى هذا القتال التكتيكات الإنتحارية، فكانوا ينقضون بطائراتهم المحملة بالقنابل ويرتطموا بأسطح الحاملات الأمريكية والسفن الغير مسلحة الأخرى . وقد تسبب هذا التكتيك إلى تدمير ٣٣ سفينة أمريكية .

ولكن يرجع الفضل أساساً للتفوق الجوى الأمريكى ، الذى أدى أن اليابانيين عانوا من هزيمة كبيرة بفقدهم من قبل أربعة حاملات للطائرات وحاملتين صغيرتين وثلاث بوارج ، علاوة على الكثير غيرها . وعموما ، فقد إستمر اليابانيون يدافعون عن الفليبين . وكان لدى الجنرال « ياماشيتا » حوالى ٢٥٠٠٠ر٢٥ مقاتل .

وفى نهاية عام ١٩٤٤ أستولى الجيش السادس بقيادة الجنرال « كريجر » على كل جزيرة « ليت » . وفى يناير غزا الجيشان السادس والثامن جزيرة « لوزون » والتى كانت أقوى الجزر .

وفى مايو ١٩٤٥ كان الحلفاء قد أستعادوا الفليبين . وكان الهدف الرئيسى التالى هو جزيرة « أكيناوا » تلك القاعدة الجوية المتقدمة الهامة . وفى أول إبريل بدأ فيلق من مشاة الأسطول والفيلق البرى ٢٤ ، فى النزول على جزيرة « أكيناوا » والتى كانت حاميتها مكونة من ٠٠٠ر١٢٠ مقاتل يابانى .

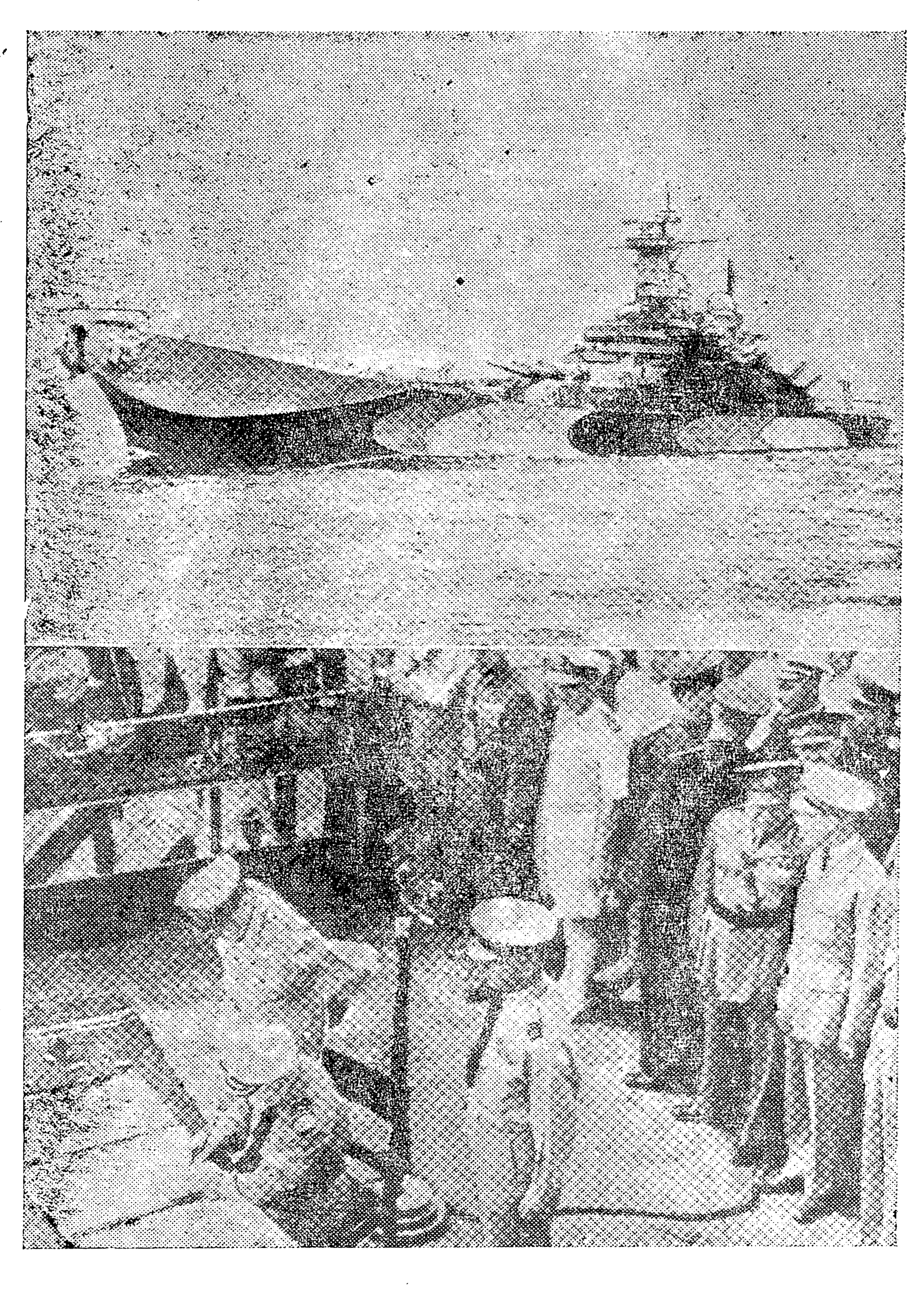
وعمل الطيارون اليابانيون الانتحاريون مرة أخرى ، وكان القتال فوق « أكيناوا » من أعنف ماشهدته الحرب من وحشية والذى إستمر حتى ٢١ يونية عندما أستطاع الأمريكيون تأمين الجزيرة .

وقد بلغ قتلى اليابانيين ٠٠٠ر١٠٠ ، أما خسائر الأمريكيين من جميع الأنواع[1] ، فقد بلغت ٠٠٠ر٣٩ رجل .

ومنذ ذلك الوقت إشتركت الطائرات التي تعمل من « أكيناوا » فى القصف الجوى ضد اليابان نفسها . والذى كان قد بدأ فى نوفمبر وأخذ يشتد فى الفترة بين إبريل وأغسطس ١٩٤٥ ، وذلك إستعدادا لغزو اليابان . وفى الفترة السابقة كانت الطائرات المحمولة على الحاملات هى التى تقوم بمعظم القصف ، ولكن الآن أصبحت القلاع الطائرة الكبيرة « ب ٢٩ » التابعة للقوات الجوية والتى تعمل مع الجيش هى التى تقوم بمعظم القصف .

وركزت الهجمات من « أكيناوا » على « نجازاكى » مدمرة أحواض السفن ومنطقة إنتاج الطائرات .

ومن قواعد فى الصين وجزر مارياناس قصفت الطائرات المراكز الصناعية فى اليابان ،



الاحتفال بتوقيع اليابان وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط

بينما كملت الهجمات الليلية المحرقة القصف النهارى المحكم . وقد عانت «طوكيو» و«أوساكا»، من الدمار الشديد .

وفى أغسطس وصل القصف الجوى الهجومى ذروته . وفى ٦ أغسطس أسقط الأمريكيون أول قنبلة ذرية فوق « هيروشيما » حيث قتل ٨٠ر٠٠٠ من السكان .

وفى ٩ أغسطس أسقطت القنبلة الذرية الثانية على « نجازاكى » والتى قتلت ٤٠ر٠٠٠ من السكان وهذا أكثر من مجموع قتلى الغارات الجوية على لندن . ولقد شعر الأمريكيون بأن لديهم مبرر لأستخدام هذا السلاح الجديد فقد كان لايزال لدى اليابانيون ٢٥٠ر٠٠٠ مقاتل فى جزر الباسفيك ، كما كانوا متمركزين بقوة فى جزر الهند الشرقية الهولندية ، والملايو والصين . والدولة التي تعامل أسرها بمثل هذه الوحشية التى عامل بها اليابانيون أسراهم والتي إنتهكت حرمة كل الاتفاقيات الدولية مثل الصليب الأحمر ، والتى أستخدمت الألغام البشرية والطيارين الأنتحاريين ، يجب ألا تلقى أية رحمة . وفى ١٠ أغسطس ١٩٤٥ إستسلمت الحكومة اليابانية بدون قيد أو شرط ، وبذلك إنتهت حرب ٣٩ — ١٩٤٥ .

التخطط السياسى

إن الحرب التى بدأت عام ١٩٣٩ ، والتى سميت بأستمرار بـ « حرب هتلر » ، بدأت ببطء ، وبعد ذلك إشتعلت بسرعة عام ١٩٤٠ ، وأخيراً إنتشرت فوق كل الدنيا تقريبا ، وأصبحت معقدة جدا . وقد حاولت أن أقص القصة للقارىء بأبسط مايمكن ، وبطريقه يمكنه رؤية الغابة بدون أن يتحول إنتباهه إلى أشجار كثيرة جداً .

وأود هنا أن أختتم هذا الفصل بقليل من الأنطباعات التى ربما تساعد القارىء على فهم بعض أو كثير مما حوته هذه الحرب الحديثه من أمور معقدة .

فقد كانت القيادة الوطنية لها أهمية بالغة . فقد كان هتلر فى إعتبار الكثيرين شخصية سياسية مجنونة . وفى الواقع كان هتلر رجلا شيطانيا ، ولكنه كان زعيما ومغامرا وداهية .

ولم يكن لديه ميل لأعلان الحرب وإعطاء الضحية وقتا لتستعد للضربة ، فقد أيقن أن ذلك ليس هو الوسيلة الصحيحة للقتال ، ويمكن إعتبار هذه النظرة معقولة لو أنه إتفق

على أن الدولة تحارب لتنتصر عسكريا فقط.

ولكن يجب ألا يكون هذا هو الهدف النهائى للحرب . وقد إستطاع هتلر نقل زعامته الشريرة إلى الآخرين . وهنا يبرز سؤالا . . من الذى أرتكب أسواء الأخطاء فى إدارة الحرب ؟ ؟ .. وأعتقد أنه هتلر . وقد أشرت إلى أخطاءه فيما كتبت . ولقد كان خطأ عميقا مهاجمته لروسيا فى يونيه ١٩٤١ . وتقول أحد قواعد الحرب الأولى « لاتزحف نحو موسكو.» ومن المحتمل أنه لم يكن قادرا على منع اليابان من مهاجمة الولايات المتحدة والتى بعدها أعلن الحرب هو نفسه على الولايات المتحدة نتيجة لمعاهدته مع اليابان . وعندئذ وجد نفسه يقاتل بريطانيا وروسيا وأمريكا ، ولم يكن يستطيع أن يأمل فى كسب هذه الحرب .

وبعد ذلك إرتكب ثلاثة أخطاء رئيسية على الجبهة الغربية : —

١ — « محاولته خوض القتال فى معركة فرنسا جنوب نهر السين بعد هزيمته فى نورماندى عام ١٩٤٤ »

٢ — « قيامه بهجوم مضاد فى الأردين فى ديسمبر ١٩٤٤ »

٣ — « وقوفه للقتال إلى غرب نهر الراين بأمل إنقاذ الرور.» وقد بدأ هتلر الحرب بداية حسنة ، فمن الناحية التكتيكية المحضة لايسع المرء إلا أن يعجب بالهجوم السريع البارد الأعصاب والتى قامت به القوات المسلحة الألمانية على غرب أوروبا فى ربيع عام ١٩٤٠ ، والذى قلب الميزان العسكرى فى العالم ، وجعل من ألمانيا ، الدولة المسلحة السائدة على العالم . ولكن فى النهاية جلب هتلر الدمار لدولته لأنه كان مدفوعا وراء أنانيته وأطماعه الشخصية .

ستالين وروزفلت و تشرشل

والآن نلقى نظرة على ستالين ، فقد كان زعيما عظيما ، وربما كان متحجر القلب وليس فيه صفة الرجل النبيل ، ولكن لولاه لكان من المحتمل أن يترك الروس الحرب مبكرا فى عام ١٩٤٢ .

وتشرشل الوحيد الذى أدرك أن ستالين سوف يستخدم الحرب لأحكام قبضته على شرق أوروبا ، وقد طغت الأستراتيجية السياسية على تفكير ستالين حتى قبل أن يبدأ الصراع على الأطلاق .

وفى الحقيقة فقد بدأ ستالين فى تنفيذ هذه الأستراتيجية فى اللحظة التى جف فيها حبر معاهدة عدم الإعتداء مع ألمانيا فى أغسطس ١٩٣٩ .

ولم يرتكب ستالين أى أخطاء تقريبا ، فقد كانت لديه إستراتيجية سياسية واضحة ، وقام بالسعى وراءها دون أى كلل أو هوادة وبدون أى إنحراف . وقد تعرفت عليه فى أول مرة فى مؤتمر « بوتسدام » فى يولية ١٩٤٥ ، وبعدهـــا كنت ضيفه فى موسكو عام ١٩٤٧ .

وقد كان لديه حاسة إستراتيجية تثير الأعجاب والدهشة ، ولاأستطيع أن أذكر أنه قد أخطأ ولو مرة واحـــدة أثناء نقاشنا فى الموضوعات الاستراتيجية ، وبالطبع كانت إستراتيجيته السياسية والتى تهدف إلى جمع شعوب أوروبا الشرقية فى داخل الأطار الشيوعى لاتروق للغرب .

أما روزفلت فلم يـكن واضحا بالنسبه لى فيما يتعلق بالهدف الذى يقاتل من أجله ، فقد حاول التودد إلى ستالين ولـكن ستالين كسب السلم لروسيا فى مؤتمر طهران ، وكان مؤتمر يالطه تتويج لأنتصاره ، ولم يجد أى صعوبة فى خداع روزفلت . أما تشرشل فـكان زعيما عظيما للشعب البريطانى فى محنته .

ولقد كتب الـكثير عنه وفى الحقيقة كتبت أنا شخصيا عنه الـكثير وذلك لأننى أعرفه جيدا . وأصبح يحتل مركز الصدارة بين كل أصدقائى . وهناك شىء واحد واضح جدا ، فبوقوفه بحزم ضد هتلر فى الوقت الذى بدأ فيه أن كل شىء قد فقد ، ولم ينقذ تشرشل بريطانيا فحسب ، بل أنقذ أيضاً الحضارة الغربية . وإلى جانب كون تشرشل زعيما قوميا أثناء نـكست بريطانيا ، وكذا كونه فى الواقع ولفترة من الزمن ، الزعيم الوحيد فى العالم الغربى ، والذى واجه الأستبداد النازى فقد كان لديه أيضاً صفه وضوح الرؤية ، تلك الميزة التى وضعته فى مـكان الصدارة بين الأستراتيجيين .

فليس هناك طابع معين ثابت للزعماء القوميين أو الاستراتيجيين ولا حتى للقـــادة العسكريين ، لأننا جميعا بشر ، ونحن جميعا نرتـكب الأخطاء . وبصفتى قائدا عاما فى الميدان كنت أتمنى بأستمرار لو أن تشرشل نفسه لم يـكن رجلا عسكريا ، فقد كان مغرما بالإدارة

التكتيكية للمعركة بالدرجة التى كانت تجعلة من آن لآخر يحاول التدخل فى الشئون التى كانت خارج إختصاصه ، بالرغم من أنه لم يملى رأيه أطلاقا ، وكان يتقبل دائما توضيحاتى . وعندما أقوم بتقييمه أقول أنه لم يحدث لأى دولة أن وجدت زعيما أكثر ملاءمة لظروفها مثل ما وجدت بريطانيا فى تشرشل أثناء حرب هتلر ، وعندما وضع فى الميزان عام ١٩٤٠ وجد أنه كفء . أما العلم والتكنولوجيا فهما موضوعان كبيران جدا للخوض فى تفاصيلهما بعمق فى حيز هذا الفصل ، ولكن يمكننى أن أقول ببساطة ، أن الحرب قبل عام ١٩١٨ كانت عبارة عن قتال محصور داخل بعدين « فى البر والبحر » وعبر مسافات قصيرة مرئية ، وبأسلحة تغطى منطقة صغيرة ولها درجة ضئيلة من الهلاك . أما فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ فقد تغيرت الأمور تغييراً كبيراً ، فقد ظهر التوسع الهائل فى البعد الثالث فى « الجو » ، واتساع فى أمكانيه الرؤية للعدو « الرادار » ، وإتساع فى المدى الذى يتم فيه قتال المعارك ، مع التطورات التى دخلت على الأسلحة لرفع مستوى تأثيرها . وإلى جانب كل ماسبق ، فلا ننسى أن نضيف ما ظهر أيضاً من وسائل مضادة من جميع الأنواع . وقد إعتنقت دائماً وجهة النظر التى تقول بأن العامل الرئيسى الذى أثر تأثيراً كبيراً على معارك حرب ٣٩ — ١٩٤٥ هو ظهور القوة الجوية .

ولقد أحدثت القوة الجوية ثورة فى الاستراتيجية وفى تكتيكات الحرب البرية والبحرية ، فالجنود والبحارة فى دول كثيرة ، وعلى وجه الخصوص فى بلدى ، لن ينسوا أبداً مايدينون به لقواتهم الجويه .

وبالطبع كانت الولايات المتحدة لن تصبح أقوى دولة بحرية فى العالم بدون أن تدرك تأثير القوة الجوية على الحرب فى البحر .

الحرب فى العصر النووى

أما الحرب فى العصر النووى سيتم مناقشته فى الفصل ٢٤ ، ولكن دعونى الآن أقول الآتى : — من وجهة نظرى فلم يكن ضرورياً إسقاط قنبلتين ذريتين على اليابان فى أغسطس ١٩٤٥ ، ولا أستطيع أن أعتقد أنه كان من الصواب القيام بهذا العمل . وطبقاً لما قاله الرئيس ترومان « فقدتم ذلك لإنقاذ مئات الألوف من الأرواح سواء منها الأمريكية واليابانية » .

ولكن لو أزيلت عقبة التسليم بدون قيد ولا شرط لكانت كفيلة بإنقاذ هذه الأرواح، وإننى أعتقد أن اليابان كانت سوف تستسلم مبكراً ، لأن الحلفاء كانوا قد هزموا اليابان فعلا بالأسلحة التقليدية، لدرجة أن القصف الجوى التقليدى بالقنابل قد أدى إلى دمار ساحق لدرجة أنه لم يعد هناك أهداف لتلقى عليها القنابل الذريه ، لولا صدور الأوامر بترك أربعة مدن يابانية سليمة تمهيداً لقصفها ذرياً ، والتى كانت هيروشيما وناجازاكى إحداها . وكان إسقاط القنابل الذرية تخبطاً سياسياً رئيسياً ، وأيضاً مثالا صارخاً على مستوى هبوط الأخلاقيات فى إدارة الحرب الحديثة . وربما كانت تلك هى أول ضربة أمريكية فى الحرب الباردة ، وإننى آمل وبعد تفكير عميق ، ألا تستخدم مطلقاً القوة الكاملة للحرب العلمية . ونقطة أخيرة ، فبعض الأشخاص يميلون إلى الاعتقاد بأن الأعمال العسكرية مبنية فقط على أرضية عسكرية محضة ، دون أن يأخذوا فى إعتبارهم نتائجها السياسية . ولكن يؤدى التفكير والعمل بهذه الطريقة فحسب ، إلى ترك قطاع السياسة فى خطر . فهل يمكن أن يكون أى قرار فى الحرب على أعلى مستوى غير سياسى ؟ وقد أدى التفكير المرتبك المشوش فى هذا الموضوع ، أن الدول الغربية لم تمنح السلام العادل المستمر والذى من أجله حاربت ستة سنوات . فى نفس الوقت حصل ستالين على ما كان يأمل فيه ، ويرجع ذلك إلى أن قراراته العسكرية قد إتخذت مع وجود خلفية من هدف سياسى محدد ، وهى هيمنة روسيا على أوروبا الشرقية ونشر النظام الشيوعى إلى أبعد ما يمكن فى الغرب .

الفصل الثاني والعشرون

أخلاقيات الحرب

الحرب الإلكترونية والوجهة القديمة

بعد أن قمنا بتلك الدراسة العامة لفن الحرب منذ عام ٧٠٠٠ ق . م حتى منتصف القرن ٢٠ ، ربما يجدر بنا أن ننظر عن قرب أكثر إلى المظهر المعنوى والأخلاقى للحرب . . . ونسأل هل يا ترى تمكن الجنس البشرى من تحقيق أى تقدم عبر كل هذه العصور من القتال ؟ .

ففى التاريخ ، كانت مبادىء الأخلاق تترجم أحياناً على أنها قواعد ونظم للسلوك ، وفى أحيان أخرى تبقى المناخ الملائم لإبداء الآراء . ولكن فى الحقيقة كان يبدو أنه كلما زادت مدنية الإنسان كلما أصبحت حروبه أكثر رعبا وهلعاً ، بل ويجب إضافة أنه فى العصور الحديثة فقد إنتهكت بوقاحة ولاحياء قواعد السلوك المتفق عليها .

وأثناء حرب ٣٩ — ١٩٤٥ إرتكبت جرائم ضد البشرية ، وأيضاً لوقت قريب وعلى سبيل المثال فى الكونغو الشىء الذى يوصلنا إلى هذه النتيجة : — « الحرب والقتل قد يكونان موضوعين مترادفين ، كما أنه من الممكن إثارة العوامل التى تحول الرجال إلى مخلوقات تتقمصها أرواح الشر » .

ولحسن الحظ أن هذا الميول ليس عالمياً ، ولكن أثبت الماضى وعلى وجه الخصوص الماضى القريب ، الحاجة إلى وجود قادة سياسيين وعسكريين لهم قبضة قوية للإبقاء على المبادىء الأخلاقية والمعنوية ، والتى هى معرضة لأن تضيع بسهولة . وسنقوم الآن بالنظر عبر التاريخ ونحاول إكتشاف الحقائق التى تخص التقدم أو الفشل فى موضوع أخلاقيات الحرب .

ودعونا الآن نتأمل بعض الأوجه الأساسية للموضوع مثل الشرف وطرق القتل والتسليم

ومعاملة الأسرى والجرحى والسلوك فى منطقة العمليات ، وفكرة الحرب الشاملة والقوانين الدولية للحرب .

ومن ثم فمن الواجب علينا محاولة الوصول إلى بعض الاستنتاجات والتى ستساعدنا على إدراك المستقبل مهما كان المصير غامضاً ومحتوماً .

فخلال الأعوام من ٥٠٠٠ق.م إلى عام ٤٠٠ق. م، وفى الأيام الأولى من الحروب اليونانية استخدمت أساليب الخداع والخيانة والآبار المسمومة والأسلحة المسمومة . وبعدها فى العصور الوسطى أثناء أعمال الحصار قذفت بجثث الحيوانات الميتة عبر التحصينات الدفاعية حتى تنتشر العفونة والأمراض ، ويمكن تسمية هــذا النوع بأول مثال للحرب البكترولوجية .

وفى مؤتمر فى واشنطن عام ١٩٥٢ أعلن عدم شرعية هذه الصورة الخاصة من الحرب ، الشىء الذى بدا لى دائماً أنه خطأ .

وقد أثرت هذه الصورة على تفكيرى وبدرجة كبيرة عندما عبرت الجيوش تحت قيادتى الراين فى مارس ١٩٤٥، متحركة عبر السهل الشمالى لألمانيا نحو نهر « الألب » وبحر البلطيق، وقد شكلت هامبورج بحاميتها المعادية مشكلة لى . وبناءاً عليه قمت بعمل الترتيب مع قائد القاذفات البريطانية لقصف المدينة ، وقام أسطول من ألف قاذفة بالمهمة . وقد تسبب عن ذلك قتل آلاف من الألمان ، وإحداث دمار كبير للمبانى والمرافق العامة . وقد كان من الممكن أن يكون ذلك أقل فظاظة وفى نفس الوقت يؤدى إلى نفس النتائج الاستراتيجية لو جعلنا جميع سكان المدينة عديمى الفاعلية لمدة ٤٨ ساعة مستخدمين فى ذلك جراثيم مناسبة أو حتى الغاز .

وبالتأكيد فيعتبر إفقاد القدرة مؤقتاً لعدد كبير من العدو أفضل من إستخدام الأسلحة التى تسبب موتاً كثيراً وتدميراً للممتلكات المدنية .

فهناك إمكانيات كبيرة فى إستخدام غازات الأعصاب للحصول على فقدان القدرة لفترة قصيرة ، بدون موت . ويجب على القادة السياسيين دراسة هذا الموضوع بعناية .

ومنذ عصر النورمانديين وحتى العصور الوسطى ، فقد فرضت الكنيسة المسيحية

سيطرتها تدريجياً على غرب أوروبا بمبادىء معقدة ومحكمة والتى تعتبر الخيانة والغدر من الجرائم الحقيرة ، بينما تنظر إلى الشجاعة فى القتال والولاء للسادة الإقطاعيين من الفضائل الرئيسية .

وفى نطاق ضيق لمجموعة الصفات الموروثة للطبقة العسكرية فقد حلت الفروسية بإخلاصها للعهود وكرم الأخلاق إتجاه الأعداء المهزومين ، مكان ما سماه « سير آرثر بريانت » : — « القانون الانتحارى القديم للثأر القبلى والفوضى الدموية التى سببها سيادة مبدأ القوة على الحق » .

ونحن نعلم أنه على مر السنين ، فقد نمى بالتدريج ، نوع من أخوة السلاح حتى بين الخصوم ، مهما كانت وحشية القتال السابق بينهم .

وفى القرن ١٨ كانت هناك درجة كبيرة من الاحترام المتبادل بين الأعداء الأوروبيين، فقد كان يتم تبادل خطابات المجاملة بين القادة ، كما وصل الأمر أيضاً إلى تبادل الأسرى والجرحى من الرتب المتساوية مع المعاملة الحسنة للقادة المأسورين ، وقد ظهرت أمثلة لذلك فى حروب نابليون « البريطانيون والفرنسيون فى أسبانيا » و « القوات الفرنسية والروسية خارج سمولسك وموسكو » .

وأستخدمت كنايات عن العدو مثل « جونى كرابيو » أو « جون بول » بطريقة ودية ، وحتى فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ سادت تعبيرات مثل « جيرى » .

وفى عام ١٨١٠ كتب نقيب بريطانى فى البرتغال لعائلته يقول : — « كنت بالأمس فى مواقع الأعداء ، وحيانا الحارس الفرنسى ، ليس بطلقة ولكن بيده ، ألست هذه حرباً مدنية ؟ » وفى أحد الأيام تابعت كلاب الصيد ، المملوكة لضابط بريطانى آخر ، أرنبا داخل الخطوط الفرنسية ، وقد أعيدت الكلاب بذوق ، وكانت هذه الصورة من النبل فى الحرب واضحة فى الحمله المقدونية عام ١٥ — ١٩١٨ .

وفى أعالى وادى ستروما ، عندما كانت للفرقة ٢٨ البريطانية مجموعة من كلاب الصيد ، وتخترق خطوط الأعداء فى مناسبات عديدة ، كان البلغاريون يعيدونها دائماً لأصحابها .

ولم تكن تقاليد الفروسية قاصرة على أوروبا ، فنى اليابان إعتباراً من القرن ١٨ وما بعده أدت الفترة الطويلة من العداء العائلى والحرب الأهلية إلى وجود تقاليد للسلوك المتعارف عليها فى الطبقة العسكرية ، وقد بنيت هذه القواعد والتى كانت معروفة مثل « طريق الفارس والقوس » على أساس ولاء المقاتل للرتبة التى أعلى منه دون أى مناقشة .

وإستمر هذا التشابه اليابانى مع الفروصية لما يقرب من ألف عام وبعد ذلك فى القرن ١٨ أحلت الحكومة الطقوس الدينية المسمى « بوشيدو[1] » محل هذا السلوك . وقد كان « البوشيدو » بالإضافة إلى محافظته على المبادى التقليدية للاخلاص فى زمن الحرب ، يلائم مجتمعاً أكثر سلاماً بنشره الاعتدال والمحافظة وأيضاً قدراً معيناً من تعاليم « كونفوشيوس » .

وعلى أى حال كان تأثير هذا الاعتدال ضئيلا على سلوك العسكرية اليابانية خلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ ، عندما فاقت أساليبهم الوحشية لأسرى الحرب فى الشرق الأقصى ، كل معتقد ، وحطمت كل قواعد السلوك المتمدين المقبولة تحت قناع « البوشيدو » .

مراسيم الحرب

ومع إنتشار مبادىء المسيحية ، تأثرت عادات الحرب، بدرجات متفاوته . ولكن بينما كانت القواعد الإنسانية تتطلب المعاملة الرحيمة للأسرى ، فإنها لبعض الوقت لم تضع حدوداً لطرق القتل .

وعلى العموم ، فى القرن١٨ ، والذى كان يطلق عليه « عصر التنوير » بذلت محاولات لفرض قيود معينة .

ولقد رفض كل من لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر (ملكى فرنسا) إستخدام « سوائل جهنمية » قدمها لهما الكيمائيون .

وفى عام ١٨٥٥ ، عندما إقترح سراً اللورد « دوندونالد » إستخدام سحابة دخان خانق خلال حصار سيباستوبول، رفضت الحكومة البريطانية خطته، وبعد ذلك عشر سنين

---

(١) يعنى طريق المحاربين

أوقف نابليون الثالث تجارب الدانات الخانقة التى كانت تجرب على الـكلاب ، معلنا أن مثل هذه الطرق الجهنمية يجب ألا يستخدمها مطلقاً الجيش الفرنسى لأنها مخالفة للقانون الدولى .

ثم جاء مؤتمر « الهوج » الأول عام ١٨٩٩ الذى حرم إستخدام السم والأسلحة المسمومة ، ولـكن لم يعلن عدم شرعية حرب الغازات أو إطلاق سحب الغاز ؛ بالرغم من أنه قد حرم إستخدام القذائف التى يكون عملها الوحيد هو نشر الغازات الخانقة ، الأمر الذى يمكن إفتراضة بأنه يعنى الضرب بقنابل الغاز ، ولـكنه على العموم تركت المسألة بعيداً عن الوضوح . ولـكن حرم المؤتمر بلا ريب إستخدام الرصاص المتمدد .

أما القرن ١٧ فقـد سمح عادة للمدافعين عن الحصون بالاستسلام على أساس مراسيم الحرب ، حيث يخرج جميع المدافعين حاملين أسلحتهم ورافعين أعلامهم بينما تصدح الموسيقى ، ثم يقومون بوضع أسلحتهم على الأرض .

وقد ظلت هذه العادة قائمة حتى وقت حرب الحصار فى عصر « مارلبورو » وأيضاً فى عصر « ويلنجتون » ، وأمثلة لذلك « فلوشنج » عام ١٨٠٩ و « سان سباستين » عام ١٨١٣ .

وقد ظهر نفس الشىء فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ وبالتحديد فى مايو ١٩٤١ عندما أعطى مثل هذا الوعد للحامية الإيطاليه فى « أمبا آلاجى » فى الحبشة والتى كان بها الدوق « أوستا [1] » ، وذلك كإغراء لـكى يتخلى عن المعركة بدون أى أعمال تخريب أو شراك خداعية أو تدمير ، وهـذه السياسة أنقذت أرواح الـكثيرين من الجيش الإنجليزى والهندى .

جرحى وأسرى الحرب

إذا نظرنا إلى ما يتعلق بمعاملة الجرحى ، فسوف نجد أن هناك بعض التقدم ، فمنذ زمن بعيد كان العرف فى أوروبا والمتعارف عليه فى الجانبين المتضادين أن يهيئوا فترة توقف مؤقتة لأعمال القتال لـكى يمكن إعادة الجرحى ودفن الموتى .

---

(١) حاكم الأمبراطورية الأيطالية فى شرق أفريقيا .   (المعرب)

ولـكن عندما لا تحدث مثل هذه الهدنة كانت الترتيبات للجرحى على العموم غير كافية ، كيفما انفق وبدون نظام ، وطبعاً كان جرجى العدو آخر من يعتنى بهم . وفى عام ١٨٦٢ نشر عالم سويسرى محب للخيريدعى هنرى دونانت وصف فيه ماعاناه الجرحى فى معركة « سولفرينو » بتأثير شديد لدرجة أن الموضوع أيقظ على نطاق واسع إنتباه وإهتمام الرأى العام . وحث « دونانت » على ضرورة تـكوين الجمعيات المساعدة المتطوعة، وكنتيجة لذلك إشتركت ١٦ دولة أوروبية فى مؤتمر عقد فى جنيف فى السنة التالية .

ووقعت معاهدة جنيف الاولى عام ١٨٦٤ بعد أن أعيد النظر فيها ثلاث مرات ، وشكلت لجنة « الصليب الأحمر الدولية » لتحسين أحوال الجنود الجرحى فى الميدان ، وبعد ذلك أصبحت مسئولة أيضاً على الإشراف على معسكرات أسرى الحرب . وفى وقت الحرب أصبح المقاتلون الجرحى والمرضى يلقون كل إحترام ورعاية مهما كانت جنسياتهم . كما أصبح من الواجب إحترام عربات الإسعاف وسفن المستشفيات التى تأويهم والأطباء وهيئة التمريض والقساوسة وما يرعى شئون هؤلاء من الإداريين .

وكل هؤلاء يجب أن يكون لهم مطلق الاحترام ويتوفر لهم سبل الحماية تحت كل الظروف على شرط أن يحملوا دائماً العلامات المميزة من أعلام وشارات تحمل الصليب الأحمر .

وبهذا فـكل شىء فى هذا الموضوع أصبح الآن يسير سيرا حسنا والصليب الأحمر يلقى كل الاحترام ، ولـكن يجب أن أسجل هنا أن اليابانيين فى الشرق الأقصى خلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ إنتهـكوا بطريقة مشينة معاملة علم الصليب الأحمر وشعاره .

وعلى مدى قرون عديدة ، كانت معاملة أسرى الحرب فى المجموع رهيبة وفظيعة . ففى البحر كانوا يقتلون أو يحولون إلى رقيق يعملون على المجاديف فى السفن . وعندما كانت السفن الحربية المستخدمة صغيرة الحجم ، ولا يوجد بها سوى أماكن قليلة جدا لإيواء الأسرى وكذلك كميات قليلة من الطعام والماء لا تـكفى الجميع ، فلهذا السبب كان الأغراء بأخذ الأسرى ضعيفاً .

ولـكن مع إزدياد حجم وسعة السفن وقدرتها الأكبر على الاستيعاب ، فقد استخدمت فى البحر أيضاً قوانين معاملة الأسرى على البر وبدرجة معقولة .

وفى عام ١٥٨٧ ، أى قبل هزيمة الأرمادا بسنة واحدة ، أمر القائد الأسبانى بقتل كل رجل يوجد فوق سطح السفن البريطانية ، ولكن الملكة اليزابيث الأولى المنتصرة أرسلت كل البحارة الأسبان الذين تحطمت سفنهم على شواطىء إيرلندا إلى بلادهم ، وكانوا محظوظين بدرجة كبيرة بوقوعهم فى أيدى جنودها ، بدلا من الأيرلنديين . أما بالنسبة إلى معاملة كل من الألمان واليابانيين لأسراهم خلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ ، فاعتقد أننى أوضحت وجهة نظرى بما فيه الكفاية .

وفى عام ١٩٠٧ بدأت قواعد الهوج فى جمع وتنسيق بعض المبادىء الإنسانية التى كانت سائده ، على أمل أن تتبع جميع الدول تلك المبادىء فى سلوكها نحو أسرى الحرب . ولقد تقرر أن يظل أسير الحرب محتفظاً بجميع ممتلكاته الشخصية فيما عدا أسلحته وخيوله وأوراقه العسكريه ، كما يجب معاملة أسرى الحرب فيما يتعلق بالغذاء والمسكن والملابس ، بنفس معاملة الدولة التى أسرتهم .

وقد إختلفت الآراء كثيراً حول أنسب نوع من الملابس لهؤلاء الأسرى ، واعتبرت عدة دول « الأحذية » جزءاً من مهمات الجندى وليست جزءاً من ملابسه . ويمكن للدولة المحاربة أن تستخدم جهد الأسرى ، فيما عدا الضباط ، ولكن يجب أن تكون المهام المعطاه لهم ليس لها علاقة بالعمليات الحربية وألا تكون زائدة عن الحد ، ويجب أن يدفع أجرا عنها .

وقد إنتهك اليابانيون هذه القوانين بشكل مخز خلال حرب ٣٩ — ١٩٤٥ ، وبصفة فى « سكة حديد الموت » المشهورة فى سيام .

وفى خلال الحربين العظمتين ١٤ — ١٩١٨ ، ٣٩ — ١٩٤٥ توصلت كل من بريطانيا وألمانيا إلى إتفاق يقضى بعدم إستخدام كل منهما لأسراه على مسافة أقل من ١٩ ميلا من خطوط القتال .

أما المقاتلون الذين يلجأون إلى دولة محايدة مثل سويسرا ، فمثل هؤلاء يجب إعتقالهم ، أما الضباط فيطلق سراحهم لقاء عهد يقطعونهم على أنفسهم بعدم الهرب .

وأخيرا فقد تقرر ألا يجبر الأسير على إفشـاء أى معلومات لمن أسروه سوى رقمه ورتبته وإسمه .

ولـكن ظهر فى القرن ٢٠ أسلوب جديد فى معاملة الأسرى يطلق عليه « غسل المخ » وقد تعرض أسرى الحرب من البريطانيين والأمريكيين بدرجات مختلفة لهذه المعاملة خلال الحرب الـكورية التى بدأت فى يوليه ١٩٥٠ .

السلوك الانسانى للحرب

لقد أدى إنشاء الجيوش النظامية الدائمة إلى المساعدة فى محاولة الحد من التأثير العام للحرب . وبذلت مساعى كبيرة فى القرنين ١٧ ، ١٨ ، وقد بدأت كما رأينا بعد « حرب الثلاثين عاماً » التى عانى من ويلاتها العالم .

وقد حرم السلب والنهب والذى كان أحد الدوافع للمغامرين والذين يشكلون جزءا كبيرا من القوات المقاتلة .

ولفترة من الزمن تجنب القادة المعارك بسبب معدلها المرتفع جدا من الخسائر ، كما أن الهدف الرئيسى للاستراتيجية كان يميل إلى إنهاك العدو بدلا من إبادته . ولـكن أدت ضخامة القوات المجندة فى حروب الثورة الفرنسية إلى تجديد الحرب غير المحدودة . وقد سببت أعمال الإزعاج وحرب العصابات ضد القوات النظامية المحتلة ، كما حدث فى روسيا وأسبانيا إلى توجيه أعمال عدوانية ضد المدنيين والتى إتخذت شـكل الثأر والانتقام ، وأدى ذلك إلى وحشية أكثر ، الأمر الذى زاد كثيرا من الهمجية وزاد من الرعب . ويكفى المرء أن يلقى نظرة على سلسـلة مطبوعات جويا « كوارث الحرب » ليقـدر ذلك حق قدره .

وقد استعمل الاصطلاح « حرب غير محدودة » عدة مرات ، وكان هذا اللفظ هو المستخدم فى تلك الأيام ، ولـكننا نسـتخدم فى منتصف القرن ٢٠ إصطلاح « الحرب الشاملة » .

وفى صورة عامة قد أدى السلوك الجيد للقوات إلى تحقيق مكاسب عسكرية أفضل ، بينما أدى السلوك الوحشى المطلق ضد المدنيين إلى العـكس .

ونذكر جيش ويلنجتون كمثال للسلوك الأول، فقد أصر الدوق باستمرار على وجوب ضبط قواته لسلوكها، مع القيام بدفع قيمة كل ما يستخدموه ، وكانت النتيجة لهذا أنه عندما قاد رجاله إلى جنوب فرنسا فى نهاية عام ١٨١٣ متوقعاً أن يواجه بأعمال عدائية فرنسية غير نظامية ، فقد قوبل بالترحاب .

وفى الواقع كان سلوك جيشه فى فرنسا أفضل بكثير من سلوك الجنود الفرنسيين أنفسهم .

أما إذا أردنا مثالا للحالة الثانية وهى القسوة المطلقة ، فلن نجد خيرا لذلك من قرار ألمانيا عام ١٩١٧ باتباع سياسة عدم التقييد لحرب الغواصات ، والذى أثار غضب وإشمئزاز العالم ، وقد أدى فى آخر الأمر إلى دخول أمريكا حرب ١٤ ـــ ١٩١٨ . كما ظهر نفس الشيء فى الغزو الألمانى لروسيا فى عام ٤١ — ١٩٤٢ العملية « بربا روسا » فلقد رحب سكان القرى الروسية فى أماكن كثيرة بالقوات الألمانية القائدة عندما وصلت إليهم أولا ، ولـكن كان سلوك قوات الاحتلال التى أتت بعد ذلك سيئاً لدرجة أن نفس الروس الذين تحركوا فى موجات للترحيب بالقوات الألمانية القائدة، إختفوا فى الغابات وقاتلوا كقوات غير نظامية ومخربين ضـد « المحررين » والذين كرههم الأهالى كرها شديدا .

وخلال الحرب الأهلية الأمريكية أمر الجنرال « شيرمان » بإخلاء المواطنين المدنيين لمدينة أطلانطا لتحويلها إلى قاعدة عسكرية ، وقد أثار ذلك موجة من الاحتجاج الشديد ضد « الهمجية »،وعندما قدم إليه أحد المواطنين إلتماساً كتب يقول :ـــ « إنك لاتستطيع أن تصف الحرب بتعبيرات مؤلمة أكثر مما سأصفها . فالحرب هى الوحشية ولا يمـكنك تهذيبها » .

وعندما زحف شيرمان زحفته المشهورة « الزحف إلى البحر » ترك فى أعقابه قطعة من الأرض طولها ٣٠٠ ميل وعرضها ٥٠ ميل ، خالية من الطعام والمؤن . وشبه الأهالى هذه المسيرة بأسوأ ما حدث فى « حرب الثلاثين عاما » ، بل حتى شبهوها بمسيرات «أتيلا» فى القرن الخامس الميلادى .

الحرب هى الحرب

لقد أعلن شيرمان : — « لو أن الشعب رفع صراخه ضد همجيتي وقسوتى ، فسوف أجيب بإن الحرب هى الحرب » ، فقد كان يخوض الحرب ضد الأعداء المدنيين تماما كما خاضها ضد القوات المسلحة المعادية . وفى عام ١٩١٤ كان يتم إعتقال البارزين من ملاك الأرض والعمد والقساوسة كرهائن ، جزءاً من السياسة الألمانية لتخويف الأهالى البلجيكيين المعادين . وحمل كل الجمهور مسئولية الأعمال المعادية ، بالرغم من أن معاهدة الهوج حرمت مبدأ المسئولية الجماعية . وزيادة على ذلك ، فلم يكن هناك حد فاصل بين الجنود والمدنيين فى حرب العصابات ، والتي منها على سبيل المثال المقاومة الفرنسية فى الحرب البروسية عامى ١٨٧٠ — ١٨٧١ . وكان الفلاحون الذين يطلقون النار على القوات الألمانية إذا ما قبض عليهم يتم شنقهم فوراً ، وقد أعلن ولى العهد البروسى : — « ليس أمامنا شىء نفعله سوى إتخاذ الإجراءات الأنتقامية بحرق المنازل التى ينطلق منها الطلقات أو تستخدم السياط مع فرض التعويضات لنجبر الأهالى على التعاون معنا » .

وقال بسمارك : — « أنهم ليسوا جنوداً ... إننا نعاملهم كالقتلة » . وهذا النموذج تكرر مرات ، وفيه يصبح بطل المقاومة لأحد الأطراف ، إرهابى وقاطع طريق فى نظر الطرف الآخر . وأى شخص يرتكب أعمالا عدائية دون أن يكون تابعاً للجيش النظامى المعادى ، لاتسرى عليه إمتيازات أسير الحرب ، وكان يعامل مثلما تعامل الجواسيس تقريباً فى زمن الحرب .

وقد أصبح الآن واضحاً أنه بالرغم من الجهود التى بذلت لجعل الحرب أكثر إنسانية إلا أنه كانت هناك إنتكاسات قاسية إلى الهمجية . وقد تبع عصر الفروسية عصر النهضة والذى كانت فيه المبادىء الذى أعلنها « ميكافيللى » ذات تأثير فعال فى السياسة ، ومهما يكن الأمر ، فقد كانت هناك عوامل كثيرة أدت إلى تحسين هذه القواعد لأن الحافز الرئيسى فى ذلك المعاناة التى يعانيها السكان الغير المقاتلين والمدنيين فى الحرب . وربما كان من أهم هذه العوامل ، التطور الذى حدث فى القوانين الدولية للحرب . ففى أوروبا أدت الفوضى المروعة والتدمير والمجاعة التى أحدثتها « حرب الثلاثين عاما » (١٦١٨ — ١٦٤٨)

والتى كانت خسارتها من الأرواح حوالى ثمانية ملايين نسمة بالإضافة إلى قتلى المعارك ، كل ذلك أدى بالقانونيين الذين خلفوا « جروتيس » بالمطالبة بالتخفيف من ويلات الحرب ، وضرورة التفرقة بين الجنود والمدنيين .

وقد أدى بعض الأحداث ومنها نهب « ماجد بورج » إلى إثارت الرعب فى أوروبا ، وبات واضحاً أنه لا بد من وضع بعض القيود على الحرب . وفى عام ١٩٠٧ وافق مؤتمر الهوج الثانى على قرارات تختص بالسلوك الإنسانى للحرب ، وحرم الأعلان بأنه لن تمنح الرحمة ، أو قتل أو جرح العدو إذا أستسلم ، أو مهاجمة أو قذف المدن والبلدان والقرى بالقنابل والتى لا تكون مدافع عنها ، ولذلك أصبح تعبير « مدينة مفتوحة » مستخدما . وأقر مؤتمر عام ١٩٠٧ أيضاً أنه لا يجوز بدأ الأعمال العدوانية بدون « تحذير سابق وواضح فى صورة إعلان مسبب للحرب أو إنذار مع شروط بأعلان الحرب » . وكان هذا القانون ضروريا لأن اليابان ، كما نعلم ، بدأت حربها عام ١٩٠٤ مع روسيا دون إنذار أو أعلان سابق ، تماما مثل ما فعلته ضد الصين عام ١٨٩٥ ، والأمر الذى فعلته ضد أمريكا فى ديسمبر ١٩٤١ فى « بيرل هاربور » . وقد شهدت حرب ٣٩ — ١٩٤٥ حوادث مختلفة على الحدود والتى لفقت بتعمد وخططت لتوفر ظاهريا ذريعة قانونية لأعلان الحرب ، فى الوقت التى فشلت فيه الضحية المصمم الأعتداء عليها فى تقديم أى حادثة أو ذريعة لمنع الحرب .

الحياد

فى مؤتمر واشنطن عام ١٩٢٢ « للحد من التسليح » تمت الموافقة على بعض « قواعد الحرب » وعلى وجه الخصوص حرب القذف الجوى الذى يكون الغرض منه إرهاب السكان المدنيين أو تدمير أو تخريب الممتلكات الخاصة التى ليس لها أى صفة عسكرية ، وبالمثل حرم أصابة غير المقاتلين وكذلك حرم أيضاً فى عام ١٩٢٥ إستخدام الغازات السامة ،

والخانقة[1] . وأعتبرت أيضاً الحرب البكتريولوجية حربا غير مشروعة ، ولكن بالرغم من هذه القواعد ذات النيات الفاضلة ، فقد شهدت كل من الحرب الأهلية الأسبانية التى بدأت عام ١٩٣٦ ، وحرب ٣٩ — ١٩٤٥ حوادث كثيرة لعمليات القصف الأرهابى وقتل المدنيين ، بل أن أكثر الغارات الجوية حرصاً كانت عرضة لتدمير الممتلكات الخاصة ، فالكثير جداً من هذه الغارات لم يكن يستطيع التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية ، وعلى كل كانت غارات غير دقيقة أو مدمرة عن غير عمد للممتلكات المدنية . وأخيراً سوف أتعرض للحياد ، والذى جاء تعريفه فى دائرة المعارف البريطانية كالآتى : —

« الوضع القانونى النابع من إمتناع الدولة عن جميع أنواع المشاركة فى حرب بين دول أخرى . ويتطلب المحافظة على الحياد إتخاذ الدولة المحايدة موقفاً غير منحاز فى معاملاتها مع الدول المتحاربة وكذا بأعتراف الدول المتحاربة بهذا الأمتناع وهذا الخلو من التحيز من جانب الدولة المحايدة » .

وذلك التعريف للحياد المذكور عاليه مأخوذ من مصدر حديث إلى حد ما ، أما فى القرن ١٧ فكان تعريف الدول المحايدة بأنها تلك الدول التى لا تقدم العون للأطراف المتحاربة ولكن كانت الآراء غير محدودة فى تلك الأيام فيما يتعلق عن أمكانية الدول المحايدة فى حماية أراضيها من أن تستخدم لأغراض عدائية . ولم تكسب بلجيكا شيئاً من إتخاذها موقف الحياد فى حربى القرن ٢٠ العظيمتين ، فلم تكن تلك الدولة قادرة على الدفاع عن سياستها ، وبالتالى فقد كان هذا بالتأكيد الأختبار العملى لجدوى الحياد ، أما سويسرا فقد ظلت لأسباب مختلفة محتفظة بوضعها كدولة محايدة .

وفى الحرب الأهلية الأسبانية (٣٦ — ١٩٣٩) كانت كل من ألمانيا وإيطاليا وروسيا دول محايدة إسماً فقط لأنها أرسلت جميعا وحدات أو قوات جوية لمعاونة أحد الأجناب وذلك للحصول على الخبرة فى التكتيك الحديث للحرب المقبلة . وبناءاً على معاهدة الهوج لعام ١٩٠٧ ، فلا يجوز للدولة المحايدة أن تمد دولة محاربة بالسفن الحربية وبالمؤن أو بالمواد الحربية ، أو ترفض تقديم أية تسهيلات لأحد الأطراف فى حين منحها للطرف الآخر

---

(١) لم تستخدم فعلا فى الحرب العالمية الثانية .

وعلى العموم فقانون الأعارة والتأجير الأمريكى لعام ١٩٤١ ، قد منح سلطة تصنيع أو الحصول على « أى مهمات دفاعية لحكومة أى دولة يرى الرئيس أن مقتضيات دفاعها يعتبر حيوياً للدفاع عن الولايات المتحدة . » وأجاز بيع أو تبادل أو تأجير أو إعارة هذه المهمات والتى قد تحتوى على سلع زراعية وصناعية ، وكذا المعدات الحربية والأسلحة والذخائر والسفن ، إلى مثل هذه الحكومات .

الدروس المستفادة من أخلاقيات الحرب

والآن ماهى الدروس المستفادة من هذا الفحص القصير لأخلاقيات الحرب .. ؟

لقد سبق لى القول بأن معاهدة الهوج لعام ١٩٠٧ قد أقرت مبادىء معينة . « للسلوك الإنسانى للحرب » . ولكن يجب أن نخرج من عقولنا الآن وإلى الأبد أن هناك أو من الممكن أن يكون هناك أية إنسانية فى الحرب .

ولسوء الحظ لم يحن الوقت بعد الذى يمكننا فيه أن نقول أن الحرب قد محيت وأن السلام قد عم الأرض ، ولذلك يجب على الزعماء السياسيين والرؤساء المختصين مواصلة جهودهم لجعل الحرب أقل هولا . وقد رأينا فى هذا الفصل ماتم إنجازه فى هذا الخصوص ، ولكن يجب الأعتراف بأن الحرب الشاملة سببت هبوطاً فى مستويات السلوك إلى أبعد من أى شىء كان معروفا من قبل . وخلال الأعوام التى تلت حرب ١٤ — ١٩١٨ مباشرة ، كان الشعار السائد هو « إذا أردت السلم ، جهز للحرب » ولكن يجب على الأمم أن تعلم أن مثل هذا التفكير سوف لا يبعدهم عن الحرب كثيراً ، لأن بأتباع كل الأمم لهذه النصيحة فسوف يصبح العالم معسكرا مسلحاً ، يخيم عليه المواقف المتفجرة والعرضة للاشتعال . ولكن ليدل هارت صاغ شعارا أكثر إيجابية وهو : — « إذا أردت السلام ... فتفهم الحرب » ذلك التفهم الذى سيحث الأمم لتتجنب وحشيتها .

أما « كلاوزفتز » فقد أوضح أن تدمير القوات المسلحة للعدو هو الهدف الأول للقيادة

الأمر الذى أدى أن أعتقد الكثيرين بأنه يعنى إستخدام أكبر عنفاً لتحقيق تدمير كامل أو إبادة .

وكانت هذه الفكرة السبب فى الكثير من المآسى غير الضرورية والتى سببت فقد أرواح كثيرة فى الحرب ، وهى أيضاً مسئولة إلى درجة كبيرة عن عدم الأستقرار السياسى الذى ساد عالم السياسة والحرب المحير ، والذى ساد منتصف القرن ٢٠ .

ولكن تلك الملحوظة قد أخذت أيضاً من سياق كلام كلاوزفيتز ، لأنه كتب أيضاً بأن الحرب : — « إستمرار للأجراءات السياسية ممزوجة بوسائل أخرى . » وقد قرأته أن هذا الرأى يعتبر حجة قوية لسيادة السياسة العامة للدولة على السياسة العسكرية الضيقة ، وأيضاً لممارسة الأعتدال فى حالة ما إذا أصبح النصر مؤكداً . فالمسئولية التى تقع على عاتق رؤساء الدول والسياسيين لهى مسئولية عظيمة جداً . ويقع التوجيه الأعلى للحرب فى أيديهم ، ولذا يجب عليهم أن يعطوا توجيهات سياسية واضحة لقادة قواتهم . وإذا لم يفهموا أن هدف الأستراتيجية العليا يجب أن يكون السلام الذى يمكن أن تصان فيه القيم الأساسية ، وإذا لم يوجهوا كل الجهود العسكرية فى الحرب للحصول على موقف مسيطر ومعقول فى نهاية الحرب ، فسوف يلقون بعيداً بكل ثمار التضحيات الضخمة كما لن يعود من وراء هذه المذابح أية فائدة ، وسوف يحدث أبشع من هذا فى العصر النووى . وللأسف فقد تجوهلت هذه المبادىء فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ ، ولا يمكن لأكثر الأهداف والآراء الإنسانية أن تغطى ما جرته من أذى وويلات .

أما القادة العسكريين الذين ينفذون غرضاً سياسياً فهم يحملون مسئولية مختلفة ، فالنجاح أمر حيوى ، ولكن يجب أن تكسب المعارك بأقل خسارة ممكنة فى الأرواح . ولا يوجد شىء يفسد الروح المعنوية بسرعة أكثر من الشك فى القائد الذى يهمل رجاله ولا يهتم بأرواحهم ، وذلك الشك الذى يمكن أن ينمو من بعض المشاعر الحساسة التى تثار نتيجة لدفن الموتى من غير تمييز ومنظر القبور المتناثرة والمهملة ، والجثث الراقدة فى الخنادق أو الحفر . فليس هناك

قائداً يمكنه التغاضي عن تدنيس الموتى والقيام بالإجراءات الملائمة لدفنهم حتى ولو كانوا من موتى الأعداء . بينما توضح صراعات القرن ٢٠ أنه لا يزال أمامنا الكثير مما يمكن عمله لجعل الحرب أقل هولا ، وإني أرجو أن يكون معظم الجنس البشرى قد حقق بعض التقدم منذ أن كتب « بليز دى مونتلوك » مارشال فرنسا فى القرن ١٦ : — « إتجاه العدو فكل شيء مسموح . . » وبالنسبة لى (اللهم أصفح عنى) فلو إستطعت أن أدعو جميع شياطين جهنم للتفوق على العدو الذى سوف يتفوق على فسأقوم بذلك من كل قلبى .

الفصل الثالث والعشرون

الستار الحديدى والحرب الباردة

العالم الممزق

حتى الآن ، قمنا بعبور مايقرب من ٩٠٠٠ سنة من تاريخ الحرب ، وقد بحثناها بتفصيل كبير ، وأنوى تكريس ما تبقى من الكتاب لمناقشة موضوعات ومشكلات معينة ، ربما لا تعتبر جزءاً من التاريخ ، ولكن قد تساعدنا دراستنا للتاريخ على تفهمها . وهى مشكلات يمكن أن يقال عنها أنها ميدان للتخمين ، وهى تفتقر للأسف للحزم والشجاعة الأدبية لمواجهة الحقائق العملية ، ولكن من الضرورى مناقشتها طالما يخيم فوق عالمنا سلام غير مستقر .

ويبدو لى أنه يحق لرجل عسكرى ذا خبرة عملية كبيرة فى الحرب ، وعمل أيضاً مع قادة سياسيين فى دول كثيرة خلال السلم ، يكون لديه الحق أن يطرح المشكلات التى تنشأ كما يترأى له ، ويحق له أيضاً أن يقدم آراءه كبعض الحلول ، وهذا ما أنوى القيام به الآن ؟

أما التعبيران الذى يتضمنهما عنوان هذا الفصل ، فقد أصبحا من التعبيرات الشائعة فى هذا الأيام ، ولكن أشك فى أن الكثير منا يفهم أصلهما .. وماذا يعنيان .. ؟ ومن الأفضل إزالة هذا الشك .

ويرجع شيوع تداول الإصلاح «الستار الحديدى» إلى ونستون تشرشل ، وإستخدمه لأول مرة فى مايو ١٩٤٥ ، فقد إنزعج للنصر الذى أحرزه ستالين فى إجتماع « يالطة » فى فبراير ١٩٤٥ ، وأيضاً الطريقة المتعمدة من الروس لتجاهل أى إتفاق تم التوصل إليه فى هذا الاجتماع .

وفى إبريل عام ١٩٤٥ توفى الرئيس روزفلت وألقيت فجأة مسئولية رهيبة على عاتق خلفه ترومان ، فى وقت كانت رؤيته للمواضيع محدودة ولم تكن قد إتسعت كما أصبحت فيما بعد .

وإنتهت الحرب الألمانية فى ٨ مايو ١٩٤٥ باستيلاء الجيش الروسى على كل العواصم الرئيسية لشرق ووسط أوروبا وعلى وجه الخصوص برلين وبراغ وفيينا وبلجراد . وفى الحقيقة فقد أحكم ستالين قبضته على شرقى أوروبا ، وأصبح مركزه لأى مفاوضات ، موقفاً حصينا ولا يمكن مهاجمته عمليا .

وقام تشرشل بتحذير ترومان مما كان محتملا حدوثه ، ولكن لم يبدى ترومان أى إهتمام لتحذيرات تشرشل . وهذا لم يثبط همة تشرشل ، فقام فى ١٢ مايو ١٩٤٥ بإرسال برقية إلى ترومان والتى بدأت فقرتها الأولى بالكلمات الآتية : « إننى أشعر بقلق عميق حول الوضع فى أوروبا » .

ثم قام بعدها بتحليل موقف الحلفاء الغربيين فى مواجهة روسيا ، وفى الفقرة الثالثة بدأها بالآتى : — «لقد أسدل الروس ستاراً حديدياً على مواجهتهم ، ولا نعرف ما الذى يدور خلفه » .

وبعد ذلك عندما عينت قائداً عاما وحاكما عسكريا للمنطقة البريطانية فى ألمانيا عام ١٩٤٥ أصبحت أكثر إدراكا لصدق كلمات تشرشل .

وفى أوائل أكتوبر ١٩٤٥ ذهبت إلى لندن وأبلغت أتلى رئيس الوزراء ، أننا فى مجلس إدارة ألمانيا لا نستطيع الوصول إلى أى إتفاق مع الروس ، ويجب على القوى الغربية أن تجهز نفسها لصراع مستمر مع الشرق الشيوعى ، والذى ربما يستمر لسنين عديدة . وقد ثبت على الأقل صحة هذه النبوءة .

وفى ٥ مارس ١٩٤٦ ألقى تشرشل خطبة فى « فولتون » بالولايات المتحدة الأمريكية والذى قال فيها : — « من « ستيتين» على البلطيق إلى « تريستا » على الأدرياتيك أسدل ستاراً حديديا عبر قارة أوروبا » .

وكانت تلك هى المرة الأولى التى أستخدم فيها هذا الاصطلاح على الملأ .

أما توضيح إصطلاح « الحرب الباردة » فليس بهذه السهولة ، لأننى لا أعرف من الذى صاغه أو متى ؟ .

وعلى العموم فسأقص ما يمكننى قوله فى هذا الاصطلاح ،لقد أصبح متداولا فى خريف ١٩٤٥ أى بعد نهاية حرب هتلر ببضعة شهور .

وأستخدم نوصف حالة التوتر التى بدأت تتطور عندئذ بين الدول الغربية والكتلة السوفيتية . وكما أوضحت خلال هذا الكتاب ، فقد تواجد التوتر دائما بين الشعوب . فنى الماضى ، عندما يصبح التوتر غير محتمل ، كانت الدولة المعنية تحله بإعلان الحرب . ولكن فى منتصف القرن ٢٠ فالقوة التدميرية المرعبة للأسلحة النووية والدقة التى وصلت إليها أساليب التوجيه أو القذف جعلت الحرب العلنية بين الدول القوية أو مجموعات من الدول لمحاولة فرض نهايات سياسية ، عبارة عن طريق إعدام ذاتى مؤكد ، ويرجع ذلك إلى أن نتيجتها قد تكون التدمير التام للحياة فى الدول المعنية وطبعا لا توجد دولة ترغب فى الأنتحار .

ومن منتصف القرن ٢٠ ونحن نعيش فى عالم ممزق ، فتوجد حاليا دولتان إسمهما ألمانيا وهناك مدينتان إسمهما برلين . . . وهناك قارتان إسمهما أوروبا . .

وهناك عالمان . . الدول « الرأسمالية » والدول « الشيوعية » ، كما توجد عداوة بين الشعوب الشيوعية والديمقراطية . . وتوجد عداوة بين الشعوب البيضاء والملونة .

وأصبح من اللاحظ أن الصراع بين المجتمعات المختلفة محتوما ، ولكن ليس من الضرورى أن يكون صراعا مسلحا ، لأنه أعتبر من الأفضل الحصول على الأهداف بدون حرب علنية .

وقد حول الشيوعيون ما كان يسمى بوقت السلم إلى أحد الأشكال المصغرة للحرب ، وذلك بالتخريب وإثارة العصيان فى المستعمرات والانتهاك والتجسس عن طريق الأقمار الصناعية ، وهم

على كل حال خبراء فى توليف وتنفيذ صور الحرب غير العسكرية ، من الناحية السياسية والاقتصادية والنفسية ، وهم يحرضون الدول الصغيرة على العدوان المسلح ثم يعاونونها ماديا مع إمدادها بالأسلحة .

وكل هذه الأعمال والتى تقل عن مستوى الحرب الشاملة إنما هى جزء مما أصبح يسمى « بالحرب الباردة » ، وبتعريف مختصر للحرب الباردة يمكن القول بأنها سياسة القيام بإيقاع الشقاق فى العالم بكل الطرق الأقل من الحرب الفعلية ، مع عدم تورط الدول الشيوعية فى صراع علنى مع العالم الغربى .

وقد وجدت دول العالم الغربى أنه من الصعب عليها محاربة التكتيكات الشيوعية فى الحرب الباردة منذ أن بدأت هذه الحرب عام ١٩٤٥ .

نقطة الغليان

ولماذا وصلت الأمور فى العالم اليوم إلى مثل هذه الفوضى ... ؟ ربما يقول البعض أن ما حدث قد حدث، والسبب مبهم وغير معروف . ولن أوافق على هذا القول. ففى هذا العالم . . عالم السياسة والحرب . . لا يمكن الإكتفاء بمجرد القول بأن ما حدث قد حدث .. وإنما قد حدث بسبب سياسات وطنية معينة أو نقصها ، وخاصة فيما يتعلق بالحروب . وعلى كل حال ، فإذا كان السبب يبدو للبعض غامضاً فيجب علينا محاولة تبديد هذا الغموض .

وبصفة عامة فإننى أعتقد أن هذا يرجع إلى حد كبير إلى أفول قوة الرجل الأبيض فى الدول الشرقية والأفريقية .

ففى الفترة بين عامى ٤١ — ١٩٤٢ إختفى عصر خضوع الشعوب الآسيوية والملونة لحكم الأوروبيين البيض ، وذلك عندما دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية وإجتاحت قواتها المسلحة جنوب شرق آسيا .

وقد ظهر اليابانيون فى هذا الوقت فى صورة محررين لهذه الشعوب فى ذلك الجزء من العالم ، بالرغم من نواياهم الاستعمارية وأساليبهم الوحشية والهمجية .

وعندما إنتهت السيادة اليابانية عام ٩٤٥ فجأة كما بدأت ، فلم ترغب الشعوب فى هذا

الجزء من العالم فى أن يتسيد عليهم سادتهم القدامى، وفى الحقيقة لم يفعل هؤلاء السادة كثيراً من أجل غالبية الشعب المستعمر ولكنهم إستغلوا موارد هذه الدول الطبيعية لزيادة ثرواتهم القومية وبالتالى أصبح قيام حركات الاستقلال والتحرر أمراً محتوما ، وإنتشرت هذه الحركات التحررية فى جميع أنحاء الشرق الأوسط والأدنى وقد ظهرت فى الهند وفى الجزء الأكبر من دول أفريقيا .

وبدأت موجة سريعة من التحرر للشعوب الملونة فى جميع أنحاء العالم . وفى كل مكان أجبر الرجل الأبيض على إتخاذ موقف الدفاع ، وبطبيعة الحال ، كان المحرك الرئيسى لهذه الشعوب هى روسيا لوعدها بتحرير كل الشعوب المتخلفة مع كشف سر الإمبريالية والاستعمار والرأسمالية .

وربما كان أهم من ذلك كله ، هو أن الشعوب الغربية نفسها لم تكن قوية الإيمان بأى مثل عليا .

وبعد إنتهاء إجتماع « يالطة » فى عام ١٩٤٥ ، وضح للجميع أنه بعد إنتهاء حرب هتلر فسوف يقسم العالم إلى مذهبين عقائديين أو نظامين إجتماعيين مختلفين ، وهو ماحدث فعلا . ولو لم يتضح ذلك آنذاك فإنه أصبح بالغ الوضوح عند نهاية إجتماع « بوتسدام » فى يولية ١٩٤٥ ، وكنت أحد الحاضرين فيه وقابلت هناك كل من ستالين وترومان لأول مرة .

وكان هذا هو الاجتماع الأخير بين قادة الدول العظمى الثلاثة والتى شكلت التحالف العظيم فى القتال من أجل الحرية والعدل ضد قوى المحور .

ومنذ تلك الأيام ظهرت لى أن الشئون الدولية قد إنحطت وكأنها أصبحت مثل لوحة الشطرنج والتى يمثل عليها غالبية الشعب العادية وكأنها قطع الشطرنج وكانت نتائج التحرك والتحرك المضاد لها أهمية عميقة لهذه الشعوب ، ولكن ما يمكن أن تراه هذه الشعوب بعد هذه التحركات هى سياسات ليست فى الواقع سوى نوع من الصراع بين المغامرين لكسب القوة ، ولا يوجد مكان أكثر وضوحاً لهذا الصراع اليوم مما هو فى آسيا وأفريقيا .

والآن بعد أن قمنا بتعريف الحرب الباردة وناقشنا نتائجها المباشرة فمن المناسب الآن

أن نذكر أنفسنا كيف إقترب هذا النوع من الحرب إلى نقطة الغليان .

والمثال الأول الذى يمكننا الاستشهاد به هو حصار الروس لبرلين الغربية ، والذى بدأ فى يونيه ١٩٤٨ وإستمر طوال هذا العام وجزء من عام ١٩٤٩ ، ذلك الحصار الذى ذابت قيمته بفضل الجسر الجوى الهائل لإمدادها .

وأدى هذا الحصار أيضاً إلى إنشاء منظمة حلف شمال الأطلنطى فى إبريل ١٩٤٩ . وعندما أفسدت منظمة حلف شمال الأطلنطى المخطط الشيوعى فى أوروبا تحولوا إلى آسيا حيث أفقدت الانتصارات اليابانية أثناء حرب ٣٩ — ١٩٤٠ الهيبة التقليدية للقوى الغربية وهنا يجب أن أنوه بأن « الاعتبار » من أهم العوامل لدى العالم الشرقى .

وفى أندونسيا ، قام الصراع من أجل الاستقلال الذى إنتهى بتحرير هذه البلاد ذات ١٠٠ مليون نسمة من القبضة الهولندية .

وفى الملايو إتجه رجال العصابات الصينيين إلى الغابات للقتال لمنع إعادة السيطرة البريطانية وفى أول الأمر حققوا بعض النجاح .

ولكن بعد ذلك وتحت حكم « تمبلر » (١٩٥٢ — ١٩٥٤) ، تم تركيز كل موارد الدولة[١] تحت القيادة العليا وتوجية المندوب السامى[٢] .

ومن ثم أديرت الحرب بواسطة الرجل الموجود فى المكان نفسه ، وذلك بذكاء وتصميم وقوة ومراعاة كاملة للأحوال المحلية . وكانت النتيجة النصر كاملا ومؤكداً .

وفى نفس الوقت تقريباً وليس بعيداً عن ذلك المكان جرت حرب مشابهة فى صورتها بواسطة الفرنسيين ضد القوميين الفيتناميين فى ولاية فيتنام والتى كانت تحت الحماية الفرنسية . وبدأت الحرب عام ١٩٤٦ وذلك بمحاولة الفرنسيين إعادة إحتلال الهند الصينية والتى كانت جزءاً من أمبراطوريتهم منذ ١٨٨٠ . وإنتهت بأتفاقيات الهدنة الموقعة فى جنيف عام ١٩٥٤ ،

---

(١) يقصد كل موارد الدولة السياسية والعسكرية والشرطة والمخابرات .

(٢) كان لدية السلطة الكاملة فى كل الأمور والتى حولتها له حكومة الأم فى لندن « المعرب »

والتى قسمت فيتنام بين الشمال والجنوب عبر خط العرض ١٧ ْ . وقد بلغت خسائر فرنسا فى هذه الحرب ٣٥٠٠٠ قتيل و ٤٨٠٠٠ جريح ، وهذه الحملة تستحق الدراسة ، وأبرز مافيها هو التردد والتذبذب وعدم وضوح الغرض السياسى ، والتدخل السياسى والعسكرى الدائم من قبل الحكومة الأم فى باريس .

معركة ديان بيان فو

وتلقى هذه الحرب أيضاً الضوء على العجز الكلى والتكبر الأعمى للقيادة العسكرية الفرنسية فى الهند الصينية ، والتى أدارت الحرب متجاهلة تماما جميع الأعتبارات والأحوال المحلية . وكانت الكارثة النهائية عند تسليم الحامية الفرنسية فى « ديان بيان فو » فى مايو ١٩٥٤ ، والتى كانت الضربة المميتة للأمبرطورية الفرنسية ، وجعلت من تلك المنطقة مجالا مفتوحاً للحرب الباردة . والدرس المستفاد من هذه الحرب : — « لا تقلل من شأن أو تحقر العدو الأسيوى . » ويوجد كتاب مفيد فى هذا الموضوع والذى كتبه المؤلف الفرنسى « جوليس روى » وأسم الكتاب « معركة ديان بيان فو » فعندما عاد « روى » إلى هانوى عام ١٩٦٣ قال له القائد الفيتنامى الجنرال « جياب » : — « لقد هزمت بواسطة أنفسكم . » وهذه حقيقة لاريب فيها .

واليوم .. تقوم الولايات المتحدة بخوض نفس النوع من الحرب فى نفس الدولة . وفى عام ١٩٥٤ أدرك الفرنسيون أنهم خسروا حربهم فى الهند الصينية . وفى هذا الوقت الذى أكتب فيه هذا الكتاب لا زال الأمر يتطلب إقناع الأمريكيين بأنه ليس فى إستطاعتهم الأنتصار فى صراعهم فى فيتنام بالقتال .

وليس هناك من شك فى أن الثورات فى أندونيسيا والملايو والهند الصينية هى بوحى شيوعى .

الحرب الكورية

وفى ٢٥ يوليه ١٩٥٠ عبر الجيش الكورى الشمالى والمدرب تدريباً عاليا بواسطة روسيا ، خط العرض ٣٨ ْ وغزا كوريا الجنوبية ، تلك الدولة التى كانت القوات الأمريكية قد إنسحبت

منها حديثاً . وبطريقة أو بأخرى كانت الحرب الكورية حربا محدودة ، فلم تتجاوز حدود هذه الدولة .

وبالرغم من أن القوات الصينية قد تدخلت فى وقت متأخر من هذه السنة ، بعد التحذير الذى وجهته حكومة بكين إلى حكومة واشنطن من أنها سوف تتدخل لو عبرت قوات الولايات المتحدة خط العرض ٣٨° . وعلى كل حال فالأراضى الصينية إلى الشمال من نهر « اليالو » كانت محرمة على قوات الأمم المتحدة براً وجواً . ولم تنته الحرب الكورية إلا فى يولية ١٩٥٣ ، وبلغ المجموع الكلى لخسائر الحلفاء من قتلى وجرحى ومفقودين وأسرى حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ . وأدى الصراع الكورى إلى تقارب الدول الغربية من بعضها فى شكل أكثر كما أدى أيضاً وبصفة مباشرة إلى تسليح ألمانيا الغربية .

وقد أجتاحت أوروبا موجة من الخوف وفى هذا العالم المغلق المتشابك تواجد دائماً خطر الحرب التى تنشب فى أى مكان وقد تصبح شاملة وتنتشر وتورط العالم كله . والكثير من الشعوب قدمت مقترحات لنزع السلاح ، ولكن جميع هذه الأقتراحات كانت تعتمد إلى حد كبير على الثقة والضمان بين الدول . وهو الشىء الغير موجود إطلاقا .

ولم يحدث أى شىء منذ حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ يوحى إلى أن العدو لن يستغل فترة الضعف العسكرى التى تمر بها دولة ما لصالحه ، كما كان يفعل الأعداء بأستمرار خلال صفحات التاريخ القديم المسجل ، وبناءاً على ذلك ، فلا بد من الأستمرار للتخطيط العسكرى ، بحيث يوجه لمنع الحرب .

ولدى شعور اليوم بأن الدول تفتقر إلى الإستراتيجية بعيدة المدى . وذلك لأنشغال القادة المسئولين ومساعديهم بالكفاح مع تعقيدات الشئون اليومية ، والنتيجة الحتمية لذلك هى الأرتجال والسرعة فى وضع القرارات ذات المدى القصير على السياسة ثم تغييرها ، حتى أصبحت السياسة وكأنها حفلة تنكرية تتغير فيها الشخصيات .

السلام العالمى

وعلى كل حال فالمسألة ببساطة هى : « هل من الممكن إيجاد طريقة ما يمكن بواسطتها

أن تعيش الدول ذات المذاهب العقائدية والنظم الأجتماعية المختلفة فى سلام مع بعضها بدون تدخل كل منها فى شئون غيرها .. ؟

هذا يمكن تحقيقه لو توفرت قيادة حكيمة فى كل من الجانبين، الشرق والغرب، فى نفس الوقت هذا غير ممكن طالما يظن كل جانب أن الآخر سوف يهاجمه ، وطالما إستمر كل جانب فى تصعيد الأزمة بالتهديد بالتدمير النووى للآخر. أى أن الأمر لن يكون ممكناً حتى يتم إزالة كل جانب الخوف والأرتياب وعدم الثقة من الجانب الآخر . ويجب على القادة السياسيين مواجهة الحقائق العملية ، لأن الخطر الأكبر هو على يصبح المرء عبداً لفكرة أو شعار إقتنع به فى الماضى . وعلى سبيل المثال ، فإنه غير منطقى على الأطلاق ، كما أنه وهم حقيقى التفكير كالآتى :

« أنه من الممكن فى أى وقت مستقبلا توحيد ألمانيا ، لأن الروس لن يسمحوا على الأطلاق بقيام دولة تعدادها ٧٠ مليون فى وسط أوروبا ، والتى تنتشر فيها قواعد أطلاق الصواريخ النووية على الحدود البولندية » .

« أنه يمكن حل المشكلة الألمانية بدون حل مشكلة الأمن الأوروبى أولا » .

« وأن الحكومة الحقيقية للصين هى فرموزا . »[1]

« وأن فى إستطاعتنا التقدم نحو عالم أكثر سلاما بدون إشراك أكبر دولة فى العالم على مائدة الاجتماعات ألا وهى الصين »[1] .

ويجب أن أكون أميناً فى تحديد رأيى الشخصى عن السلام العالمى ، فبعد خدمتى لمدة عشر سنوات فى منظمة الدفاع الغربى وصلت إلى الخلاصة بأنه لن يكون هناك سلام مستقر فى هذا العالم الحير إلا بعد عودة القوات المسلحة لجميع الدول إلى أراضيها الوطنية . وقد ثبت صدق هذا الرأى عندما أنهيت الخدمة العاملة فى منظمة حلف شمال الأطلنطى عام ١٩٥٨ ، وأصبحت حراً فى زيارة القادة السياسيين والعسكريين فى الدول الغير منحازة والكتلة الشرقية.

وقد تحدثت بإسهاب فى هذا المجال فى كتاب نشر لى عام ١٩٦١ بعنوان : — « الطريق إلى القيادة » ولكنى الآن غير متأكد . والمشكلة هى أن الجانبين (الشرق والغرب) ،

---

(١) لقد تحققت نبوءة مونتجمرى بعد الأعتراف بالصين الشعبية وقبولها و هيئة الامم المتحدة وطرد فرموزا . « المعرب »

قدوصلا إلى ما يمكن تسميته بالأختلاط الفكرى بدرجة أصبح من الصعب أن يكونا واضحين . ويلوح للبعض ، الأمل فى أن الحرب الباردة سوف تصل يوما ما إلى مرحلة يستسلم فيها أحد الجانبين ويحل السلام .

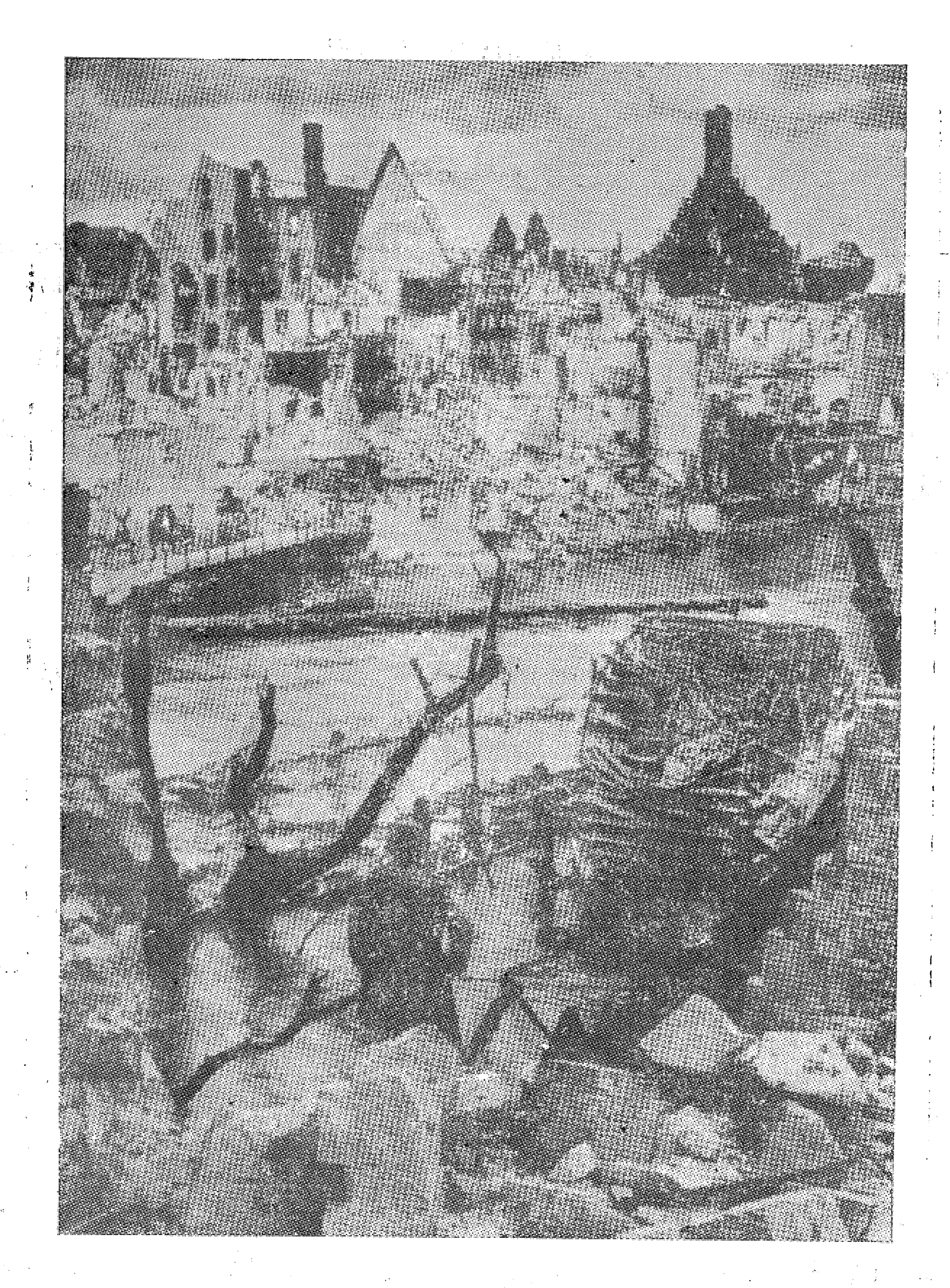
وعندما فكرت طويلا ، تأكدت من أن هذا الأمل هو وهم ، لأنه مبنى على عدم فهم لطبيعة العلاقات الدولة . فالإتفاقيات والمعاهدات بل وحتى الحروب والمنازعات ما هى إلا بمثابة علامات الطريق الماضية ، كما تحدد فقط مرحلة على طول الطريق فى الأمور الدولية .

والمواجهة الحالية بين عقيدة العالم الغربى وعقيدة العالم الشيوعى ليست من النوع المحدود ، بل هى صراع مستمر ، وقد يختفى فى بعض الأحيان ولكنه قد يظهر بشكل واضح فى أحيان أخرى .

وسوف يستمر الأمر هكذا لجيل أو لأكثر ، فهو مثل المشكلات العائلية ، فلن تختفى فجأة وإذا قدر لها الحل ، فلن يكون حلا حاسماً ونهائياً ، لأنه لا يمكن فصل هذا الصراع عن بقية المشكلات الدولية الملحة أيضاً ، مثل قابلية التطبيق الاقتصادى والعدالة الأجتماعية ويجب علينا أن نرفض أى حل لمشكلات عصرنا والتى تبنى فقط على كسب الحرب الباردة ، ولا أعتقد أنه يمكن تحقيق النصر كاملا فى هذا المجال ، ولكن بالممارسة الصابرة للسياسة وبالتصميم على إزالة الارتياب والخوف وحتى الكراهية ، سيجعل العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية والعقائدية المختلفة أقل عرضة لأن تنفجر فى حرب ، وتجعلها أكثر تماسكا مع تعايش سلمى حقيقى .

وقد بدأ الميل نحو هذا الاتجاه فى السنوات الحديثة ، ولكن لم يكن هناك نوايا مخلصة بدرجة كافية وراء هذا الميل ، ولا تصميم أكيد على إنهاء الصراع ، والجميع يتفقون على نقطة واحدة : — « أن حالة دائمة من التعايش غير السلمى لن تجر سوى البؤس على الملايين من البشر البسطاء ، ولابد من إيجاد وسيلة لمنع هذه الحالة » .

وفى الفصل القادم ، سأناقش المشكلات الرهيبة للعصر النووى ومدى الحاجة إلى أعادة تنظيم وأسس القوات المسلحة .



مدينة نورمبرج بعد تدميرها فى الحرب العالمية الثانية

وهذه الصورة وغيرها ترهب المعسكرين الغربى والشرقى من نشوب الحرب

الفصل الرابع والعشرون

العصر النووى

تكنولوجية الإصلاح النووى

والآن . . يجب علينا أن نفحص بإمعان وعمق ، الرادع النووى الذى يحول اليوم من قيام حرب شاملة بين القوى الكبرى، فربما الكثير من الناس لا يفهمون جيدا كل من قوة ومضمون الأسلحة النووية ، وخاصة القنبلة الهيدروجينية ، ولذا سنبحث هذا الموضوع لنرى إذا كان فى إستطاعتنا إكتشاف أفضل السياسات الملائمة والتى تمكن الجنس البشرى من العيش بسلام على الأرض ولسنوات طويلة . .

عكف العلماء على العمل فى مجال نظرية الطبيعة النووية ، ولكننا لسنا فى حاجة للذهاب بعيدا للخلف أكثر من بداية عام ١٩٤٠ .

فقد كان من الواضح أن إنتاج قنبلة ذرية سوف تمنح الحلفاء الأفضلية فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ .

وفى عام ١٩٤٠ علم أن العلماء الألمان يعملون فى هذا المشروع . وفى سرية تامة ، عكف العلماء البريطانيون والأمريكيون على العمل العاجل فى هذا المجال ، وتمت الموافقة فى عام ١٩٤٣ بين كل من روزفلت وتشرشل على أن تجرى كل الأبحاث والتطورات فى الولايات المتحدة ، لأنها كانت بعيدة عن مدى القاذفات الألمانية .

وتمت أول تجربة حية للقنبلة الذرية فى « نيومكسيكو » فى صباح ٢٦ يوليه ١٩٤٥ ونجحت التجربة نجاحاً تاماً . وفى هذه الفترة كانت الحرب الألمانية قد إنتهت ولكن الحرب ضد اليابان كانت لم تتوقف . وفى اليوم السابق ، ١٥ يوليه ١٩٤٥ أفتتح مؤتمر « بوتسدام » فى برلين ، وتلقى الوفد الأمريكى فى المؤتمر أنباء التجربة الناجحة بعد ١٦ يوليه ١٩٤٥ .

وقد أحيط تشرشل علماً بذلك على الفور ، والذى أبلغنى فى سرية تامة ، وهنا برز سؤال هام . . . هل يجب إحاطة ستالين بهذة الأنباء ؟ ونوقش هذا الموضوع طويلا ، وأخيراً

تم الأتفاق على وجوب إخطار ستالين ، وقام ترومان بأبلاغه بذلك فى مساء ٢٤ يولية ١٩٤٥ ، وأبدى ستالين قليلا من الأهتمام فبطبيعة الحال قد عرف كل شىء عن ذلك من شبكة الخدمة السرية الروسية ولـكن هذا مجرد تخمين .

وتمت الموافقة بالإجماع بين الوفد البريطانى والأمريـكى على وجوب إستخـدام القنبلة ضد اليابان ، وقد كتب تشرشل فى المجلد السادس من كتاب الحرب العالمية الثانية قائلا : — « لقد بدا لنا فجأة أننا قد أمتلـكنا النهاية الرحيمة للمذابح فى الشرق وأسعد الآمال للغرب ، ولقد كانت موافقة إجماعية حول مائدة الأجتماع وتلقائية ، ولم أسمع أى إقتراح بأستعمال أى وسيلة أخرى » وبالرغم من هذه الموافقة بين الوفود البريطـانية والأمريـكية والروسية فى مؤتمر « بوتسدام » ، فإن الـكثير من الناس وغيهم أنا ، قد أعتقدوا بعدم ضرورة إستخدام القنبلة الذرية ضد اليابان ، لأن اليابان بدأت تسعى للسلام قبل ذلك ببضعة أسابيع . وعلى أى حال فإن القنابل التقليدية أحدثت دماراً كاملا فى اليابان بدرجة جعلت الشعب اليابانى لم يتبق له سوى أمل ضئيل فى موا صلة القتال اليائس . وعلى أى حال فقد أسقطت القنبلة الذرية الأولى فوق « هيروشيما » فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ ، وأسقطت الثانية فوق « نجازا كى » فى ٨ أغسطس وبعد ذلك بستة أيام إنتهت حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ .

أما العلماء فلم يتوقفوا ، بل واصلوا عملهم لتطوير قنبلة أكثر قوة . وفى عام ١٩٤٦ تم إجراء تفجير تحت الماء عند بيكيني فى جنوب المحيط الباسفيكى ، وفى أغسطس ١٩٤٦ تـكونت « لجنة الطاقة الذرية » فى الـكونجرس الأمريـكى . وفى عام ١٩٥٢ تم إجراء التفجير الأول لقنبلة هيدروجينية فى المحيط الباسفيكى ، وتبعها ثلاث تفجيرات أخرى فى نفس الموقع فى مارس وإبريل ١٩٥٤ .

وبعد ذلك فى سبتمبر ١٩٥٤ توفى صياد سمك يابانى بمرض اليرقان الناتج عن إصـابته بالأشعاعات المسببه من الغبار الذرى المتساقط . وأصيب الرأى العام فى جميع أنحاء العالم بالذعر وطالب بوقف التجارب الذرية فى الغلاف الجوى ، وتم الأتفاق على ذلك عام ١٩٥٨ . والآن نصل إلى أحد المواقف المثيرة والهامة ، ففى مارس ١٩٦٢ أعلن الرئيس كنيدى أن الولايات المتحدة سوف تستأنف التجارب النووية فى الغلاف الجوى نظراً لنقض روسيا للتحريم القائم

وقت ذلك ، وتضمن بيان الرئيس على الفقرة التالية : — « يجب علينا إجراء التجارب فى الغلاف الجوى لـكى نسمح بتطوير هذه الأبحاث المتقدمة ، والأسلحة الأكثر تأثيراً وفاعلية والتى صارت من أهم دعائم أمتنا على ضوء التجارب السوفيتية . لا يزال تـكنولوجية السلاح النووى ميداناً دائم التغيير ولذا كان على أسلحتنا أن تـكون أكثر مرونة فى إستخدامها وأكثر إنتقاءاً فى تأثيرها .

لذا يجب علينا أن نـكون يقظين للتقدم العلمى الجديد وذلك بقيامنا بتجارب للتصميمات الجديدة ، وإذا أردنا المحافظة على قوتنا الدافعة العلمية وزعامتنا ، فيجب علينا ألا نوقف تقدم أسلحتنا أو نحد منها أو نعتمد على اوسائل النظرية أو نجعل التجارب داخل المعامل وفى الـكهوف » . وإذا كان ذلك البيان صادقاً وحقيقياً وسارى المفعول ، وأنا شخصياً أعتقد أن له هذا ، فعلينا أن نحاول معرفة السبب الذى من أجله قام ارئيس كنيدى بعدذلك بتوقيع « إتفاقية التحريم الجزئى للتجارب النووية[1] » مع كل من بريطانيا والإتحـاد السوفيتى وأمريـكا . ومن الأصح أن نعرف ما كان يدور فى ذهن الرئيس الأمريكى ولـكن هذا لم يحدث لأنه أغتيل فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ ، كما سقط خروشوف من مركز القوة بعد ذلك بسنة واحدة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ .

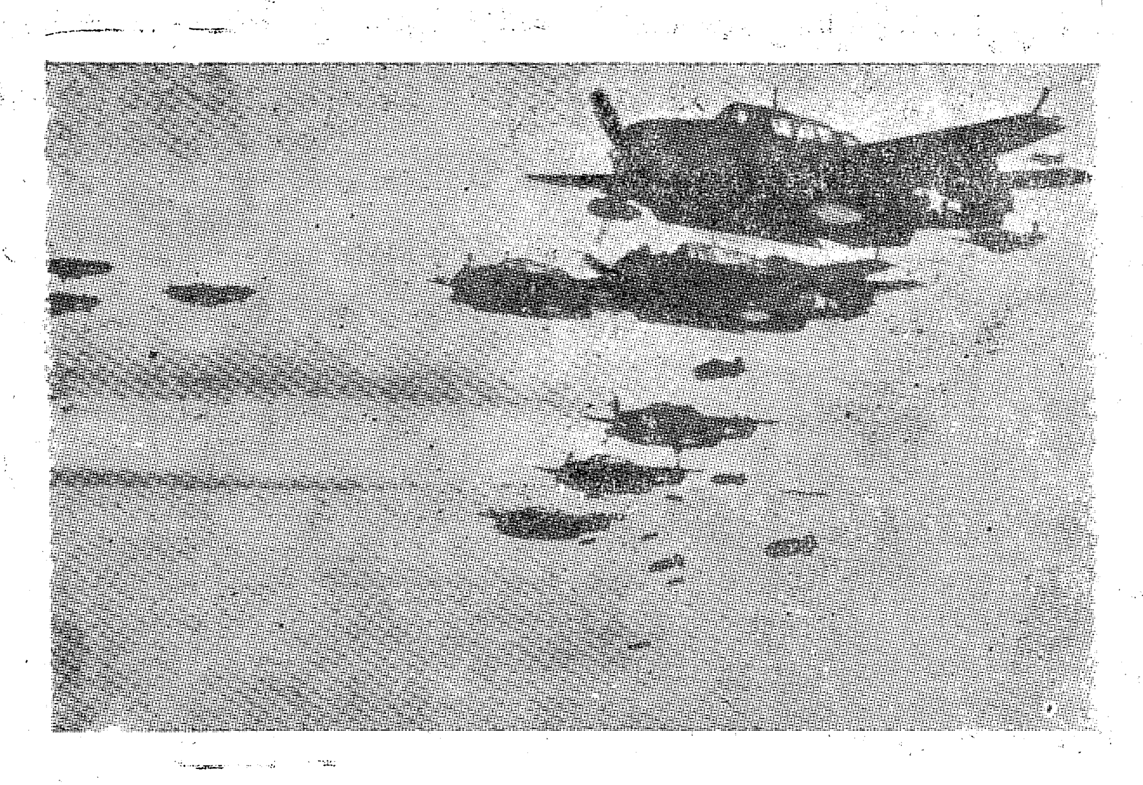
وبعد ذلك وقعت العديد من الدول على هذه الأتفاقية ، ولـكن لم توقع فرنسا والصين ، وهما الدولتان الوحيدتان الأخريتان اللتان لهما قوة ضاربة نووية . ولم تـكن روسيا متخلفة كثيراً عن الولايات المتحدة فى تطوير الأسلحة النووية ، فقد فجر علمـاؤها قنبلتهم الذرية الأولى عام ١٩٤٩ ، وكانت لديها القنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٣ . وربمـــا كان الرئيس كنيدى قلقاً بخصوص التقدم النووى فى الصين ، فقد قام الصينيون فعـلا بتجارب نووية مؤكدة ، ففى ١٦ أكتوبر ١٩٦٤ ، أى بعد يومين من سقوط خروشوف من مركز القوة ، قاموا بتفجير جهازاً نوويا منخفض القوة فى منطقه نائية فى « سنـكيانج » ، ولهذا لم يـكن من الغريب عدم توقيع الصين على إتفاقية تحريم التجارب النووية .

لقد فجر الصينيون جهازاً نوويا ثانياً عام ١٩٦٥ وأثنين آخرين فى مايو وديسمبر ١٩٦٦

---

(١) لقد أضيفت كلمة « جزئى » لأنه أتفق على أمكان إستمرار التجارب النووية تحت الأرض فى السنة التالية أى فى يوليه ١٩٦٣ . « المعرب »

والذى إحتوى كل منهما على مادة نووية حرارية وتقدموا بخطى واسعة فى هذا المجال حتى وصلوا إلى مصاف الدول الكبرى :



قذفت طائرات الحلفاء طول الحرب العالمية الثانية بحوالى ٥ر٣ مليون طن

القنبلة الهيدروجينية

يجب أن نبحث الآن علاقة القنبلة الهيدروجينية بالحرب ، لأنها **ليست مجرد سلاح** نووى آخر ذو قوة تدميرية أكبر . ويوجد اليوم وسائل من شأنها حمل القنبلة ثم توصيلها بسرعة رهيبة للغاية إلى أى هدف فى العالم ، وهذا الترابط المثير بين قوة النيران وخفة الحركة يعتبر ثورة فى فن الحرب ، فقبل العصر النووى كان الهجوم للاستيلاء على أو تدمير هدف عسكرى ، يستغرق أسابيع كثيرة ، أما اليوم فقنبلة هيدروجينية واحدة تكفى للقيام بهذا العمل فى مدة لا تتجاوز الجزء من الثانية ، أو بالطبع فلم يحدث أن ألقيت إحدى هذه القنابل على أى هدف فى الحرب . ولكن التجارب أثبتت أنها ذات قوة لا تصدق ، وقد يعطينا المثال التالى صورة لقوتها ، فقد بلغ الوزن الكلى للقنابل التى أسقطها الحلفاء خلال حرب ٣٩— ١٩٤٥ فى مسرحى أوروبا والباسفيك حوالى ٥ر٣ مليون طن .

وإذا عبرنا عن هذا الرقم باللغة النووية فإنه يـكون ٣ر٥ ميجا طن ، وهى أقل من قوة قنبلة هيدروجينية واحدة من الحجم المتوسط أو قوة رأس صاروخ نووى . ومن الأفضل لنا أن نأخذ فـكرة عامة عن الفجوة الإنفجارية لقنبلة هيدروجينية واحدة قوتها ٢ ميجاطن مستخدمين فى ذلك الأرقام التى نشرتها لجنة الطاقة الذرية . وسوف نفترض فى سقوط القنبلة على مركز مدينة كبيرة ، وفى هذه الحالة سوف يحدث الأنفجار فوهة عمقها حوالى ٣٥٠ قدم وقطرها ٣ر٧٠٠ قدم ، وسوف تتواجد خارج هذه الفوهة الـكبيرة مساحة من الحطام ، المملوءة بالإشعاع الضار والتى تمتد إلى مسافة تقرب من ١ر٨٠٠ قدم وإلى إرتفاع حوالى ١٠٠ قدم ، وسوف يـكون قطر كرة النيران الناتجة حوالى ٤ أميـال ، كما تـكون درجة حرارة الـكرة حوالى ٨ر٠٠٠٠ درجة فهرنهيت .

وكل ما فى داخل هذه المنطقة من أحياء وجماد سوف يسحق تماما ، ما النشاط الإشعاعى المتخلف فسيجعل من المستحيل إعادة تعمير المنطقة قبل ٥٠ عاما . والمبانى الـكبيرة والتى على بعد ستة أميال من مكان سقوط القنبلة سوف تصبح لاشىء أكثر من هيا كل من الأنقاض ذات الأسقف والحوائط المنهارة .

وبالإضافة إلى هذا التدمير الذى أحدثه الأنفجار ، فهناك درجة الحرارة الرهيبة التى ستبدأ فى إشعال النيران ، وسوف ينتشر الدمار والنيران الثائرة ، وستحدث مـلايين من الخسائر التى تمتد إلى نحو ١٨ ميل من مركز الأنفجار .

وسيبدأ تساقط غبار ذرى شديد الإشعاع على هذه المنطقة بعد حوالى ٢٠ دقيقة من تفجير القنبلة والذى يستمر لمدة حتى نصف ساعة قبل أن يهدأ . وبعد الأنفجـار بـ ٤٨ ساعة سيتخذ الغبار الذرى المتساقط شكلا بعرض ١٨ ميلا وسينتشر مع الريح لحوالى ١٣٠ ميلا ، مسبباً فيما بعد خسائر جسيمة . كل ذلك قد تحدثه قنبلة هيدروجينية واحدة طبقاً لبيانات لجنة الطاقة الذرية الأمريـكية .

القوة النووية

وهذا إذن هو السلاح الذى جعل الـكتلة الشرقية ، نتيجة الخوف منه ، تـكف عن

تجاوز الحد فى الحرب الباردة ، وذلك خوفاً من إشعال حرباً نووية شـــاملة بين الشرق والغرب .

وهو أيضاً السلاح الذى يأمل العالم الغربى فى أن يكون رادعا كافياً ضد أى عمل من هذا القبيل يقوم به العالم الشيوعى .

وعند الحديث عن إحتمال أى عمل يمكن أن يقوم به أحد الطرفين الشيوعى أو الغربى فيمكن القول بأنه لا يهم مدى ما يكون عليه الهجوم المفاجىء فمهما كانت سرعة المعتدى ، فإنه لن يستطيع الهروب من الضربات الانتقامية وهكذا فإن المخاطرة فى الحرب النووية الشاملة رهيبة جداً تجعل من العسير جداً القيام بأى مغامرة .

ومنذ أن قرر العالم الغربى إتباع سياسة الردع النووى برز لنا سؤال : —

« ماذا يعنى تعبير « القوة النووية ؟ » .

فمن الزاوية الاستراتيجية يمكن تعريف القوى النووية بأنها الدولة التى لديها أقل قدرة لتوصيل أسلحة نووية كافية لردع أى دولة معتدية ، أو بمعنى آخر منع العدو من إستكمال وتقوية مركزه بتوجيه ضربة قاضية مفاجأة .

ومعنى هذا أنه يجب أن يكون لدى الدولة المعتدى عليها القوة لترد الضربة . وهذه القوة هى التى بوجودها يمكن تجنب كارثة الحرب . ولكن إلى أى مدى ترد الضربة ؟ ؟

وفى تقديرى أن ترد الضربة بحيث تدمر تماماً عدداً غير مقبول من المدن الرئيسية أو المناطق الحيوية .

وفى قاموس أكسفورد المختصر عرفت كلمة « الردع » هو إحباط وتثبيط العزيمة بواسطة بث الخوف .

ويوجد فى العالم اليوم خمسة قوى فقط والتى ينطبق عليها هذا التعريف ، أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين .

والنقطة التى يجب فهمها جيدا هنا هى أن ما يمكن أن يردع إحدى الدول ، ولتكن مثلا ، من إستخدام قوتها النووية ، ليس ضرورى أن يكون هو نفسه الذى ينطق على دولة أخرى مثل الصين . وهنا تكمن مانسميه : — « معضلة الردع » . والمشكلة هى أن نعرف

بالضبط ، درجة التدمير التى تعتبرها قوة نووية شيوعية أنه فى إمكانها تحملها ، وما هو المطلوب من دول العالم الغربى لكى تقنع الدول الشيوعية بأن بعدوانها سوف تكسب أقل وتتكلف أكثر مما تأمل أن تتوقعه .

وقد أعطت أزمة كوبا عام ١٩٦٢ تلميحاً لذلك ، ولكن رغم ذلك ، فليس هناك إجابة حاسمة لهذا السؤال . وأكثر من ذلك فلا توجد حتى الآن وعلى نحو مرضى ، وسائل لتقييد إنتشار الأسلحة الذرية عن طريق نزع السلاح ، وبالتالى تتوفر الضمانات بوسائل مختلفة ، والتى تحقق درجة معقولة من القوى ، الشىء الذى لا تستطيع الأسلحة تحقيقه الآن .

وقد أصبحت الأمم المتحدة مجرد مرآة لعالم منقسم ، وبتنظيمها الحالى لا يمكنها أن تكون إطلاقاً أكثر من منبر للمناقشة ، وفى الواقع أصبحت الأمم المتحدة ميدان قتال للحرب الباردة ، بدلا من أن تكون مجالا لحلها . فالحرب لا يمكن أن تلغى نفسها ، وبأبسط تعريف ، فيمكن القول بأن الأسلحة النووية قد أعطت الجنس البشرى الخيار بين إلغاء الحرب أو حرب فناء للبشرية بواسطة هذه الأسلحة .

والشىء الذى يجب الشروع فى إنجازه ، هو إيجاد حل للاختلافات السياسية والعقائدية والتى تقسم العالم . وإذا لم يتحقق ذلك أولا فمن المحتمل أن نزع السلاح الذرى سيزيد من إحتمالات الحرب التقليدية .

الصراع النووى بين الشرق والغرب

وقد تأتى الطامة الكبرى عندما تشن قوة نووية حربا تقليدية ضد قوة نووية أخرى ، ثم تجد نفسها سوف تخسر الحرب ، هل هذه الدولة لا تحاول عندئذ كمحاولة أخيرة لها لانتزاع النصر باستخدامها السلاح النووى فى اللحظة الحاسمة ؟

يجب علينا ألا نهرب من هذا السؤال ، ومن الأرجح أن تكون أفضل إجابة على هذا السؤال بفرض سؤال آخر . هل من المحتمل فى الحرب المحدودة أن تلجأ دولة إلى إستخدام سلاحاً نووياً صغير العيار نسبياً . . ؟ ؟ ويوجد اليوم أربع دول فقط يمكنهم إنتاج مثل هذه الأسلحة ، وهم الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا والصين .

ويمكن لهذه الدول أن تمد الدول الصغرى والتي يوجد تعاطف معها بهذه الأسلحة ، ولكن تقديم هذه الأسلحة ينطوى على المخاطرة الممثلة فى أن تطلب تلك الدول الصغرى المزيد من الأسلحة الأكثر قوة والأشد دماراً ، وعندئذ تتسع دائرة الصراع لتصبح حرباً نووية شاملة بين كتل القوى الكبرى ، أى نفس نوع الحرب التى يحاول الغرب أن يردعها والتى فى الحقيقة لا يرغبها الشرق .

وفى رأيى أن الإجابة على هذا السؤال هو « لا » ، فلا توجد دوله سواء فى العالم الغربى أو العالم الشيوعى ، ترغب فى المخاطرة باستخدام أى نوع من الأسلحة النووية فى حرب محدودة ذات طابع تقليدى ، إلا إذا كانت تمتلك قوة نووية ضخمة وموثوق بها لكسب الحرب ، وذلك لاستخدامها فى حالة ما إذا إتسع الصراع .

ومثل هـذه القوة النووية موجودة لدى أمريكا أقوى دول للعالم الغربى وأيضاً لدى روسيا أقوى دولة فى العالم الشيوعى ، ولكن لن تخاطر أى من الدولتين بتحمل تبعات إستعمال هذه الأسلحة ، لأن الدمار الذى ستلحقه الضربات الانتقامية لمدن كل منهما سيكون دماراً مرعباً يفوق أى تصور ، كما أنه لا يمكن لأى منهما التأكد من تحقيق النصر . ولكن سيظل كل منهما محتفظا بقدرته النووية الكبيرة ، إلى أن يتمكن رجال السياسة من إيجاد وسيلة مقبولة للتعايش السلمى .

وقد يكون من المستحسن أن نتعرض هنا لأزمة كوبا عام ١٩٦٢ ، فقد أظهر بوضوح الاستطلاع الفوتوغرافى فوق الجزيرة للرئيس كينيدى رئيس الولايات المتحدة بأنه هناك قواعد صواريخ روسية جارى إنشاؤها وبالتالى أصبح ذلك يشكل تهديداً نوويا لأمريكا . وبناءا على ذلك قرر كينيدى منع السفن التى تحمل الأسلحة من الوصول إلى كوبا ، مستخدما فى ذلك القوات البحرية والجوية الأمريكية . ولو أن خروشوف إختار أن يبدأ حربا نوويه بسبب الأزمة الكوبية ، لنتج عن ذلك تنفيذ خطط القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية بالاشتراك مع الغواصات البحرية التى تحمل الصواريخ « بولاريس » ، لتدمير آلة الحرب السوفييتية .

وقام كيندى بالاتصال بخروشوف طالباً منه سحب صواريخه من الجزيرة أو ... المواجهة.. وبناءاً عليه قام خروشوف بالعمل الوحيد الذى كان فى إستطاعته عمله ألا وهو إعادة صواريخه ثانياً إلى روسيا .

ولقد كان هذا مثالا كلاسيكياً عن « الردع الديناميكى » والذى قام به زعيم شجاع . وقد نجح كيندى لأن الولايات المتحدة كانت تتمتع بالترابط الكامل بين ثلاث عوامل حيوية يجب توافرها فى مثل هذه الأزمة وهى القوة العسكرية والشجاعة الدبلوماسية والوحدة الوطنية .

ولسوء الحظ تواجهنا حقيقة ساخرة ، وهى أن الحرب النووية قادرة على تدمير المجتمع ، فإن وسائل تجنبها تتكون من بناء وسائل تجهيزها للهجوم .

والشيء الذى يجب أن نأمل فيه ، هو بعض إجراءات السيطرة على التسليح ، وإلى أن يتم الاتفاق على هذه المسألة ، فسوف يتوقف تجنب الحرب النووية على بقاء التوازن السياسى العسكرى محفوظاً بين الشرق والغرب .

ومن السهولة أن ينقلب هذا التوازن ، بسلاح جديد أو نظام دفاعى . أو بأسلوب جديد للهجوم أو بأى إختراع جديد يمكن أن يقلب التوازن مرجحا كفة أحد الطرفين . وقد قال البعض ، أن فرص تجنب الحرب النووية تكمن فى إنشاء نوع من السلطة العالمية العليا أو الحكومة العالمية والتى تسيطر على العلاقات بين الدول .

ولكن الصعوبات التى تقابل أى حل من هذا القبيل للمشكلة لا يمكن التغلب عليها ، وربما أكثر الحلول إمكانية فى العصر الحالى يتمثل فقط فى منع إنتشار الأسلحة النووية خارج نطاق القوى النووية الخمس السابق ذكرها ، ولكن ذلك الحل صعباً أيضاً ، فقد صرح أحد الزعماء الغربيين بأنه لا يمكن لدولة أن تطلب مقعداً على « مائدة القمة » إلا إذا أصبحت هذه الدولة قوة نووية .

إذن لن يكون هناك مجال لهذا الحل حيث أن كل دولة ذات سيادة سوف تسعى جاهدة للجلوس على مائدة القمة . وطالما أن التعايش السلمى بين الشرق والغرب غير ممكن ، فالاستراتيجية الوحيدة السليمة فى هذه الحالة والتي يمكن أن تضمن أمنها القومى ، هى

إحتفاظ كل منها بقوات للردع وقوات أخرى تقليدية . ولـكن فى هـذه الحالة لن يكون هناك إستقرار دائم مع وجود عنصر عدم الثقة .

صندوق بندورا

وفى أثناء ذلك يتابع العلماء فى كل من الجانبين أبحاثهم لإنتاج أسلحة أكثر قوة ، بينما القادة العسكريون يصارعون المشكلة المستعصية المتمثلة فى رسم الاستراتيجية التى سوى يطبقونها فى العصر النووى .

وإحتمالات نزع السلاح النووى ضئيلة حيث لن ينهى تدمير كل الأسلحة النووية ، معرفة كيف يمـكن صناعتها ، كما كتب أحد الـكتاب عن الأسلحة النووية : — « إنه صندوق البندورا[1] إذا فتح مرة ، فمن الصعب غلقه » .

والآن قد قلنا ما فيه الـكفاية ويتبقى عندنا رجال السياسة فى العالم وعليهم العثور على الطريق الذى يبعدهم عن الـكارثة بشرط أن يكون هذا التنفيذ مؤيداً بالحلول التى يقدمها الرأى العام فى هذه الدول والذى على علم بحقيقة المشكلة ويرى بوضوح أبعاد المستقبل تحت التهديد النووى .

ويجب على رؤساء العالم أن يتعلموا من التجربة ، وفى كثير من الأحيان من التجربة المرة ، كما حدث فى منتصف القرن ٢٠ .

ففى عام ١٩٤٣ رفعت سياسة « التسليم بدون قيد ولا شرط » رأسها القبيح عاليا وأدت بالغرب إلى إنتهاج هذه السياسة التى أرتدت علينا جميعا ، بالرغم من أن هذه السياسة كانت تلائم العالم الشيوعى جيداً فى ذلك الوقت .

ويجب أن يكون الهدف الحقيقى فى الحرب هو خلق السلام الآمن المستقر ، ولن يتحقق هذا لو إتجهت دولة أو مجموعة من الدول لتحقيق نصر عسكرى كامل . وأغلق

(١) بندورا إسم أمرأة ورد فى أحد الأساطير الأغريقية التى يقال أن الألة زيوس أرسلها عقابا للجنس البشرى بعد سرقة بروميثيوس للنار ، وأعطاها علبة وعندما فتحتها بدافع الفضول حتى أنطلق منها جميع الشرور والرذائل وعمت جميع البشر ولم يتبق منها غير الأمل «المعرب»

الباب بعنف فى وجه أى فكرة للسلام عن طريق التفاوض ، وهو نفس الشىء الذى حدث فى حرب ١٤ — ١٩١٨ وأيضا فى حرب ٣٩ — ١٩٤٥ . ويجب علينا ألا نعتمد على العلاقات الدبلوماسية الجامدة فى العصر النووى .

وعلى المرء فقط أن يقارن بين العلاقات بين كل من ألمانيا والكومنولث البريطانى ، والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ، والصين فى عام ١٩٤١ وفى عام ١٩٥٠ ، ثم أخيراً العلاقات بين نفس الدول فى أواخر الستينات ، ليتحقق المرء من عدم إمكانية حدوث أى تفاهم أو إلتقاء بين هذه الدول خلال السنوات القادمة .

الة الحرب القومية

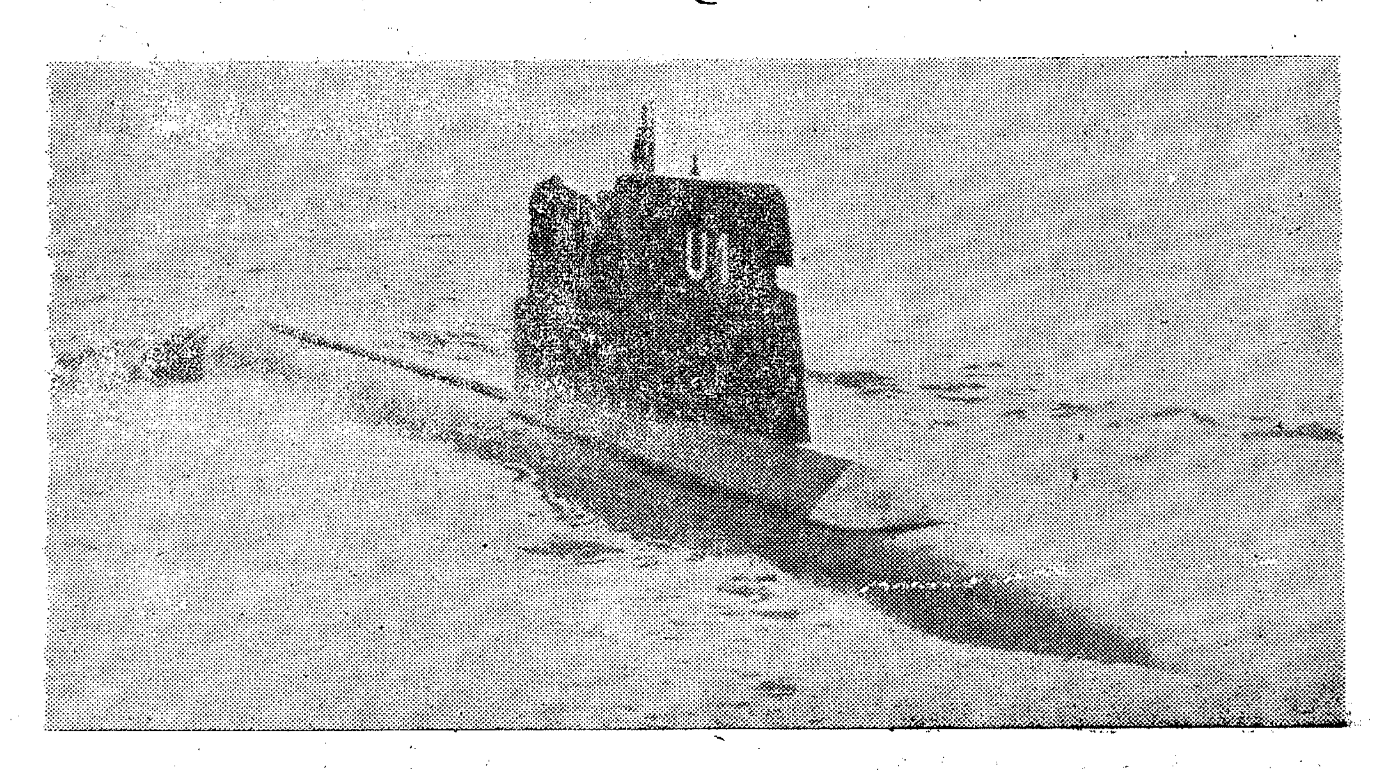
ومن الصعب التنبؤ بأى درجة من التأكيد بالكيفية المحتملة لتطور القوات المسلحة فى العصر النووى، ولكن يبدو لى أن المبادىء التالية سوف تثبت ذلك لأننى أرى من خلالها المستقبل العسكرى .

لقد أحدث التقدم العلمى ثورة فى الأفكار والمفاهيم الإستراتيجية والتكتيكية منذ حرب ٤٩ — ١٩٤٥ ومابعدها ، وعلى ذلك ، فيمكن لأى إنسان أن يخمن ما الذى يمكن للعلماء تقديمه لنا فى المستقبل ؟ .

وإشترك هؤلاء العلماء فى البحث والتطور والابتكار خلال السنوات ٢٥ الماضية وكان لها نتائج باهرة . ولذلك إذا طرأ أى تقدم على نزع السلاح فى العالم ،وإذا خفضت ميزانية الدفاع ، فإن ما يخصص لهؤلاء العلماء من أموال وقوى بشرية يجب أن يظل كما هو . وسيكون من الخطورة التكهن بأى استنتاجات لأبعد من ١٥ سنة القادمة . ولكن تأثير العلم فى منتصف القرن ٢٠ على فن الحرب وعلى تنظيم القوات المسلحة هائلا . وسبب هذا التأثير صعوبة إحتمال قيام الحرب الكبرى ، أى الحرب الشاملة ، والتى يستخدم فيها الجانبين الأسلحة النووية .

ولن ترغب أى دولة فى تخطى الحد فى الحرب الباردة ، ذلك التخطى الذى يدفع بها إلى الانتحار .

وخلال الثمانى سنوات القادمة ومع بداية عام ١٩٨٠ ، فإن التركيز العسكرى سيكون مسلطا على الحروب الصغرى والمحدودة جغرافيا ، والتى سوف يستخدم فيها فقط ما يطلق عليه بالأسلحة التقليدية ، وسوف يكون مسرح هذه الصراعات المسلحة فى نصف الكرة الشرقى أكثر من وقوعها فى النصف الغربى مع زيادة إتساعها فى أفريقيا .



الغواصة الذرية بولاريس

الحرب تحت البحر

ومن أهم وأبرز تطورات الحرب الحديثة هو الزيادة السريعة والمفاجئة فى قوة كل من البحرية والطيران ، وقد سبق أن ذكرت فى الفصل الأول أنه منذ العصور القديمة عندما تسيطر الدولة على البحار ، يكون النصر فى النهاية فى جانبها ، لأن عدوها سيكون محصوراً داخل نطاق الإستراتيجية البرية .

وقد أكدت القوة الجوية ذلك عندما وصلت إلى ذروتها فى التطور . والتجميع البارع للقوة البحرية والقوة الجوية لمن العوامل ذات الأهمية الأولى فى نجاح المعركة ، وينطبق نفس المبدأ فى حالة القوات البرية والجوية .

وفى مجال التنظيم العسكرى ، فليس هناك طريق مضمون للوصول إلى كارثة محققة أكثر من إتباع نظم كانت متبعة من قبل ، ثم تطبيق هذه النظم السابقة والأستمرار فى تنفيذها ، فالمشكلة تتغير دائما . ويبين هذا المبدأ إلى أن القوة البحرية سوف تعمل فى المستقبل بطريقة

مختلفة عما كانت تعمل به فى الماضى ، وذلك بسبب تأثير العلم على فن الحرب . وقد ولى بالتأكيد عصر البوارج الكبيرة ، والحرب البحرية المستقبلة ستدور بنسبة متزايدة تحت سطح البحر ، وسيكون تسليحها الرئيسى هى الغواصات من طراز « البولاريس » و« الهانتر كيلر » (الصيادة القاتلة) وإذا أستطاعت الغواصة بولاريس الوصول إلى عمق أكبر من الحاضر ،فسيكون مستحيلا تحديد مكانها بواسطة أى وسائل علمية معروفة فى وقتنا الحاضر . أما السفن التى تعمل على سطح البحر ، فستصبح أكثر سرعة وصغيرة وقادرة على إطلاق الصواريخ . وسوف تحل الصواريخ محل الطائرات المقاتلة .

ولكن إلى أن يتم إمكان إنتاج طائرة « فوتول[1] » مناسبة قادرة على العمل من السفن الصغيرة ،وهو شىء ضرورى جداً وحيوى ، فسوف تظل حاملات الطائرات مطلوبة ، وربما تختفى حاملات الطائرات الكبيرة فى أوائل عام ١٩٨٠ .

القوة الجوية والمرونة

وأعظم مصادر القوة للقوات الجوية يكمن فى مرونتها. ففى داخل حدود المدى التى تعمل فيه الطائرات ، يمكن توجيهها بسرعة ومن هدف إلى آخر فى كل منطقة العمليات بدون تغييرها لقواعدها،ولهذا فإنه فى الإمكان إستخدام كل ثقل القوة الجوية المتيسرة على مناطق مختارة بالتوالى.

ولهذا يجب أن تكون السيطرة مركزية على كل القوة الجوية المتيسرة الموجودة فى القواعد البرية أو البحرية ، على أن تخرج أوامر وتعليمات القيادة من مصدر واحد .

وإذا تأملنا بأمعان مشكلة الدفاع ، سنصل إلى إستنتاج بأن الإجابة تقع أساساً فى القدرة على إستخدام القوة البحرية والجوية بحرية ، مع حصر العدو للعمل فى إستراتيجية برية فقط ، وبهذه الطريقة فقط سيصبح فى الإمكان الحصول على أقصى مرونة ممكنة .

ويجب على الحلفاء الغربيين ومنهم إنجلترا أن يضعوا التخطيط السليم الذى يحقق لهم التحرك والانتشار المرن بدرجة تجعلهم قادرين على التعامل بسرعة وبفاعلية مع كل المواقف ، بما فى ذلك المواقف الغير محتملة والغير متوقعة .

وفى الحقيقة فالانتشار المرن يرتكز أساساً على إستراتيجية بحرية ، وهذا يتطلب إعتبارين هامين هما الاتحاد والقيادة .

وعند التخطيط للدفاع وتقرير أنسب تنظيم للقوات المسلحة ، فمن الضرورى وجود إستراتيجية طويلة المدى .

(١) طائرات مقاتلة نفاثة عمودية الأقلاع والهبوط .

وأشك فى أن الغرب سيستفيد بالقواعد البرية الثابتة الكثيرة أفضل إستفادة . ومن المحتمل عند نشوب أى أزمة أن تجد هذه القواعد الثابتة نفسها فجأة موجودة فى الاتجاه الخاطىء .

وسوف تؤدى هذه القوات الثابتة إلى تقييد خفة حركة القوات ، وفى الحقيقة ستكون دائماً رهن الحظ . ويجب على القواعد التى تعتبر حيوية ألا تتواجد فى مناطق يشعر سكانها بكره نحو هذه القواعد فى أراضيهم أو سكان لن يقبلوا وجودها لأمد طويل ، ومثل هذه القواعد الأخيرة تعتبر بمثابة دعاية ممتازة لصالح أعداء الغرب .

ويجب على الجيوش أن تتجه إلى البحر ، لتكون فى شكل قوات صغيرة لها خفة حركة جوية تكتيكيا ، نتيجة لتزويدها بطائرات الهليكوبتر لتحركها وإمدادها وللمعاونة الأرضية .

القوة الحقيقية للدولة

والنقاط السابقة التى ذكرتها عاليه ، ما هى إلا مجرد إطار خارجى لمشكلة كبيرة جداً ، وحلها كما أعتقد ، يقع بين يدى الاتجاه العام الذى أشرت إليه .

ولكن من الضرورى أن نتذكر أن القوة الحقيقية والنهائية للدولة لا تكمن فى قواتها المسلحة ولا فى إحتياطيها من الذهب والدولارات ، بل تكمن فى شخصيتها القومية أى فى شعبها وفى رجولة هذا الشعب ورغبته فى العمل ، وفى فهمه التام للحقيقة المتمثلة فى أنه إذا أراد الرخاء والقوة الاقتصادية ، فيجب أن يحصل عليها بنفسه لنفسه وإلا فليمضى بدونها .

وفى عام ١٩٤٦ كتبت هذه الكلمات : — « إن الاعتبار الوحيد الهام فى الحرب هو الروح المعنوية ، فلا يمكن مواصلة حرب لأمد طويل إذا إفتقر الشعب إلى العزيمة على القتال ، لأن فى هذه الحالة ستتوقف وظيفة الآلة القومية للحرب . وفى المعركة لن تنجح الاستراتيجية إذا لم يكن وراءها الروح المعنوية ، وإذا فقدت الروح المعنوية فسوف تكون الهزيمة محتومة » .

وتلك كلمات صادقة سواء الآن أو فى الوقت التى كتبت فيه ، وسوف أضيف إليها خمس كلمات فقط : — « تنطبق نفس الكلمات فى السلم » .

والآن أصل إلى نهاية آرائى عن الحرب عبر التاريخ ، ويبقى فصل واحد وأخير وهو الغاية من السلام .

الفصل الخامس والعشرون

الغاية من السلام

العودة الى الهمجية الكاملة

فى أحد الليالى ... عندما كنت أقرأ فى الأنجيل مررت عبر هذه السطور مصادفة : —
« كل فرد من النبى حتى مستوى القسيس ، ينادى .. السلام .. السلام ، فى وقت لم يكن فيه سلام .. »

تلك الكلمات كتبت منذ حوالى ٣٠٠٠ سنة مضت ، وهى تنطبق تماما على الموقف فى أيامنا هذه .

وأعتقد أن الكثير من قراء هذا الكتاب قد حصلوا على ما يبغونه من معلومات عن الحرب وأيضاً علموا كم هو مغر إخفاء التصدع فى وئام العالم . ويبدوأن شيئاً قد وقع بطريق الخطأ فى العالم الذى نعيش فيه، فبالرغم من التقدم فى المدنية والرغبة الشديدة فى السلام التى راودت عقول جميع الشعوب الراقية عبر الألفى عام السابقة أو أكثر، لم تستطع الأنسانية أن تمنع القرن ٢٠ من أن يصبح أعنف وأكثر فترة دموية سجلها التاريخ لخلال سنوات الحكم النازى فى المانيا كانت الأمور تحدث بطريقة ليس لها مثيل حتى فى أحط وأخس أيام الأمبراطورية الرومانية أو المغولية ، فقد إرتكبت جرائم لا يمكن لمعظم الناس تخيلها ، إلا إذا شاهدوا مكانا مثل « بلسن » والتى دخلتها فى يوم تحريرها بقواتى فى إبريل عام ١٩٤٥ ، فقد كان الأمر عبارة عن قتل جماعى للمدنيين لم يسبق له مثيل .

ويكشف لنا دراسة الهجوم الألمانى على روسيا الذى بدأ فى يونيه عام ١٩٤١، عن العنف المتعفن لألمانيا النازية الذى بدأ يتقيح بوضوح » . وذلك فى القتل الجماعى والنفى والتجويع فى معسكرات الأسرى وحرق الأطفال فى المدارس وهم أحياء ، وجعل المستشفيات المدنية أهدافاً للتدريب على الضرب ، ومثل هذه الفظائع كانت شائعه تحت سيطرة النزوات الوحشية

لألمانيا أثناء الصراع الروسى لألمانيا . وتقع مسئولية كل هذه الأشياء على رجل شيطانى واحد ... هو هتلر .

وقد ماتت ملايين جوعاً ، بينما كان هو وأتباعه يستمتعون . وكان هتلر يفرق الزوجة عن زوجها ، والفتاة عن حبيبها ، والطفل عن والدية . ولو قدر لهذا الرجل أن يعيش فلم يكن فى إستطاعتة أن يرد ما أخذه من هؤلاء بأساليبه الظالمة القاسية ، ولن يستطيع أن يرد كل تلك السنوات من الحياة والصحة والسعاده والزوجات والأولاد والأحباب والأصدقاء . ولو كان لديه عشرة آلاف حياة فلم تكن ستكفر عن سيئاته حتى ولو جذبت كل منها إلى نهاية مرة وتعسة مثل التى كان يوزعها على الآخرين .

وقد أدى تسخير جميع مظاهر الحياة الألمانية للحرب إلى التدمير الكامل لتلك الدولة المهزومة ، كما كان لابد من حدوث ذلك .

وبعدها ظهرت مشكلة إطعام تلك الدولة التى تركتها الحرب تتضور جوعاً ، وكما أعلم جيداً ، لأن هذه المشكلة وقعت على عاتقى فى القطاع البريطانى والذى إحتوى على ٣٠ مليون ألمانى . ونفس الشيء كان فى الشرق الأقصى بالنسبة لليابانيين الذى تساوت وحشيتهم وقسوتهم مع الألمان .

هل من المحتمل أن يتكرر ما حدث مرة أخرى ؟ هل يمكن أن يظهر آخرون أمثال هتلر . . ؟ هل سنصل إلى الاستنتاج بأن الحرب الحديثة بين الدول هى العودة المطلقة إلى الهمجية الكاملة ؟ .

هذه الأسئلة تقع مسئولية مواجهتها على القادة السياسيين . ومن رأيى أن دراسة الحرب عبر العصور ، مع دراسة العناصر السياسية والاقتصادية الكثيرة المتشابكة والتى تظهر فى الصراع المسلح ، سوف توضح لنا ما الذى يمكننا عمله لتجنب الحرب مع العثور على الإجابات التى لم نحصل عليها حتى الآن .

القيم الروحية

وإننا نعلم أن مفاتيح السلام على الصعيد المادى والطبيعى ، هى فى يد القوة ، فالرجل القوى المسلح يحافظ على مصالحه فى سلام ، ولكن على الصعيد الروحانى فهناك من هو

أقوى منه ، فإن المجموعات الكبيرة لا تنتصر دائما . وقوات الاحتلال مهما كبرت فهى لن تظل إلى الأبد تسيطر على ما يجول فى أذهان الشعب المحتل . ودراسة الحرب تلقى الضوء على قيم روحية بالغة العمق والمغزى للمستقبل .

والآن . . ماذا عن المستقبل . . ؟ ذلك المستقبل إنما فى أيدى الشباب ، وهذه الأيدى غير ثابتة فى الوقت الحاضر ، والشباب يقول : « لقد فعل آباؤنا هذه الفوضى ، ويجب علينا أن نقلع عن ذلك ونسلك سلوكنا نحن ، والذى سيكون أفضل من سلوك آبائنا » .

أما ما هو الأفضل لعمله . ؟ فذلك ما لايعرفونه . . . فجميعهم فى بحر واسع ، بينما يميلون فى تحركهم نحو المادية : « أحصد برعم الزهر مادمت تستطيع » . معتقدين أن ما كان ينقص آباؤهم هو حب السلام كشرط لحياة سعيدة هنيئة . ولكن آباؤهم المحبون للسلام قد حاربوا من أجل الحرية والعدل والتى بدونها يكون سلام الشعوب المروعة والمستعبدة جحيم على الأرض .

والسلام الذى ننعم به الآن هو سلام الانتصار على الهمجية فى الرجال ، وذلك النصر لن يكتب له البقاء إذا أهدرت الفضائل والقيم التى حققها وحافظ عليها ذلك الانتصار . فما الجدوى من السلام بدون الحرية ، وما قيمة الحرية بدون عدل بين رجل وآخر ؟ ويجب ألا يصبح الهدف من السلام مجرد الاستمتاع بحياة سهلة ومتراخية . ويجب أن تعيش الأمة على أسس من القيم الروحية وليس فقط على القيم المادية ، والدين هو مفتاح إرتفاع وإنخفاض القيم الروحية ، وهناك إختيار دائم يجب القيام به ، هو إختيار « مملكة الله » والذين يختارونها لن يفتقدوا التأييد والمعاونة سواء كانت بشرية أو سماوية .

عالم الراحة والسلام

وقد كتبت السطور الآتية فى مذكراتى : — « لا أعتقد أن القائد فى أيامنا هذه قادر على إثارة حماس جيوش كبيرة ، أو وحدات مستقلة أو حتى رجال منفردين ،

إلا إذا كان لديه إحساس خالص بعقيدة دينية صـادقة . وفن القيادة يرتـكز على الصفة الروحية التي تتمثل في القدرة على إثارة الآخرين لـكي يسيروا ورائه » . ولـكن لن يكون لذلك أى جدوى لحل المشكلة إلا إذا كان الآخرون مهيئين لقبوله .

ففى الحرب ينطلق الـكثير من الحسنات وكذلك الـكثير من الآثام ، فعندما يستشار الرجال ليهبوا أنفسهم لغرض نبيل سامى ، فإن الحرب ومشقاتها سوف تظهر أفضل مالديهم من صفات مثل الزمالة والثبات والشجاعة والتضحية بالنفس ، والاستعداد للموت . وقد عبر عن ذلك فى شعر عثر عليه فى الصحراء الغربية أثناء تقدم الجيش الثامن بعد العلمين : —

ساعدنى يا إلهى عندما يقترب الموت حتى أهزأ بوجه الخوف الشرس

لأنني عنـدما أسقط لو قدر لى السقوط ... فأن روحى قد تبتهج بالنصر على الرمال . »

وبتلك الروح كشفت النقاب عن أنصبة تذكارية كثيرة . وعندما كشفت الستار عن النصب التذكارى للعلمين فى الصحراء الغربية عندمازرت مصر فى أكتوبر ١٩٥٤ ، وحدقت بنظرى فى المـكان رأيت صفوفا كثيرة من الصلبان ، يضم كل منها عزيز على البعض فى الوطن ، وأننى أعتقد أنه ليس هناك أية فائدة أو ميزة أو فضيلة فى الخسارة الغير ضرورية للأرواح ، وفى الحقيقة فالخسارة الغير ضرورية ما هى إلا غباء وخزى .

ويجب أن تـكون أرواح الرجال غالية عند أى قائد فى المعركة ، ويجب ألا يضحى بها بدون سبب ولا تستخدم عندما يمـكن لوسائل أخرى الوفاء بالغرض . ولـكن كانت هناك أوقات فى الحرب يتعين فيها على الرجال أن يقوموا بأعمال خطيرة ، فمثلا عند ما يجب الأستيلاء أو الدفاع على موقع مهما كان الثمن ، وكذلك عندما يعتمد نجاح ومصير أمة على بسالة وتصميم وتضافر الضباط والجنود .

وعندئذ يقوم الرجال الذين يفضلون الواجب على أنفسهم بوهب أرواحهم لتنفيذ ما عهـد إليهم من مهمة حتى نهايتها . وهؤلاء قد انتصروا على الزمن ، وحققوا بل كسبوا شرفاً عالياً مما يحققه رجل لا يجيد سوى القتال ، ولهم مكانة كبيرة عند ربهم . وهى على كل مسـألة إختيار حر . وفى سبيل القيم الخالدة فى هذا الاختبار ، تقام النصب بصرف النظر عما تضمه من ديانات أو معتقدات أو شـكل العبادة ،

ومن خلال ضباب السنين وفى دوامة العصر القديم،لايسعنا إلا أن ننصت بصمت رهيب لعلنا نلتقط رسالة أمل وتشجيع من هؤلاء الذين وهبوا حياتهم ..
رسالة ربما تساعدنا على خلق عالم أفضل من ذلك الذى عاشوا فيه : ـ

« نحن الموتى ...

نقذف إليكم بأيدى هاوية بالشعلة ... حافظوا عليها وأحملوها عالياً ..

أما إذا حنثتم بعهدكم معنا نحن الموتى ... فلن نستريح فى رقدتنا .. »

يجب ألا نحث بالعهد مع شعلة العدالة والحرية التى قذفوها لنا ، فالجندى الحق هو عدو لكل وحش فى صورة إنسان وليس لأى شىء آخر .

وأنه لأمل الجندى أن يأتى يوم الغروب الذهبى للشمس ، حيث تطلق أبواق المساء معلنة إنتهاء النزاع والعداء ، ثم يتبعه شروق متألق للشمس وفيه تطلق أبواق الصباح موقظة دول العالم على عصر جديد من الود والسلام .

هكذا ينتهى الجزء السابع والأخير من الحرب عبر التاريخ ، أما الجزء الأول من « القرارات المميتة » فيتضمن : —



العميد فتحى عبد الله النمر

* ما هى عملية الأبيض والأحمر ؟
* ما هى حرب المهزلة ؟
* كيف دارت معركة بريطانيا ؟
* ما هى عملية أسد البحر ؟
* ما هى عملية فيلكس ؟
* كيف غرقت البارجة بسمارك ؟
* كيف إنتهت أخطر حملة فى التاريخ؟
* لماذا كان هتلر ينفر من العمليات البرمائية ؟
* كيف أنقذ هتلر موسولينى مرتين ؟
* كيف تم غرق ٣ مليون طن من السفن ؟
* حل مسابقة الجزء السابع وأسماء الفائزين .
* مسابقة جديدة لكتاب « القرارات المميتة » والشروط والجوائز المالية لكل جزء

فإلى اللقاء مع الجنرال س. ل. مارشال ومجموعة من الجنرالات الألمان ، تعريب وتعليق

عميد

فتحى عبد الله النمر

مسابقة القراء

		عـــدد
الجائزة الأولى :—	١٠ جنيهات مصرية	١
الجائزة الثانية :—	٣ جنيهات مصرية	٢
الجائزة الثالثة :—	٢ جنيـه مصرى	٣

١ — طريقة حل المسابقة : يوجد عدة أسئلة ومدون لكل سؤال ثلاثة أجابات أحداها صحيح ، فعلى القارىء أن يضع علامة (√) أمام الإجابة الصحيحة مع كتابة اسمه وعنوانه بالكامل .

٢ — بعد أن يتم أختيار الأجابات الصحيحة تنزع ورقة الأسئلة والإجابات من الكتاب وتوضع فى مظروف عليه طابع بريد وترسل فى بحر شهر من صدور الكتاب على العنوان التالى :—

مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد / القاهرة

مسابقة « الحرب عبر التاريخ »

٣ — سيتم فرز الإجابات الصحيحة وعمل قرعة لأختيار الفائزين وأولوياتهم .

٤ — سيتم نشر أسماء الفائزين فى الجزء الأول من « القرارت المميتة » والذى يظهر فى أول كل شهر .

٥ — توجد جوائز جديدة ومسابقة جديدة للقـــراء ، أقرأ تفاصيلها فى الجزء الأول من كتابه :

القرارات المميتة

أسماء الفائزين فى مسابقة الجزء السادس

حل المسابقة :—

ج ١ : ٢ — ١٨٣٢ .

ج ٢ : ١ — رمح رفيع تستعمله القبائل الأفريقية .

ج ٣ : ٣ — ٣٥ مليون نسمة .

ج ٤ : ٢ — جيفرسون دافيز .

ج ٥ : ١ — ميترلنك .

ج ٦ : ٢ — ألمانيا .

ج ٧ : ٣ — مدفع من عيار ١٧ بوصة .

ج ٨ : ٢ — جوتلاند .

ج ٩ : ١ — فى يونية ١٩١٦

ج ١٠ : ٣ — أربعة قرون .

الجوائز :—

الجائزة الاولى وقدرها ١٠ جنيهات

فازت بها استمارة المسابقة

باسم : مصطفى رضى عبد المطلب

العنوان : عمارة ١٤ شقة ١٠١ مدينة نصر — القاهرة

الجائزة الثانية وقدرها ٣ جنيهات وعددها ٢

١ — فازت بها استمارة المسابقة

باسم : أحمد فؤاد كامل

العنوان : ص. ب ٧٢٣١ الكويت

٢ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ١٠٤٤

باسم : سنيه حجاج

العنوان : ٤ ش إبراهيم صالح — الزيتون

الجائزة الثالثة وقدرها ٢ جنيه وعددها ٣

١ — فازت بها استمارة المسابقة رقم ٩٣٦

باسم : محمود عبد المحسن

العنوان : الصالون الأخضر — القاهرة

٢ — فازت بها استمارة المسابقة

باسم : محمد على القصاص

العنوان : ص . ب ٤٨٠ المملكة العربية السعودية

٣ — فازت بها استمارة المسابقة

باسم : فؤاد حجاوى

العنوان : ص . ب ٩٦ سوق الحجاوى — الزرقاء — الأردن

* نرجو من الفائزين الحضور إلى مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ ش محمد فريد (عماد الدين) القاهرة لاستلام جوائزهم .

* ونظراً لوجود بعض القراء خارج جمهورية مصر العربية سيتم إرسال جوائزهم عن طريق البريد الموصى عليه .

* ترقبوا المسابقة الجديدة والجوائز المالية فى الكتاب الجديد « القرارات المميتة » والذى يقع فى ستة أجزاء وسيصدر فى أول الشهر ، وسيتم نشر مسابقة الجزء السابع والجوائز الخاصة بـ « الحرب عبر التاريخ » فى الجزء الأول من « القرارات المميتة » مع مسابقة جديدة وجوائز جديدة للكتاب الجديد .

ثمرة ١٥٥٠٠٠

المسابقة

١ — قام هتلر باختراق فرنسا بين سيدان ونامور بـ

١ — ١٢ فرقة مدرعة .

٢ — ٧ فرق مدرعة .

٣ — ١٠ فرق مدرعة .

٢ — حشد هتلر لمواجهة روسيا

١ — ١٢٤ فرقـــة .

٢ — ١٥٨ فرقـــة .

٣ — ١٤٥ فرقـــة .

٣ — فى نوفمبر ١٩٤٢ تحول الروس الى مواجهة الالمان تحت قيادة

١ — مارشال زوكوف .

٢ — جنرال كونيف .

٣ — مارشال ركوسوفـكسى .

٤ — كانت مجموعة الجيوش « ب » الألمانية تحتل من هولندا الى نورماندى ويقودها

١ — الفيلد مارشال روندشتد .

٢ — الفيلد مارشال روميل .

٣ — الفيلد مارشال كلوج .

٥ — كان تعداد الجيش اليابانى فى الحرب العالمية الثانية

١ — ٢٥٠ر٠٠٠ مقاتل .

٢ — ١٠٠٠ر٠٠٠ مقاتل .

٣ — ٧٥٠ر٠٠٠ مقاتل .

٦ — كان لدى اليابان فى الحرب العالمية الثانية

١ — ٢٠٠٠ طـائرة .

٢ — ١٥٠٠ طـائرة .

٣ — ٤٨٠٠ طـائرة .

٧ — فى ٦ اغسطس ١٩٤٥ اسقط الامريكان اول قنبلة ذرية فوق مدينة

١ — نجـــازاكى .

٢ — هيروشـــيما .

٣ — أوســـاكا .

٨ — « اذا اردت السلام .. فتفهم الحرب .. » من قال هذا ؟

١ — بليز دى مونتلوك .

٢ — ليـــدل هارت .

٣ — كلاوزفيـــتز .

٩ — « لقد هزمتهم بواسطة أنفسكم .. » من قال هذا

١ — كنيدى .

٢ — جوليس روى .

٣ — الجنرال جياب .

١٠ — تم فى يوليه ١٩٤٥ أول تجربه حية للقنبله الذريه فى

١ — نجـــازاكى .

٢ — نيومكسيكو .

٣ — بوتســـدام .

الاسم ________________________

العنوان ________________________

____

____